تأثير الوقف على حروف المعاني والبدء بها

في إثراء المعنى واتساعه

إعداد

أ.د. محمد عبد العليم
أستاذ البلاغة والنقد بكلية اللغة العربية
جامعة الأزهر بالقاهرة

نشر
مؤسسة العلياء ش. البيستان/ عابدين ت 2396/2002
دار الثقافة 3 درب الأثراك/ خلف الجامع الأزهر ت 25108/2002
المقدمة

الحمد لله خلق الإنسان، وفق فاه عن جارحة اللسان، وأنفقه بعذب الكلام وسحر البيان، وأوضح له من خلال آي ذكره سبيل الهدى ومنار البرهان، وأوقفه على إشراقات آياته وأبان له حقائق العرفا. والصلاة والسلام على من خصّه تعالى بكمال الفصاحة بين البدو والحضر، وأعذر أمامه بلغاء ربيعة ومشر، إذ بواه من الفصاحة ذروتها، وأقطع من البلاغة مكان صهوثها، حتى ظهرت من جهته أسرار طلعتها، وتبلّجت من بديته أنوار زهرتها. وعلى إخوانه من النبيين والمرسلين، ومن تبعه وتبعهم بإحسان إلى يوم الدين. وبعد:

فحين نعت العرب القرآن بالشعر، لم يكن يرومون من وراء ذلك أن يعقدوا أوجهاً للتشبيه فيها بينها، وإنما كان ذلك منهم إقراراً بسمو بيانه واتساب لغته وكثرة مكانه وجمال إيقاعه وتُخبر نظمه، لأن هذه هي صفات الشعر لديهم. كـم كان وصفهم إياه بالشعر دليلاً على قوة تأثيره في نفوسهم وعلى شدة إحاساتهم ببراء متعده وعجزهم من ثمّ عن محاكمته. ثمّ- وليس آخراً - كان هذا وذاك منهم فيها بعد، كـم يسندون أوى أن يغاظعوا غيرهم كما غاظوا أنفسهم وليروا إلى أولياتهم إلى الدعاء بما يغرس بدوز الشك في نفوسهم فلا يؤمنون.

وإن من أعظم ما يلفت الانتباه لأسلوب تنزيل رب العالمين وأبرز ما يميزه الغناء في الأداء والسخاء في إفادة المعاني. ولست هنا بصدد سرد شتي الوسائل والأسابك التي تكشف عن هذا الخصوبة ولا حتى الإحاطة بواحدة منها، إذ تلك- فضلًا عن كونها أموراً لم أتخيل بها حتى يوم الناس هذا، الدراسات المطولة ولا الكتب الجملة ولا البحوث الم تعدة- هي أمور يعجز عن الإمام بها الفحول من جهاده العلم، كما يعنى عن بلغ مثنيها والحصول إلى أغوارها عباقرة الفنون على تنوعها واختلاف مشارب أرائها. وإلا فكم من الدراسات والبحوث والكتب تأسست على تناول ظاهرة عدد القراءات مثلاً وصلاح وجوهها للدلالة على غير ما معنى ولم توفقها حقها. وكم هي
تلك التي تناولت ظاهرة الحروف المقطعة بها أضفاه ترتيبها الأثني وتصنيفها العجيب، وما أثارته تلك الفرصة من رغبة العلماء الراسخين وشفع آلام التفسير المخلصين في البحث عنها والتقييم عن أسرارها والغوص في معانيها، على الرغم من تكرار الآثار في مغزاه وتختلف الآراء في مدلولاتها، بل وعلى الرغم من ذهب السواد الأعظم لأهل العلم إلى أنها من المشاهد الذي استأثر الله بعلمه وكم منها اختص وعني ب النظر في معاني غير ما ذكرنا من حروف فرحة تركب عن كثب ما يفيد هذا الحرف في القرآن أو ذلك من جليل الألفاظ ودقائق المعاني، بل وتحقق القول في دلالاتها ومقاماتها، كالقول بأن (إذا) تفيد إثبات الشيء ونفيه عن غيره، وأنها متضمنة معنى النفي والاستثناء الذي هو إثبات ونفي وأنها تخالفه، فرق بين أن يتضمن الشيء معنى الشيء وأن يكون الشيء الشيء، وأن قوله تعالى: إنَّ أَنتَ لَا تَذَّرِنِ (أ viết / 23)، ليس كقوله: إنَّ أَنتَ لَا تَذَّرِنِ (هود / 12)، وأن هذا له سياق يجري فيه، وذلك له سياق يقتضيه؟، وكم منها عكض على مشيئة النظام يقين ويوزن بين ما تشابه منه ابتداء التذكرة وابتداؤ الوقف على حامله ودلائلة؟، وكم منها؟ وكيم منها؟ وكيم منها؟

وتأتي هذه الدراسة البلاغية في ضوء هذه الفقه من تلاحيم الكلام في النسق الكريم، تؤكد نفسها بجزء ما نقص من دراسات تتعلق بمعاني الحروف وثيقة الصلة بالوقف والإبادة، بعد أن تلاحظ نضوب الدراسات عن هذا النوع من البحوث، مع كثرة ما تناولته من حداث عن كل منها على حدة، فمن كتب رصدت دلالات أحرف معاني وحسب في أجرد الكلام وأبلغه، إلى أخرى تعني فقط بأمور الوقف والإبادة، كذا دون ربط بين هذا وذاك، وقد ربط كذلك بين تبك الأمير قاطبة وأوجه البلاغة ونكتاتها التي لا تزال. تأتي هذه الدراسة التي تعني بربط بعض أحرف المعاني في التنزيل بما سمي لذي أهل الآراء القرآني بوقف المراقبة، لتكون فائحة خير أمام المزيد من تبع هذه الظاهرة ومعالجة هذا اللون من الأداء القرآني المعجز، بعد أن لاحظت قصر الأمر في نظيراتها على تبيع أسرار ما وضح من ذلك من أنواع الوقف الأخرى من نحو الوقف اللازم أو الجائز أو الممنوع وما شابه.
كما تهدف تلك الدراسة من جانب آخر إلى رصد ظاهرة تعدد المعاني مع وحدة النظم، إذ تتكون تلك المعاني بمجرد البدء وتخليط بمجرد الوقف، على الرغم من عدم تغير السياق وحيثه. كما هو دون أن يتبدل منه حرف واحد أو يتغير. فأنتم تراكمت وأنت تقف مثلاً على قول الله تعالى: (ولَ يَتَّبِعُ كَانِبُ أن يَكُنَّبُ). (البقرة/282)، تراقب الوقف على كاف الجر مع مدخلكا في قوله بعد: (سَمَا عُلَمَهُمُ اللَّهَ). ويكون الأمر بحيث لو وقفت على الموضوع لأنهم المعنى واختلت النظم لكون الوقف على نظر الجملة بعد الوقف الأول لا يؤدي كبير فاقداً. ولا تجد للمضمار في (علمهُ) مرجعًا، لأن الجملة بعد الوقف الأول كأنها متفرقة في فراخ وجودها، والضرائر لا بد أن تعود على مرجع، وعلى فلا مناص من تاصلاها بها قبلها أو بعدها، كما لا مناص من وجود متعلق للجار والمجرور، وهو كائن إذ في الفعل قبله (يَكُنَّبُ) أو بعده (قَبِّلَ) .. وفي كل من الدلالات وإكسباص المعنى - وهذا هو بيت القصيد - ما ليس في نظيره إذ لو وصلت (سَمَا عُلَمَهُمُ اللَّهَ) بما قبلها كان المعنى: ولا يمكن أن يتبع كتاب الدين على طريقة ما علما الله كتابة الوثائق أو ما بينه له تعالى بالعدل. أو لا يأت أن يضع الناس بكتابته كما نفعه الله بتعليم الكتابة، وإنها جاء الأمر بها بعد النهي عن إبالتها تأكيدًا لها.. وعلى أن حالة (سَمَا عُلَمَهُمُ اللَّهَ) مبدوًا بها تكون الكاف متعلقة بها بعدها وهو الأمر في قوله: (قَبِّلَ) وعلمه فالنتهي عن الامتناع منها مطلق، قيد بعد بالأمر بها، والمعنى حينذاك: فلا أجل ما علمه الله فليكتب.

فهل ثمة ثراء أبلغ في الدلالات على المعنى بأكثر من وجه كهذا؟ وهل هناك من اتباع في التعبير عن المعنى بأكثر من صورة والتأكيد على العراد بغير ما طريقة أبلغ ما أبصرون؟ لكن ما يجب التتبه له هو أن هذه الوضائع ما كان لها أن تتأتي عند الاقتصر على ما ذكره علماء الوقف من أن الوقف على أحد هذين الموضوعين عليه أن يراقب الوقف على الموضوع الآخر بحيث إذا وقف على موضوع لا يحق له أن يقف على الآخر، حتى يتصل الكلام ويدخлож بعضه بحجز بعض .. لأن ذلك غير كاف ما لم يتم التعرف على سر ذلك يبدو
الوجه البديع في، في ذلك .. وبذلك وحده يتضح كيف يلتزم النسج وتلتزم المعنى، ولا يسوغ معرفة ذلك - بالطبع وبالدليل أو تجربة - إلا من خلال الوقوف على بلاغة النص ووجه إعراجه ولا سيما. أن دراسة قوانين الفصل والوصول في البلاغة العربية تنفتح لنا الباب واسعاً لمعالجة هذه الظاهرة القرآنية وما جاء على شاكلتها.

من هنا كان التأكيد من خلال عبارات السباقين على ضرورة ربط الوقف والابتداء يا يتصل بذلك من نحو ومن بلاغة على جهة الخصوص، حتى تؤتي القراءة أكلها من الإعماك ويجتني من وراء ذلك ثمرتها في التدبير، ونقطف من تلك الزهور والرياضين ونتحكي منها ما ورد عن ميمون بن مهران حين قال: "إني لأقشر من قراءة أقوام يرى أحدهم حتى عليه أن لا يمرات عن العشر آيات، إنما كانت القراء تقرأ القصص - أي المرتب ببعضها بعض - وإن طالت أو قصرت .. وقرأ أحدهم اليوم: (وإذا قِيل لَهُمْ لَا تُفْسِدُواُ فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُضْلِبُوْرَٰبٰ) .. البقرة/ 111، ويقوم في الركعة الثانية فيقرأ: (أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمَفْسِدُونَ .. البقرة/ 12)، يقصده أن يفعل ذلك في حين أن في الأخيرة أبدا على سباق من قول المنافقين .. هكذا أدرك القوم أهمية ألا تخرج قواعد الوقف والابتداء عن دائرة ولا عن ميدان ما اختُصت به من ربط ذلك بها يفيد المعنى ويسقى مع الإطار العام للنص، حتى يصيب ما خفي من ضرور البلاغة.

وأعلم يقيناً أن هذه الدراسة لا تستطيع بمفردها أن تصل إلى غاية المراد بل ولا حتى ما يقارب هذه الغاية، وإنما حسبها أنها تسعي بعد ودأب في أن تسد خلاصة، وفي أن ترفع حرجاً، وفي أن تشكو بداية للدراسات تكون أوسع .. كما أنها مقاتعة بأن اقتحام المخاطرة والسير في الطرق غير المعدة باب عظمي النفع يقدر ما هو عظيم الخطأ، وما ذلك إلا لأن خطأ السباق فيه يهدف إلى صواب اللحق .. وعلى أي حال في هذا كسب جديد للفلسفة العربية لا بد أن يأخذ حظه كاملاً ولا سيما أن كل ما كتب ولا يزال وسيظل، إنما هو خدم لما جاء به كتاب الله الحاقد إلى ذهن الباطل من بين يديه ولا خلفه تنزيل من حكيم حميد.
هذا وقد اقتضت خطة هذا البحث أن تأتي في مقدمة وخمسة مباحث تناول
أو لها الحديث عن دلالة (بل) في كلام أهل اللغة، ثم عن أثر الوقوف على هذا 
الحرف أو البدء به في إثارة المعنى واتساعه .. وجاء ثانيها ليتناول بنفس 
الطريقة والمنهج حرف الجواب (نعم) .. وخصوص الثالث بمعالجة حرف الرد 
والرد (كلا)، بعد الوقوف على دلالتها وما قاله أهل العلم في شأنها .. أما 
المبحث الرابع فكان عن حرف الكاف مع مدخله ليستيكن كيف أن الوقوف 
عليهما من خلال أي الذكر الحكيم دال على معنى، وكيف يفيد البدء بها معنى 
آخر .. وجاء المبحث الخامس والأخير ليتناول مدى إساغة البدء أو الوقف 
على الباء (على) و (من) وفي ومدخلاتها، وأثر ذلك – إن صح وكان ممكناً 
والمعنى معه مساغة – في إثارة المعنى واتساعه.

والله وحده هو الموفق والهادي إلى سواء السبيل.
المبحث الأول

(بل) .. دلالتها وأثر الوقف عليها والبدء
بها في إثراء المعنى
أولاً: أصل (بل) واستعمالها:

على الرغم من أن للتحة وأهل اللغة كلاماً سحيقاً في (بل) إلا أن كلمتهم اختفت فيها.Meta لفظة، فذكر بعضهم أنها من حيث الأصل "حرف ثلاثي الوضع والأنف من أصل الكلمة، وليس أصلها (بل) التي للعطف فدخلت الألف لإضافة أو للإضراب ورد أو للفت كأنه في (ربت) و(ثبت) خلافاً لزاعمي ذلك"، كما ذكره المرادي في (الجني)
وعضده السيوطي الذي نص على أن "(بل) حرف مترجح للجواب أصل الألف"، وقد صوب هذا المذهب من غير صاحب الجني السيوطي - على ما تضح من بعض عبارتهم – الإمامرضى، وما ارتواه من كونها حرفًا بسيطًا غير مركب يمثل رأي جهور البصرين.

ويفاد من كلام المرادي أن ثمة آراء أخرى قيلت فيها وضعت عليه (بل) وركبت منه، فقد ذكر جامع أن الأصل فيها "(بل) والأنف زائدة، وبعض هؤلاء يقول: إنها للتأنيث - أي لتأنيث الكلمة كنا هو الحال في الحروف (لات ورث وثمة) وشبهها مما زيدت أثناءها للفت كأنها - بدائل إملائها، ومن أجل جواز الإمالة فيها جاز كتابتها بالباء، وبعضهم ومنهم ابن فارس يرى أن مجيئها دلالة كلام، "يفال: أما خرج زيد؟ فقول: (بل)، والممعنى أنها (بل) وصلت بها ألف تكون دليلاً على كلام، ف(بل) رجوع عن جود والأنف دلالة كلام، كأنك قلت: (بل خرج زيد)، وكذلك قوله جـُـمث ثناه: (ألْسَبْ بِرَبِّكَ قَالُوُا بَلَّى، الأعراف/ 172)، المعنى - والله أعلم - (بل) أنت ربيتا".

ففي إذن عندنا، والكلمة (بل) مركبة من (بل) التي للإضراب، و (ألف) جعلوا وظيفتها الدلالة على كلام ذكر قبلًا، فجاءت زيادة على (بل).

---

(1) الجني الداني للمرادي ص 420.
(2) هعم الحواري 4/372، وينظر المعجم الوسيط مادة (بل).
(3) ينظر الكاتبة في النحو لابن الحاجب 2/382، وشرح الراضي 4/428.
(4) المغنى 1/131، وينظر شرح الراضي 4/428.
(5) الصاحبي ص 207.
كما "يحسن السكون عليها، لأنه لو قال (بل) كان يتوقع كلاماً بعد (بل)
فزادوا الألف ليزول عن المخاطب هذا النحو" وليعلم أن الكلام قد انقطع،
إذ الوقف لا يكون إلا بعد انقطاع الكلام.

ويرى بعضهم أن زيادة الألف للدلالة على الإجابة في جواب الاستفهام
فلو قال قائل: ألم أكرمك؟ فقلت: نعم، لكان المعنى: لا لم تكرمني، لأنك
حققته النفي وما بعده، وإذا قلت: بل، صار المعنى: أكرمتني .. وللسهل في
أصل (بل) قول غريب، فهو يرى أنها مكونة من "لفظ (بل) التي للإضراب،
ولفظ (لا) التي لنفي، فمن أجل ذلك لا تقع أبداً إلا إضراياً عن نفي، ومن
أضراب عن النفي فقد أراد الإجابة"، وهو كلام لا يخلو من واجهة ..
وينخلص من ذلك إلى أن جهور النحاة وأرباب اللغة يرون في (بل) أنها غير
مركبة، بينما يرى البعض الآخر أنها ركبت من (بل) التي للإضراب والألف
التي للتأنيث أو الدلالة على كلام مقدر أو على الإجابة في جواب الاستفهام، أو
منها و (لا) النافية، وينسب القول بالتركيب - أي ما كانت دلالة الألف -
إلى الكوفيين.

ولد (بل) في القرآن وفي سائر الكلام البليغ استعمالان:
الأول: أن تكون رداً لنفي يقع قبلها، خبرأ كان أو فيهما فينفي بها ما قبلها
من النفي وتحقيقه، تقول لهصاحب ذلك: (ما أكرمت؟) فيقول: (بل قد
أكرمت). و تقول: (لا تدخل الدار؟)، فيقول: (بل)، أي بل أدخلها، ومنه
قوله تعالى: (ذئب يأتهام قلنا لِئنَّ أَمْسِيَ لَسْتَ عَلِيْبَيْنَ في الأَنْبِيَّاءِ سِيِّبِلَ .. بلَّيْنَ .. ال
عمران/75)، أي عليهم سبيل، وقوله: (ما سكن أعمل من سوء، بلَّيْنَ ..
النحل/28)، أي بل عملتم السوء، وقوله تعالى: (وُقُضِّمُوا بِاللهِ جَهَدَ

1) لسان العرب مادة (بل) ويذكر معاني القرآن للقراءة 1/536 والدر المصون للسنين 1/456.
2) أمالي السهيلي ص 444.
3) ينظر في غير ما قدم المتضHub /432 وشرح الرضوي /276 وشرح كلا كخيص 79 دراسات
لأسلوب القرآن الكريم 1/58، 59 وما بعدها، والدر المصون للسنين الجليل 456/6 وقضايا
أَيْمَنِيَّهُمْ لَّا يُعْتَبِرُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ بَلَى .. النحل/ (38)، أي بَلْ يَبْعِثُهُمْ فِي مَجْلِسٍ آخِرٍ.(بَلَى) ردَّ اللَّهُ مَنْ أَنْفَسَ مَنْ قَدْ جَآءَتْهُ جَآئِهَا طَيْقًا .. الزُّرْمُ/ (59)، إذْ أَمَّنَهُ عِنْدَهُمْ (لَوْ أَرَبَّتْ اللَّهُ حَدُّ نَفْسِهِ .. الزُّرْمُ/ (57) ما هَدَانِيُّ، لَفَذَا أُجِبَ بِ(بَلَى) التَّيْنِ هِي جَوَابُ النَّفَـعِيَّ الْعَمُوِّيِّ، وَحَقِّقَهُ بَعْدَ بِقُولُهُ (قَدْ جَآَئَتْهُ جَآئٌهَا)، وَهَٰٓيِّنَ مِنْ أَعْمَلِ الْهَدَائِيَّاتِ ..

وَاسْتَحْلَكَ هَذَا الْجَوَابُ بِ(نَعْمَ) للنَّفَعِيَّ الْمَتَقْمِدِ فِي نَحْوٍ قُولِ الشَّاعِرِ:

أَلِيسُ الْلَّيْلُ يَجِمَعُ أَمْ عَمَوْرُ ، وَإِيَّانا فَذَاكَ بَنَـانِ تَدَايِنَ

نَعْمَ وَتَرِى الْفَلَالَ كَأَراَهَ ، وَيَعْلُوُهَا النَّهَارُ كَأَنَّهَا عَلَانِي،

فَقِيلُ ضَرْوَةٌ .. قَبِيلُ نَظُرٍ إِلَى الْمَعْنِيَّ لَوَ اسْتَفْهَامٍ إِذَا دَخَلَ عَلَى النَّهَيِّ قُرُهُ،

وَهَذَا يَقُولُ: فَكِيْفَ نِقْلٌ عِنْدَ أَحَمَّى أَنْفَسُهُمْ لَوْ قَالَوا: نَعْمَ. يَعْنِي جُوـابًا عَلَى ما

يُجَاءَ فِي قُولِ اللَّهِ تَعَالَى: (أَلْتَشْتُ بَيْنَكَمَ ..)، لَمْ يَفْكَرُوا، مَعَ أَنَّ الْنَّفَعِيَّ صَارَ إِجْباً؟

وَقِيلُ: قُولُهُ (نَعْمَ) لِسَبَرِ جُوَاـبِهِ (أَلِيسُ) إِنَّهُ هو جَوَابُ لِقُولِهِ (فِذَاكَ بَنَـانِ تَدَايِنَ).

أَما الْإِسْتَعْمَالُ الْثَّانِيَ: فَهَٰٓيِّنَ تَقَعُ جُوَاـبٌ لَّا إِسْتَفْهَامٍ دَخَلَ عَلَى نَفَعِيَّ، فَنَفِدُ

بِذَلِكَ الْإِبْتِيَاتِ وَالْتَصْدِيقِ لَمَا قَبِلَهَا، وَذَلِكَ نَحْوُ قُولِهِ لِصَاحِبِكُ: (أَلَمْ أَكُن

صَدِيقٌ فِي يُوْمِ مَا أَلَمْ أَحْسَنْ إِلَيْكَ؟)، فِي قُولُهُ (بَلَى) -إِذَا صَدِيقُكَ وَمَعَانِهِ: بَلَى كَنَّى صَدِيقٌ، وَبَلَى أَحْسَنَ إِلَيْكَ .. وَمَنْهُ قُولُهُ تَعَالَى: (أَمْ مَخْسَسُونَ أَنَا لَا

تَشْعِيْ سَرُّهُمْ وَيَجْوُهُمْ بَلَى .. الزُّرْخُفُ/ (80)، وَقُولُهُ: (أَخْسَسَ الْإِنْسُنِّ أَلَّا تَجِمَعُ عِظَاَمَهُ، (بَلَى .. الْفَيْمَةُ/ (43)، قَالَ الْجَانِبُ: الْتَقْدِيرُ بِلْنَحْيِهِ

قَادِرُ، لَوْ خَسِسَانُ، إِنَّا يَقِعُ مِنَ الْإِنسَانِ عَلَى نَفَعِ جَمْعِ الْعَمَامِ، وَ(بَلَى) إِبْتِيَاتُ فَعْلُ النَّفَعِيَّ، فِيْنِيَّةُ أَنْ يَكُونُ جَمْعُ بَعْدُهَا مَذْكُورًا عَلَى سَبِيل

الْإِجْبَارِ. (٢) جَاءَ فِي الْبَرْهَانِ بِلَفْظِ (الْحَسَابِ) وَلَعْلَمُ الصَّوَابِ فِي ذَكَرِهِ.
وإذا استشكل مجيء (بي) جوابًا للاستفهام المجرد أي غير المفتي في نحو آتي:

الزخرف والقياس، ورد ابن هشام من استشهد بنظير ذلك من الأحاديث النبوية أو احتضه يقوله: "وَلِيس هَؤُلاء أَن يَجتَهَا بِذَلِكَ لأَنْ قَلِيل، فَلا

يتخرج عليه التنزيل"، وذكر السيوطي على إثره ما أوردته صاحب المغني من عدم جواب الاستشهاد بذلك لفظته قائلًا: "وَأَما وَقوعها بعد الاستفهام المثبت

في حديث (أتيرين أن تكونوا ربع أهل الجنة، قالوا: بل)، فهو إما قليل، أو

من تغيير الرواة كا تقرر في غير ما موضوع".

وفي تقدير أن ما ذكره الرضي من شذوذ مجيء لتصديق الإيجاب:

ـ مستشهدًا يقول الشاعر:

وقد تعود بالوصل بيني وبينها * بِي إِن مِن زَار الْقِبْور لِيُعْدِداً

وقد ما ذكره المالكي من أن (بي) تكون جوابًا للنبي فقت، يرده ويفرد عليه

ما ذكرنا - وهو قليل من كثير ما جاء في كلام الله وأحاديث رسوله وأقوال

العرب - ومن ثم يكون الصواب في ذلك هو الحكم بقهره.

وعل ما هو الأصل في استعالي (بي)، فإنه في الجواب بها يستوي ما إذا

كان النبي مفادًا من المعنى كا في آية الزخرف، أو منه ومن اللفظ كا في سائر

ما ذكرنا من أمثلة، ويستوي في ذلك أيضاً ما إذا كان النبي ممسوقًا باستفهام

حقيقي على ما ذكرنا، أو مجازي على نحو ما في قول الله تعالى: (أَلَسْتُ بِرَيْبِكُم

قَالُوا بِيَّاً .. الأعراف/172) أي بِي أَنت رباً فإن الاستفهام هنا ليس على

حقيقته، بل هو للتقرير فأخروا النبي مع التقرير جرى النبي المجرد في رد

(بي)، وهي على هذا الأصل تصديق لما قبلها، وتظهر ذلك غير أن الاستفهام

معه توبيخ، ما جاء في آتي الزخرف والقياس .. كا يستوي في الجواب

ب(بي) ما إذا جاءت بعد كلام تعلق بها تعلق الجواب، أي صلحت هي أن

(1) مغني الليثيب 1/114
(2) هم الإفواه 1/72
(3) نظرة جرح الرسال 4/428
(4) رصيف المباني 715
تكون جوابًا له كما سابق، أو جاءت وليس قبلها ما يصحح أن يكون جوابًا له،
إذ يقدر حينها سؤال يكون لفظه لفظ الجواب، كقوله تعالى: (بلى من أسلم وَجَهَّهَهُ، لِيَهْوَى ١٢) أجره، عند زُئِجَةٍ (القرآن/ ١١٧)، فشئ سؤال
مقدِّر اختصر ووطني ذكره علمًا بالمعنى فكان جوابه: (بلى)، وأعيد السؤال في
الجواب.

القول في إثبات جواب (بلى) وحذفه:
من خلال استقراء مواضيع (بلى) في جيد الكلام وأبلغه، توصل أهل العلم
إلى جواز أن يعاد جواب بلى فيذكر ثانية بعدها، وإلى جواز حذف أو حذف
بعضه، فمن الأول قوله تعالى: (وقال الذين كفرُوا لا تأتيهم أنتِ أنتِ السَّاعَةُ قُلْ بَلِيْنَ وَرَبِّي نَتَّلِبُكُمْ .. سَبَعًا) (٣)، وقوله: (الَّذِي يَأْتِيكَ تَذِيرٌ) قَالُوا بَلَى قَدْ
جَآَهَا تَذِيرٌ .. (الملك/ ٩٨) .. وما حذف الجواب منه بالكلية، قوله تعالى:
(وَقَالُوا أَن تَمْكَنُوا آلِدَارُ إِلاَّ أَيَامًا مَّعْدُودَةً) وقوله بعدها (بَلَى .. البقرة/ ٨٠، ٨١)، أي نمسكم أكثر من ذلك، وقوله: (وَقَالُوا لَن يُدْخِلَ الْجَاثِيَةِ إِلَّا مَن كَانَ هُوَؤُلَآؤٌ) وَبَصَرَّئُ) وقوله بعدها: (بَلَى .. البقرة/ ١١١، ١١٢)، أي
يدخلها غيرهم، وقوله: (قَالَ أَوَلَمْ تَوْمَنْ قَالَ بَلَى .. البقرة/ ٢٦٠)، أي قد
آمنت، ولهما اكتفى فيه بذكر بعض الجواب دالًا على باقية قوله تعالى: (إِذْ تَقُولُ
لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَئِن يَكْفَيْكُمُ ۗ أَن تُعْمَدُ كُرُّمُ بَيْنَيْنِ إِلَّا نَفَقًا مِّنْ أَمْلَكِيَةٍ
مَتَزِينَ) بَلَى إِن تَصِيرُوا .. (آل عمران/ ١٢٥) (١/١٢٥)، أي بلى يكفيكم إن
صرتم، فالفعل المذود بعد (بلى): (يُكْفِيكم) هو الجواب وهو جزاء
للمشتر المذكور، ومنه قوله تعالى: (يَنَادُوُّهُمْ أَلَمْ يَكْفُهُمْ مَعْكُمْ قالُوا بَلَى ..
الحديث/ ١٤)، فذكر بعد (بلى وهو قوله: (وَلَكِنَّكُمْ تَفْتَرَى أَنْفُسَكُمْ)

(َ) بنظر شرح كلا ويب ونعم لكي ص/٢٧٠ والجني ص/٢٤٢ البهبان للمركزي/ ٢٦١ ويصيّر ذوي التميز للعبري وزيادي/ ٢٧٥.
وَتَرَبَّصْتُمْ وَآتَىَتُمْ وَخَرَجْتُمْ آنَاَيْمَيْنِ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَعَرَّكُمْ بِأَبْنَيْهِ. 

استدرك لما قدر في النفي المتقدم عليها، وما اكتفى فيه بعض الجواب قوله تعالى: وقد مر بنا: (بَلَىٰ قَدْ تَرَنَّىْنِ)، أي بلى نسمع عظامه قادرين. فذكر الجملة بمتابة ذكر الجزء من الجملة وكاف عنها. وقد تخفف (بَلَىٰ) وما بعدها اكتفاء بدلالة السياق عليها كقوله تعالى: (قَالَ أَلْلَهُ أَقْلُ لَكَ إِنَّكَ لَتَسْتَطْعِعْ مَعِيَ صَبْرًا... الكهف/ ٤٥)، أي بلى قلت لي.

ومهما يكن من أمر، وسواء أفادت (بَلَىٰ) رد النفي الذي وقع قبلها أو أفادت إثبات المستفهم عنه النفي قبلها ومن ثم إبطال النفي، فهي حرف جواب لا موقع لها من الأعراب وهي وما بعدها من كلام مذكور أو مخزوف في موقع النصب مقول القول.

ثانياً: أثر الوقف على (بَلَىٰ) والبدء بها في إثراء المعنى:

لواحظ أن مجيء (بَلَىٰ) على هذا النحو السالف الذكر يسهم الوقف عليها والبدء بها، ويأخذ عدة صور يتردد بينها، وتمثل هذه الصور في:

١- الاستئناف بها والاستئناف بجملة الشرط:

ويكون ذلك في مقام التأرجح في حمل المعنى في (بَلَىٰ) على الجواب أو جعلها وما بعدها كذلك، ففي قول الله تعالى على لسان مشتر يهود: (قَالَوا لَن تَمَسَّنَا الْيَوْمَ الْآخَرَ إِلَّا إِنَّا مَعْتَمِدُونَ) فإن أَخْرَجَهُم عَنْهُمْ عَلَى نَفْعٍ: فَلَنْ يَحْلِفُ اللَّهُ عَهْدَهُمْ. فَإِنَّهُمْ لَا يَتَعَلَّمُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَهُ " وَأَخْطَبَتْ بِهِ حَزَنَتُهُمْ فَأَوْلَٰئِكَ أَصْحَبُ الْيَوْمَ الْآخَرَ هُمْ فِيهَا خَيْبَةٌ .. البقرة/ ٨٠، ٨١)، تعددت وجهات النظر في الوقوف على (بَلَىٰ) والبدء بها,

(٤) بنظر البهران/ ٤/ ٢٦٥.
وفي كتابه (منار الهدى)، ارتأى الأشموني أن "(بلى) وما بعدها جواب للنبي السابق قيله".

وبيتي صاحب المنار وكذا من قال بقوله رأيه في البدء بـ (بلى) وعدم الوقوف عليها على أساس أنها جاءت لتكون بمنزلة رد الكلام اليهود ومن قال بقوهم من أهل الكفر: (لن تُمسكَا آيَانَا إِلَّا أَيَامًا مَّغْوُدَة)، والمعنى: (بل تمسك النار)، وذلك كقولك في جواب من يقول لك (ما قام زيد): (بلى) أي قد قام، وإنها سوغ جعل الجواب متعلقا بها بعده في الآية لفظا ومعنى - مع بقائه ردا لما قبلها- قوله تعالى فيها هو كالنتمة للجواب: (هم فيها خُلْدُون)، "قالت الزمخشري: يريد أن (أبدا) في مقابلة قوهم: (إِلَّا أَيَامًا مَّغْوُدَة)، وهو تقدر حسن.

وفي روح المعاني: قوله (بلى من كسب سبئية...) إلخ، "جواب عن قوهم المحكي وإيطال له على وجه عام، شامل له وسائر الكفرة .. كأنه قال: بل تمسك وغيركم دهراً طويلاً وزماناً مديداً- لا كأ تزعمون- ويكون ثبوت الكلية كالبركان على إيطال ذلك يجعله كبرى لصغرى، سهلة الحصول، فـ(بلى) داخلة على ما ذكر بعدها، وإنجاز الاختصار أبلغ من إيجاز الحذف".

وبرى المجيزون للوقف على (بلى) في الآية الكريم - والآلوي واحد منهم على ما ذكر عليه عبارته - إفادتها بالأساس إيطال قول اليهود: (لن تمسكَا آيَانَا إِلَّا أَيَامًا مَّغْوُدَة)، وإنها سوغ البدء بقوله عز من قال: (من كسب سبئية .. الآية) عند جلة الشرط "جلة مستنفدة لا موضوع لها من الأعراب، سبقت تعليلها لما أفادته (بلى) من ثبوت مس النار لهم، فكانه قبل أنتم كاذبون في زعمكم أن النار لن تمسكم إلا أياماً معدودة، فإنما ستمسك وتخذلون فيها أبد الأبدين، لأن من كسب سبئية - كفرًا - وأحاطته به خطيته.

(1) مباركة الهدى في بيان الوقف والإبدا ص 42.
(2) ينظر السابق كي ينظر على حاشيته المقصد لتلخيص ما في المرشد للأنصاري ص 42.
(3) الدرس المعلوم ص 556 وينظر الكشاف 1/192.
(4) روح المعاين 1/ 482.
واستولت عليه وأحدثت به من كل جانب فشملت ظاهره وباطنه وتناولت سره وجهره، فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون، فجملة (مَن كَسِّب سَيِّئَةٌ إِلَّا إِنَّهُ مَفْعُودٌ) لا تتعلق لها بالقبل من حيث اللغز، بل تعلقها به من حيث المعنى، فصح لذلك الوقف على (بَلِيْنِ) وهو وقت كاف.

وفي ترجيح الحمل على هذا المعنى -إيفاء بحقي السياق- والتحليل له، يقول صاحب التحرير والتنوير:

"قوله: (بَلِيْنِ) إبطال لقوهم: (أَلَّا تَمْسَتْنَا أَلْلَهُ إِلَّا أَيْمَامًا مَعْدُودًا)، وكليات الجواب تدخل على الكلام السابق لا على ما بعدها، فمعنى (بَلِيْنِ): بل أنت تمسك النار مدة طويلة، وقوله: (مَن كَسِّب سَيِّئَةٌ)، سند لما تضمنه (بَلِيْنِ)، من إبطال قوهم، أي ما أنت إلا ممن كسب خطيئة.. إلخ، ومن كسب سيئة وأحاطته بخطبته فأولئك أصحاب النار، فأنتم منهم لا مال على ف (مَن) في قوله (مَن كَسِّب سَيِّئَةٍ) شرطية، بدليل دخول الغفاء في جوابها، وهي في الشرع من صيغ العموم، ولذلك فهي مؤذنة بجملة محدودة دل عليها تعقيب (بَلِيْنِ) بهذا العموم، لأنه لا يرد به أن المخاطبين من زمر هذا العموم لكان ذكر العموم بعدها كلاماً متنايراً، ففي الكلام إيحاز الحذف ليكون المذكور كالقضية الكبرى لبرهان قوله: (بَلِيْنِ)".

وهو تعليل له وجاحته وهو كالتوضيح لما غمض في عبارة الألوسي والتفصيل لما أجمله، وإن اختلافا في موضوع الوقف أو البدء في حق حرف الجواب (بَلِيْنِ)، ويبقى القول على الرغم من ذلك أن في البدء بها عموماً وفي الوقف عنها خصوصاً.

(وَمَن) على القول بأنها شرطية هي في موقع البدء، خبرها الشرط (كَسِّب سَيِّئَةٌ) وما عطف عليها، أو الجزاء (فَأَكْتَبْتُ لَكَ)، أوهما معًا. .. وعلى جعلها موصلة بمعنى (الذي)، فلأбр قوله: (فَأَكْتَبْتَ لَكَ)، وإنها جاز دخول

---

1 معاس الأهداف للشيخ محمود خليل الحصري ص 115، 114. ينصرف.
2 تفسير التحرير للطاهر بن عاشور ک 281/ 3 جلد 1.
الفاء على الخير لاستكمال الشروط المذكورة فيها تقدم، ويريد كونها موصولة
ذكر قسمها بعدها موصولاً وهو قوله: (الذيرينء امثؤا.. الآية).
ومهما يكن من الأمر في (بلى) وفي (من) فالمراد بالسيدة هناء، السيدة
العظيمة وهي الكفر بدليل العطوف عليها بقوله: (وَأَحَطَّتْهُ بِخَطِيبَتِهِ) وعليه
تعلق الكسب بالسيدة إنا جاء على سبيل التهكم، وأضاف الإحاطة إليه
لكونها راسبة ومتمكة فيه، وهو سر إضافة الكسب إلى (سِيْفَة) وعِنْة
تكرِها، والاحاطة مستعارة لعدم الخلو عن الشيء لأن ما يحظى بالمرء لا يترك
له منفذاً للإقبال على غير ذلك .. والقصر المستفاد من التعريف في قوله:
(فَأَوْلَيْكَ أَصْحَبُ الْذَّارِيَةِ هُمْ فِيَّا خَلَدُونَ) هو من نوع الإضاف لقلب
اعتقادهم .. وقوله فيها بعد: (وَالْذِيْنَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا أَصْلَحًا أَوْلِيَاءٌ
أَصْحَبُ الْجِنَّةِ هُمْ فِيَّا خَلَدُونَ) تذيل لمتقب النذارة بالبشرة على
عادة القرآن، والمراد بالصحة في حق الصنف المصابة، وبالخلود حقيقته.

ونظر ما سبق ما جاء في قول الله تعالى: (وَقَالُوا لَن يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن
كَانَ هُوَ اَلْمُضْرِّرُ لِيَ ثُلُُُّكَ أَمْوَتُهُمْ قَلَّ هُمْ بِهِ مُحِيِّنُونَ إِن كَانَتْ
صِدْقَيْنِ بِمَن أَسَلَمَ وَجَهَّهَهُ لَهُ وَهُوَ مُحِيِّنُ فَلَهُ أَجْرَهُ عَنْدَ رَبِّهِ
وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ مُخْزُونُ .. البقرة/ 111، 112، فإنصر
الأشموئي ومن لف له على تعلق (بلى) وما بعدها، بما قبلها في حال وجود
شرط، وإساحة البدء بها مع جملة الشرط، وقاله في كتابه المختار: "(بلى) ليس
بوقف، لأن (بلى) وما بعدها جواب للنفي السابق، ومعلنة أن اليهود قالوا:
لن يدخل الجنة أحد إلا من كان يهودياً، والنصارى قالوا لن يدخل الجنة إلا
من كان نصارياً، فقالهم (بلى يدخلها من أسلم وجهه)، فقوله: (بلى)، رد
للنفي في قولي لن يدخل الجنة أحد" .. يقابل إصرار من الظاهر - ومن قال

(1) المنار ص. 47.
بقوله سابقاً، ولاحقاً، على أن قول الله تعالى: "(من اسمِّي) عُمْرٌ مُستَنَفِئة عن
(بَلِّي) لِجَوَابٍ سَؤَالٍ مِنْ يَتْلَبِّضٍ كَيْفَ نَقْضُ تَسْلِيمِ دَخُولَ الجَنَّةِ عَنْ غَيْرِ هَذِين
الْفِرْقِينَ، أَرِيدَ بِهَا أَنَّ الجَنَّةَ لِيُسْتَحْكِرَ لَأَحَدٍ وَلَكِنَّهَا يِسْتَحْكِرُهَا مِنْ أَسْلَمٍ
. إِلَّا أَنَّهُ، لِكَكَذَا حَجَّرْتُهُ، فَهُوَ فِي مَعْنِيِهِ لِدَخُولِ الجَنَّةِ، وَهُوَ جُوَاب
الشَّرْطُ لَأَنَّ (منْ) شَرْطٍ لَا مَلَاٰئِكَةُ، وَمِنْ قَدَرِ هَذَا فَعْلًاٌ فَعَلًاٌ بِ(بَلِّي) أَيْ (بِدَخْلَهَا
مِنْ أَسْلَمِ) قَدْ أَرَادَ تَقْدِيرِ مُعْنِيِهِ لَا تَقْدِيرٍ إِعْرَابٍ إِذَا لَا حَاجَةٌ لِلْتَقْدِيرِ هَنَا.
وَأُرِيدَ أَنْ لَا تَتَقَافَىِّنَوْعُهَا فِي الْقُولِ بَأَيِّ مِنْ هَذِهِ الأَرْاءِ، بِلْ هُوَ فِي مَبَابِ الْبَيْعِ فِي
الْمَعْنِيِّ وَحْلَ الْعَمَيْنِ عَلَىٰ غَيْرِ مَا وَجَهْ، وَفِي ذَلِكَ مِنْ الإِرَادَةِ وَمِنْ الإِجْزَاءِ مَا فِيهِ
ذُلِكَ أَنَّ كَلِمَةً (بَلِّي)، مَعْ نَقْصَهَا هُمْ هُمْ هُمْ هُمْ هُمْ هُمْ هُمْ هُمْ هُمْ هُمْ هُمْ هُمْ هُمْ هُمْ هُمْ
هُوَاءٌ أَوْ نَظَّارٍ (بَلِّي)، وَنَقْصَهَا غَيْرُهُمْ غَيْرُهُمْ غَيْرُهُمْ غَيْرُهُمْ غَيْرُهُمْ غَيْرُهُمْ
يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ دَوَاهُمْ. هُمْ هُمْ هُمْ هُمْ هُمْ هُمْ هُمْ هُمْ هُمْ هُمْ هُمْ هُمْ
لَدَلَّاهُ (بَلِّي) عَلَيْهِ اِسْتِحْقَاقُ مِنْ أَسْلَمِ مِنْ الْفِرْقِينِ لِدَخُولِهِ، وَقَدْ عَضِدَتْ مِن
شَأْنِ هَذَا التَّقْرِيرِ وَحَقَّنِ مِنْ أَمْرِ الْوَقْفِ عَلَىٰ (بَلِّي)، أَنْ بَعْدَهَا مَبْدَأٌ وَخُرْج
وُهُوَ قُولُهُ تَعَايُنُ: (مِنْ أَسْلَمِ وَجَهَّهُ) اللَّهُ، فَ(بَلِّي) شَرْطٌ فِي مَوْضِعِ رَفُع
بِالْبَيْعِ، وَ(فَلَيْنِي أَجَرْهُ،) مَبْدَأٌ وَخُرْجٌ فِي مَوْضِعِ خَرَجَتِهِ الْأَوَّلَ، وَالْفِاءِ
جُوَابُ الشَّرْطُ وَلَا يِبْتَدِئُهَا لَأَنَّهَا جُوَابُ لَمْ يَقْبَلَهَا. فَحْيَ رَوْعُيِّ ذَلِكَ كَانَ
الْوَقْفُ عَلَىٰ (بَلِّي) وَالْبَيْعِ بِجُمْهُرِ الْشَّرْطِ لَا إِسْتِقْلاَلُهَا وَتَوَافِرُ أَرْكَانِهَا، وَحِيْثُ
رَوْعُيِّ الرَّدِّ وَالجُوَابِ وَتَقْدِيرُ المَحِذُوِّفِ كَانَ الْبَدْءَ بِ(بَلِّي).
وَالذِّي يُنْبِيغِي أَنْ يَعْلَمَ أَنْ حُكْمَهُ- أَعْنِي أَهْلِ الْكَتَابِ مَنْ وَرْدَ ذُكْرِهِمُ فِي
النَّظَامِ الكُرِّيِّمِ- بَعْدُ دَخُولِ الغَيْرِ الجَنَّةِ، إِذَا هُوَ مُسْتَفَادٌ مِنْ عَبْارَتِهِمُ المُفَيْدَةِ
لِلْقَصْرِ أَقَرْرِ دَخُولُ الْجَنَّةِ عَلَيْهِمْ دَوَاهُمْ غَيْرُهُمْ وَهُوَ قُصْرُ بِمَعْنَاهُ
الْإِسْتِقْلاَلِيَّ.
وَالْقُولُ بَأَنَّ الرَّدِّ وَمِنْ ثُمَّ إِبْطَالِ النَّفَيْ مَتَوَجِّهُ مَنْ أَشَارَ إِلَيْهِ قُولُهُ تَعَايُنُ فِي
نَفْسِ السِّيَاسَةِ: (قُلُّ هَايَا أَتْبُرُّهُمْ؟)، بِعَيْنِ مِنْ نَفْسِ أَنْ يَكُونَ مَنْ بَرَحَانٌ، مَا

(1) التَّحْرِيرُ لِلطَّارِمٍ ٢٧٤ مَجَلِد١ وَبِنَظَرٍ (شَرْحُ كَلا وَبِل)، لَكِيْ ص ٨٢ وَالعَالَم ١١٥.
لا وجه له ولا دليل عليه .. وإسلام الوجه الله مراده تسليم الذات لأوامر الله تعالى، أي شدة الامتثال والانقراض، لأن (أسلوب) في أصل وضعها تكون بمعنى إلقاء السلاح وترك المقاومة، وإذا عبر بالوجه لأنه البعض الأشراف من الذات وفيه يظهر العز والذل، والعرب تبت بالوجه عن جملة الشيء كما قال الشنفري:

إذا قطعوا رأس وفى الرأس أكثر* وغورد عند الملتقى ثم سائر
ولا ضر من جعل إسلام الوجه في الآية يمنع الإخلاص فيكون مشتقً من السلام، ومنه قوله تعالى: (ورَجُلًا سَلَمَ لَهُ جَلَالَى (الزمر/ 29) .. وفي قوله:
(وهُوَ مَحِيسٌ) كذا بجملة الحال، إذدان بأنه لا يغني إسلام القلب وحده ولا العمل بدون إخلاص بل لا نجاة للعبد إلا بها، ورحة الله فوق ذلك إذ لا يخلو
امرأ من تقصيرًا.

وفي موضوعي (بُلِي) في آله عمران، وهما قوله تعالى في تسويف بعض أهل الكتاب لعلم تأدية الأمانة ورد تلك الشبهة وذلك الادعاء: (ذَلِكَ يَبْنِيهِ)
قالوا ليس علينا في الأمين سبب ويقولون على الله ألكذب وهم يعلموه* بُلِي من أوئلي يعهدوا وأثقى فإن الله يحب المنتمين .. آل
عمران/ 76).

وحسوله تعالى في واقعة تنزيل الملائكة على أهل بدر: (إذْ نَقُولُ
للمؤمنينِ أَلْمَ يَكْفُوُكُمْ أَنْ يُبْيَدَكُمْ رَيْكُمْ بلْتَبْنِيَةً ءالَّفْ من المليئة
مُزلَينِ بُلِي إنْ يَصَرُّوا وَيَتَقُوا وَبُتْنُوُمْ مِن فُؤَادْهُمْ هَنَّادُ يُحَدُّكُم
بِحْمَاسِ ءالَّفْ من المليئة مُسْؤَمين .. آل عمران/ 125، 141). أعقب
حرف الورد (بُلِي) جمل شرط كا هو الحال في آبي البقرة، ولأجل ذلك فقد
تبنى اللاشموني بأن يُحَل ويكرر ما سبق أن ذكره هناك، يقول معلقاً على ما
جاء في أولهما: "بُلِيَ ليس بوقف، وقبل وقف، لأن (بُلِي) جواب للنفي

(*) بنظر روح المعاني/1/666 والقرطيبي/1/700 والتحرير/2/275/مجلد 1
السابق، أي: بل عليهم سبيل العذاب بكذبهم، وتقدم في البركة ما يغني عن إعادته.

وعلى ما جاء في الثانية علق يقول: "(بلى) وما بعدها جواب للنفسي السابق الذي دخلت عليه ألف الاستفهام وما بعد (بلى) في صلته، فلاتفضل بينها، ولا وقف من قوله: (بلى) إلى (مَسَأْئِمَين)، فلا يوقف على (قُوْرُهم) ولا على (هَذَا)، لأن جواب الشرط لم يأت بعد وهو (يُنَبِّدْهُمْ)، فلا يفصل بين الشرط وجواب بالوقف.

وهو كلام وإن كان يحمل في طياته ما تعصب له من وجب البدء بـ (بلى).

بعددهما وما بعدها جواب للنفسي السابق ومن ثم عدم إساحة الوقوف عليها، إلا أنه هذه المرة ألحق إلى من قال بعكس قوله - وإن جاء ذلك منه بلفظ التمصيب.

الأمر الذي يعني بالضرورة إقراره بأن القاعدة التي بني عليها كل شرط جيء به بعد (بلى) وأنها معنى يمثلان الجواب، ومن أن (بلى) - لأجل ذلك ليس وقف"، هي محل نظر، وأن مرد ذلك إلى السياق الذي يسيغ البدء بـ (بلى) والوقوف عليها علـدَّ سواء، كما يسيغ حمل كل على معنى مغاير بما يدل على إثراء معاني ما ورد من ذلك في آي التنزيل وجعله على أكثر من وجه، وتلك من بلاغة القرآن ونن دلائل إعجازه.

ولا أدل على اضطراب المتشابهين يجعل (بلى) داخلة في جملة الشرط، من تراجع الأولوي هو الآخر يا كان قد تمسك به من قبل في هذه القضية من جعل (بلى) مع جملة الشرط جوابًا عن قولهم المحكي، وذلك أثناء معالجته وتناوله لما ورد في قول الله تعالى: (ذَلِكَ يَدْعُوهُ قَالُوا لَيْسَ عَلِيْئاً فِي الأَمْيَّةِ).

(1) المتنر ص 82 ..(إن) على ما عرفنا شرطية أو موصولة، والرابط من الجملة الجزائية أو الخبرية هو العمموم في المتنر، وعند ما يرى الربط بقيام الظاهرة مقات المضموم يقول ذلك هنا، وقيل الجزاء أو الخبر محدد تقديره: (يعيد الله)، ودل على هذا المحدوث قوله: (فإن الله يحب المتعين) .. وفيه تكلف لا حاجة - على حد ما ذكر الخليفي - إليه .. ينظر الدر المصون 3/219.

(2) مدار الإهدى ص 87.
سَبِيلٍ: إنّه، فقد ذكر أن "بَلَى" جواب لقولهم: (ليْسَ عَلِيًّا في الأَمَيْنَ سَبِيلٍ)، وإجاب ما نفوذه، والمعنى: بل عليهم في الأمين سبيل." فتقدير الجوهر على هذا النحو بالنظر لما قاله عقب ذلك من أن قوله تعالى: "(مَن أُوْفِى يُعْهَدَهُ وَأَتَنَّى فَإِنَّ اللَّهَ يُحَبّ الْمُتَّقِينَ)" استناداً مقرر للجملة التي دلت عليها (ِِبَلَى)، فقد أفادت بمفهومها المخالف، ذو من لم يف بالحقوق مطلقاً فيدخلون فيه دخولاً أولياً .. ولا ذكره في قول الله تعالى: (أَلَن يَكْفَيْكُمْ إِنْ بَلَى) من أن (ِِبَلَى)، إجاب لما بعد (ِِبَلَى) أي: بل يكفيكم ذلك"، مما يعني جعل جملة الشرط استناداً .. يظهر ويكون لنا ما قررناه هنا من أمر اضطرابه وعدم جعله الباب طرداً وعلى وقعة واحدة.

وإن كان من غير يمكن أن يلتبس للألوسي فهو مراماته للفروق الدقيقة في سياقات الآيات وتفريغه في التقدير بين ما خالف مفهومه بعد (ِِبَلَى) من سياقات عنا كان قليلها، وما واقعه إعلا والوفاء بحق السياق.

وفي ترجيح ما سافه الأشموني بلفظ التمييز وما رفع إليه الألوسي على مضض يقول صاحب العلم في توجيهه والتعليم له: "كلمة (ِِبَلَى) في الآية (ِِبَلَى مَن أُوْفِى يُعْهَدَهُ وَأَتَنَّى فَإِنَّ اللَّهَ يُحَبّ الْمُتَّقِينَ) مبطلة قول اليهود (َِّيْسَ عَلِيًّا في الأَمَيْنَ سَبِيلٍ)، يعنون بهذا القول: ليس علينا فيما أصيبنا من حال العرب إثم ولا حرج، ولا ذم ولا عناد، لأنهم ليسوا أهل كتاب مثلنا، وهذا معنى وصفهم بالأيمن، فهم بهذا القول قد نفووا الإمام والخرج عنهم في أخذ أموال العرب، فنجاء كلمة (ِِبَلَى) فاطلت هذا النفي، وإذا بطل نفي الإمام والحرج عنهم ثبت عليهم الإمام والخرج واستحقاقاً الدم واللوم فتكون هذه الكلمة أثبت عليهم ما نفووه عن أنفسهم.

وقوله تعالى: (مَن أُوْفِى يُعْهَدَهُ وَأَتَنَّى فَإِنَّ اللَّهَ يُحَبّ الْمُتَّقِينَ)، جملة مستأنفة ليس لها موضوع من الأعراب مقرر لمعنى الجملة التي نابت (ِِبَلَى).

(1) روح المعاني 3/ 324 مجلد 3
(2) السابق 4/ 71 مجلد 3

٢٠
منبها وستد متضمنة، وبين ذلك أن (بِلَّٰ) قامت مقام جملة تقديرها: عليكم إتمم وذنب في ظلكم العرب وخيانتكم لهم واستحلالكم أمواهم، وجملة: (فَمَنْ أَوْقَىٰ يَعْقِهَا .. إِنَّهُ مَكْتُوبًا مَعْنَى الجُلْطَةَ الَّتِي قَامَتْ (بِلَّٰ) مقامها، وحيث كانت هذه الجملة- (فَمَنْ أَوْقَىٰ .. إِنَّهُ مَكْتُوبًا) مستندة مؤكدة مضمون ما قبلها يكون الارتباط بينها وبين ما قبلهما معنويًا لا نظريًا، فيكون الوقف على (بِلَّٰ) كافياً!.. كا يشير صاحب التفسير الكبير إلى أن اليهود عندما قالوا: (لَا يَعْلَمُنَا عِنْدَكَ سَبِيلًا) "قال الله تعالى راداً عليهم: (بِلَّٰ) عليهم سبيل في ذلك، وهذا اختيار الزجاج، قال: وعندى وقف النام على (بِلَّٰ) وهذه استنفاذ".

وفي إساغة حمل الآية على وجهها السالفى الذكر، ينص الرازي على أن "في (بِلَّٰ) وجهين، أحدهما: أنه لمجرد نفي ما قبله"، وساق في إساغة كلام الزجاج السابق، "وثانيها: أن كلمة (بِلَّٰ)، كلمة تذكر ابتداء لكلام آخر يذكر بعده، وذلك لأن قولهم: (لَا يَعْلَمُنَا عِنْدَكَ سَبِيلًا) قائم مقام قولهم: (نَحْنُ أَبْنَاءِ اللَّهِ) فذكر الله تعالى أن أهل الوفاء بالعهد والتقية هم الذين يجهمون الله تعالى لا غيرهم، وعلى هذا الرجاء فإنه لا يحسن الوقف على (بِلَّٰ).

وتحمل القول أن الجزم في أمر البدء بـ (بِلَّٰ) في موضوع يسيع سياقه الوقوف عندنا لا يجوز القول به فضلاً عن التعصب له، وإنما ينبغي أن يكون مرد ذلك إلى السياق، فقد يرد في السياق ما يشير إلى ترجيح ما اختاره الزجاج ومن قال بقوله وخلافة مارأه الأشموني، فالاستفهام في الموضوع التالي لسورة

(1) معال الأحمدان للكشيف الحصري ص 117، ويحده ذكر في قول الله تعالى: (إِنَّمَا تَوَلَّى مَعَ ابْنِي الْمُسْلِمِينَ) أن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف .. إِنَّهُ مَكْتُوبًا، فقال ما نصه: "قوله: (إِنَّمَا تَوَلَّى مَعَ ابْنِي الْمُسْلِمِينَ) وعده كريم من الموال عز وجل لملاذ المؤمنين بزيادة الإيمان إن صبروا على لقاء أعدائهم وعلل مشقة الجهاد وممارته، واتقوا ريبًا يأوكم نرى، واتقوا خلافته، وليس لهذه الجملة مطلقًا إلا مثلاً في الغناء folders.

(2) مفاتيح الغني للمرزلي 248/3.

(3) السابق.
آل عمران وهو قوله: «أَلَئِنْ يَكْفِيَكُمْ تَقْرِيرُيْ» تقريري، والتقريري يكثر وروده في النفي، وإنها جيء في النفي بحرف (لن) الذي يفيد تأكيد النفي للإشعار بأنهم كانوا يوم بدر- لقلفتهم وضعفهم مع كثرة عدوهم وشوكته- كالآيتين من كيفية هذا المد من الملاحظة، فأوقع الاستفهام التقريري على ذلك ليكون تلقيناً لمن يُخالف نفسه اليأس من كيفية ذلك العدد من الملاحظة بأن يصرح بها في نفسه، والمقصود من ذلك لا شيء وهذا إثبات أن ذلك العدد كاف، ولأجل كون الاستفهام غير حقيقي كان جوابه من قبل السائل، بقوله: (بلى) لأنه ما لا تسع المماراة فيه، فكان (بلى) إبطالاً للنفي وإثباتاً لكون ذلك العدد كافياً، وهو من تمام مقالة النبي ﷺ للمؤمنين.

وعلل ذلك الذي نفت الطاهر الانتباه له وما ذكره مكي من أن وما "يدل على حسن الوقف على (بَلَّ) أن بعدها (إن) التي للرشد وهي مما يبتذل به لأنها وما بعدها كالابتداء والخبر"، هو ما حدا بالقرطيبي لأن يقول بعد ذكره لملابسات هذه الآية الكريمة. "ثم قال: (بَلَّ)، ومن الكلام"، وفي تقديري أن ما ذكره ابن عاشور أبلغ وأرسخ في النفس، وألصق وأعلق بالقلب من الاكتفاء بها نص عليه مكي، وإن كان كلام الأخير لا يخلو من فائدة.

٢- (بَلَّ) بين الاستناف بها (وبه يترجح أو يغلب عليه التعلق اللفظي):

ما هو ظاهر في تعلق ما بعد حرف الجواب (بَلَّ) بها هو قبله تعلقاً لفظياً، ما جاء في قول الله تعالى في حق أهل الشرك: (وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهَدَ أَيْضًاهُمْ) لا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمْوتُ بَلَّ وَعَدَ عَلَيْهِ حَقًا وَلَكِنَّ أَحْسَرَ الْأَنْثَاسِ لَا يَعْلَمُونَ... النحل/٣٨، وفي شأن إساغة الوقف على (بَلَّ) والابتداء بها.

١) الفرقاني ٢/١٥١٤ ويبن شرب كلا (بَلَّ) مكي ص ٨٥ والتحرير ٤/٢٣ مج لد ٣.

٢) ويسمى مثل هذا الوقف بالوقف الحسن وهو الذي يحسن الوقف عليه والابتداء بها بعدة إلا أن الذي بعده متعلق به من جهة اللفظ لامعنى.
وامتناع كلّ فيما سبق، يقول القيسي: "الوقت على (بَلِيَّ) يجوز وهو قول نافع
وغيره، لأنّا جواب للنفي الذي قبله وهو قوله: (لا يَتَّبِعُ الَّذِينَ مِن يَمْوَتُ) فلمعنى: بلّ بيعتهم الله، ثمّ حذف للدلالة (بَلِيَّ) عليه، والاختيار أنّ الوقت على
(حقّاً)، لأنّ (وعدًا) مصدر مؤكد لما قبله وهو إيجاب بيعتهم ولا يحسن التفريع بين التأكيد والمؤكد، ولا يحسن الابتداء بـ (بَلِيَّ) لأنّا جواب لما قبلها.

وعقد أجازه الأخفش وأبو حامد وأحمد بن جعفر.

وفي كلام القيسي إجمال يحتاج إلى تفصيل، إذ قوله فيما كان عندنا هو المختار: "ولا يحسن التفريع بين التأكيد والمؤكد" تلبيع إلى التعلق اللفظي فيها
بين قوله (وعدًا عَلَيْهِ حَقّاً) وهو الواقع بعد (بَلِيَّ)، وقوله فيما قبلها حكاية
عن مقولة أهل الكفر (لا يَتَّبِعُ الَّذِينَ مِن يَمْوَتُ)، وبوحي كلام القيسي وكل
من قال بقوله بعدم إساحة البدء بـ (بَلِيَّ) ولا حتى الوقت عليها، وما قاله وجه
بلاغي يرمي إليه السباق ويقضيه المقام، ذلك أنّ قوله تعالى: (وعدًا) مصدر
مؤكد للجملة التي دلت عليها (بَلِيَّ) من حصول البعث بعد الموت والمقدرة
بقولنا: (ليبعثهم)، لأنّ فيها معنى الوعد بالبعث والإخلاص عنه، قال الآلوسي:
"ويعني نحو هذا مؤكداً لنفسه"، أي مؤكداً معنى فعل هو عين معنى المفعول
المطلق .. وخل في قصة النزول ما يدعم هذا الأتجاه، فقد ذكر في قصة نزول
هذه الآية فيها نقله الآلوسي عن ابن الجوزي وأبي العالية أن رجلاً من المسلمين
تقاضى ديناً على رجل من المشركين فكان أن تكلم المسلم وأرجأه - عندما
ماطله- لما بعد الموت أن لا يستطع مقاصاته في الدنيا، فقال المشرك: وإنك
لتتبع بعد الموت؟!، وأقسم بالله لا يبعث الله من يموت، فقص الله تعالى ذلك
ورده أبلغ رد، وذلك من وجهين:
"الأول: أنه وعدّ حق على الله تعالى فوجب تحققه، ثمّين السبب الذي
لأجله كان وعدًا حقاً على الله تعالى، وهو التمييز بين المطيع
والعاصي وبين المحقق والمبطل وبين الظلم والمظالم، وهو قوله تعالى:

(1) شرح كلا ويل ونعم لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي ص 92, 91.
ليَعْلِمُ الَّذِي خَلَقَهُمَا فِيهِ وَليَعْلَمُ الَّذِي تُخَلِّفُهُمَا كَفَّارًا أَنَّهُمْ كَانُوا صَادِقِينَ

(النحل/39).

الوجه الثاني: في بيان إمكان الحشر والنسر: أن كونه تعالى موحداً للأشياء ومكوناً لها، لا يتوقف على سبب مادة ولا مادة ولا آلة، وهو تعالى إياه يكونه بموضوع قدرته وممشيه، وليس لقدره دافع ولا ممشيه مانع، فعِرَاع تعالى عن هذا النِّفاذ الخالي عن المعارض بقوله تعالى: (إِنَّمَا أَمَرْتَهُ إِذَا أُرِادَ شَيْءًا أَن يُقُولَ لَهُ: كُن فِي كُونٍ: يس/82)، وإذا كان كذلك، فكأنه تعالى قدر على الإيجاد في الابتداء وجب أن يكون قادرًا عليه في الإعادة، فثبت بهذين الدليلين القاطعين أن القول بالحشر والنسر والبعث والقيامة حق وصدق، والقوم إذا طعنا في صحة النبوة بناء على الطعن في هذا الأصل، فلما بطل هذا الطعن بطل أيضًا طعنهم في النبوة"، وذلك كله ما يقتضيه عدم الوقف على (بَلَّأَ).

وعدم البدء بها.

لكن بلاغة القرآن - على نحو ما رأينا - ومن خلال استقراء لنا مواقف التعانق فيه - لا تقف عند حدٍ، وفي كلام القبيض ذاته ما يشير إلى أن الوقف على (بَلَّأ) يجوز .. لأنها جواب للنفي الذي قيل لها، وحسب (بَلَّأ) والبلاغة كا هو معناه الإيجاز - أن تكون دالية على جوابها المحدود، هذا وقد قال "قال نافع: (مَن يَمْوَت بَلَّأً) لأن (بَلَّأ) رد لكلامهم وتكذيب لقولهم، وما بعدها منصوب بفعل مضموم، أي: (وَعَدَّكُم الله وعدًا)").

 وهذا ما أفاده الآلوسي حين قال: "وجَعَلَ أن يكون مصدراً لمحدود، أي: (وعد ذلك وعداً)، وقوله: (عليه صفة (وعَدَّ) والمراد به: (وعداً) ثابتاً عليه إنجازه)، إلا فحسب الوعد ليس ثابتاً عليه، وثبت الإنجاز لامتناع الخلف في

---

(1) تفسير الرazi 9/525.
(2) مدار الهذلي ص 215 وينظر المفسد على حاشيته، وشرح (كلا) (بَلَّأ) لمكي ص 92 والتحرير 154/14 مجلد 7.

24
وعده أو لأن البحث من مقتضيات الحكم، فهو كالواجب عليه في أنه لا يقبل
الخلف.
في الكلام استعارة مكنية، حيث يشبه الوعد الذي وعده الله بمحض
إرادته وإخباره بالحق الواجب عليه ورغم إليه بحرف الاستعارة، (حقًا)
صفة أخرى لـ (وعدًا) والتقدير: بل يعثهم وعد بذلك، وهي مؤكدة إن كان
بمعنى ثابتًا محققًا، ومؤسسة إن كان بمعنى: (غير باطل)، وهو على أيّ
بمعنى الصدق الذي لا يتخلف، أو نصب على المصدرية بمحذوف أي (حق
حقًا)

بل وليس ثمة – القرآن حَجَال أوجه - ما يمنع من البدء بها، بل يجعل
وذلك هو الأعجاب في ثراء القرآن واتساب معانيه - "الوقوف على (من يُموتُ)
كاف، لأنه - على حد ما ذكر صاحب المضارع وأساسه الأخفش وأبو حاتم وأحمد
بن جعفر والأنصاري - انقضاء كلام الكفار، ثم يبتئد (بي بعث الله
الرسول ليبينهم الذي يختلفون فيه)، وحديث: (كل نبي عدي ولم يك ينبغي
له أن يكذبني)"، ويؤيد الوقوف على هذا نحو قراءة الضحاك: (وعدَّ عليه
حقَّ) برفعهما على أن (وعد) خبر مبتدأ مضمر أي بلي بعثه وعد على الله،
ورغم (حق) نعت لـ (وعد).

والعدل عن (الموتي) إلى (من يُموتُ) - أي ما كان الأمر - لقصد إثبات
الصلة بتعيل نفي البعث، فإن الصلة أقوى دلاله على التعيل من دلالة المشتاق
على علية الاشتقاق، فهم جعلوا الاضمحلال منيفًا لإعادة الحياة كما حكا
القرآن عنهم قومهم: (أُذِيدُكَنَّا نَزُبًا وَأَوْلَاءُنَا أَيْنَكَ لَمْ تُحْرِجْنُوهُم بَعْدَ الْبِلَاءُ)...

(67)

(1) روح المعاني 14/2008 بتحرير سير ونشر العام ل.27
(2) مشار الهدی 215 ونشر المصدرة بتحليته وشرح (كالا) (بي) لابن أبي طالب الطاسي ص
94.
(3) بنظر البحر المحيط 5/490 والدر الصوح 7/219.
وقرب الصلة بها سبق ما جاء في قوله سبحانه: (أُولِيَ الْأَلْبَاءِ خَلَقْتُهُمْ مِثْلًا١ وَخَلَقْتُ الْخَلْقَ الْأَعَلِيمَ). يس/٨١، فقد ذكر جلّ أهله العلم أن قوله تعالى: (وَهُوَ الْخَلْقُ الْأَعَلِيمُ) معطوف على الجملة التي سدت (بَلِيْ), مسدها، والتقدير: هو قادر على ذلك وهو الخلق العليم، ومقتضى العطف عدم جواز الوقوف على (بَلِيْ), ولكن لكونه من عطف الجمل لا من عطف المراءات، يسوغ الوقوف على (بَلِيْ).

ومما يسهل القول بموافقة هذا الوقف وعدم خلافته لسباق الآية، وقوع (بَلِيْ) جواباً للاستفهام الداخل على النفي قبلها والمصير حاجة إيجاباً وهو قوله: (أُولِيَ الْأَلْبَاءِ خَلَقْتُهُمْ مِثْلًا١ وَخَلَقْتُ الْخَلْقَ الْأَعَلِيمَ), ودلالة (بَلِيْ) على إبطال عدم قدرة الله تعالى على أن يخلق مثلهم، واضحة في كونها دالة على إثبات قدرته تعالى على ذلك، لأن إذا بطل عدم القدرة تثبت القدرة.

وقد روعي في أسلوب هذه الآية صورة النفي المت строк به الواقع بعد الحمزة، ولم يراعى الهمزة، ومن ثم كان السؤال والجواب من قبَّله تعالى، وكان في الإثنيان بالجواب (بَلِيْ), رمز إلى أن هو المتعين لأن يكون جواباً للفني لا لغيره، فالخبر جواب من جهةه تعالى وتصريح بما أفاه الاستفهام الإنيكاري من تقرير ما بعد النفي من القدرة على الخلق والإيدان بتعبيه للجواب طلقوا به أو تعلموا فيه خلافة الالتزام.

وحرص النظر عن درجة الوقف وما إذا الوقف على (بَلِيْ) هو من قبل الحسن مراعاة لكون العطف في الآية الكريمة على ما قبله هو من عطف الجمل فتكون التعلق من نوع التعلق اللطفي لا المعنوي، أو من قبل الكافي لتحقيق الارتباط المعنوي بين السؤال والجواب، فالمحصلة في النهاية إساغة الوقف على (بَلِيْ), وهو - على حد ما ذكر ابن أبي طالب القيسي - "حسن جيد بالغ، وهو قول نافع ومحمد بن عيسى .. ويدل على حسن الوقف عليها أن ما بعدها

---

١ المعلص ١٢٣
١٠ بنظر السابق وشرح كلا ويل ص ٩٤ وروح المعاني ٢/ ٨٣ مجلد ١٣.
ميبدأ وخبر، وهو قوله تعالى: (وَوَجَّهُ الْخَلَقَاتِ). ... غير أن ادعاءه بأن الابتداء بـ (بَلِّي) ضعيف، في نظر ولاسيما قد تبناه أبو حاتم واعتبره وقال به، وفي إجمال ما ذكره هو وغيره يقول الأشموني: (تَوَقَّفُونَ) تام للابتداء بالاستفهام بعده، ونيله في التهام (بَلِّي) عند أبي حاتم لاتهاء الاستفهام، ووقف جمع على (بَلِّي)، وعليها مما واجب ومضض، فتوجهه عند أبي حاتم تام الاستفهام، وموجب الثاني وهو أجود، تقدّم النفي وهو: (أَلْيَسْ) لأن (لَيْسَ) نفي ودخل عليها الاستفهام فصّرها إيجابًا، وما بعدها لا تعلق له بها، فصار الوقف عليها لم متضبات، وعدم الوقف عليها لم متضض واحد، وما له متضبات أجود ما لم متضض واحد.

ولاين عاشور في جملة (وَوَجَّهُ الْخَلَقَاتِ الْعَلِيمُ) رأي لا أظن أن أحدًا قال به أو سبقه إليه، وهو رأي يزيد في أرى ـ من متضبات الوقف على (بَلِّي) فقد عدها "معترضة في آخر الكلام والواو اعترابية أي هو خلق خلائق كثيرة وواسع العلم بأحواها ودقات ترتيبها"، ولا أرى لم أثر جعلها كذلك في آخر الكلام، وفيها وليها ما يصل في نفس المعنى ويشد من أزره، إذ يقول جل ذكره (إِنَّمَا أَمْرُهُ: إِذَا أَرَادَ شَيْئًا لَّهُ يَقُولُ لَهُ: كَن فَيَكُونَ .. يس / 82)، وإن كان البرازي يرى في الآية تأكيدًا وإظهارًا لفساد مثيلهم وتشبيههم وما ضربوه في أمثالهم .. ولا يعني ما أضفاه لصاحب التحرير والتنوير، القصد في متضض البدء بـ (بَلِّي)، إذ المسأله كا هو متضضح لا تبدو كونها أجود ولا تصل لحد المع أو الضعف على ما زُعم.

وأما هو من هذا يسبيل ما جاء في قوله عز من قائل: (أَوْ تَقُولُ حَيْنَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَرَتْ لِسُكْرَةٍ فَأُذُنَّ بِمِنْ أَنْفَحَتْ بَلِّي فَقَدْ جَاءَتَكَ

(1) شرح كلا وبل ص 94.
(2) المارد ص 322.
(3) التحرير 23/79 مجلد 11.
فجلمة من القراء وغيرهم من أهل العلم والتأويل، على أنه لا يسوع في آية الزمر البديلة بـ (بلى) ولها حتى الوقف عليها، لكونها وما بعدها جوابًا لما قبلها، فهي "لم تسبق بنفي ملقوظ به ولا شيء من مقتضيات الوقف ولا من موجباته، بل هي هنا جواب لمن مقدر عليه تقرير، كأن الكافر قال: لم يثبت في الأمر في الدنيا ولا هداية، فرد الله عليه حسرته وقوله بقوله: (بلى قد جاء ذلك
"أي إنك فكانت بما واقعتك")، قال أبو حيان: ليس حقًا نفي المقرر، بل حقه النفي ثم حمل التقرر عليه، ولذلك أجاب بعض العرب النفي المقرر بـ (نعم) دون (بلى)، وكذا وقع في عبارة سبيهية.

وتخصص ذلك أنه "لا نفي في واحدة من المقالات الثلاث التي حكاها الله تعالى عن الكافر- وهي (ينبزرة قريبًا في جنب الله وإن كنت لمن النجاة)، (لو أراك أنا الله ديني)، (لو أراك هي صرفة فتكون من آل من الحسنين)... لكن قوله: (لو أراك أنا الله ديني لكنت من آل من الحسنين) يدل على نفي هديته، لأن كلمة (لو) موضوعة للدلالة على امتاع جوابها لامتاع شرطها، فهي هنا دالة على امتاع كونه من المتقين لامتاع هديته، فتكون امتاع الهدية سبباً لامتناع كونه من المتقين، فحينئذ تكون الهدية منفية، فكان الكافر قال: لم يهدني الله فلم أكن من المتقين، فجيء بكلمة (بلى) لΝقيض نفي الهدية في قول الكافر (لم يهدني الله) وإبطاله، وإذا بطل نفي الهدية الله له ثبوت الهدية. فكأنه قيل للكافر قد هديتك وأرشدتك وأرسلت لك الرسل وأقمت لك الأدلة، فأتتي الذي أثت طريق الغيب على طريق الهدى، وبعنه على هذا تكون جملة (قد جاء ذلك) "أي إنك" الآية، مؤكدة ومقررة للجملة التي دلت عليها وسعت مسدها كلمة (بلى)".

---

1) مصارع الهدي ص 335، ونظر المحرر الرجيز لابن عطية 1/48.
2) وعبارة في الكتاب: "إذا استفهشت قلت أن فعل؟ بـ (نعم) فإذا قلت: أنت تفعل؟ قال: (بلى)." نظر الكتاب 2/123 ونظر البحر المحيط لابن حيان 7/436.
3) معالم الانتهاء ص 128، 129.
وينبغي إتباع ما ذكرنا وصل المؤكد بالمؤكد.. ومع كل هذا فقد سوء البدء بـ (بَلِّي) كون ما قبله رأس آية .. كأن سوء الوقف عليه جواز وقابلية أن يكون جواباً للنفي في قوله: (وَإِنْ كَنْتُ لَمَّنَ أَلْسَنِيْنَ) لأن (إِن) عند الكوفيين بمعنى (ما) واللام بمعنى (لا) والتقدير: وما كنت إلا لمن الساخرين، فيكون التقدير: بل كنت من الساخرين، فضمن حينذاك على (بَلِّي) في التقدير، وينتبذ بـ (قَدْ جَاءَ بِهَا دَيْنِي فَكَذَّبْتُ بِهَا وَأَسَتَكْرَتْ وَكُنتُ مَنِيْنَ) ألكفرين، على طريق التوبيخ والتقدير .. كذا أفاده ابن أبي طالب الفقيه!، وإذا جاء التوبيخ والتقدير من جعل الحجة على الكفار من الله ولم تكن لهم على الله، ولو أن الأمر كما قالوا كأنهم لم يقولوا: قد جاءنا الآيات ولكنك خلقته فينا التذكيب بها، فوصفهم سبحانه بالتذكيب والاستكبار والكفر عليه وجه الدهم، إذ لو لم تكون هذه الأعمال فيهم لما صح الكلام .. بل وأساغه تأويل جواب (لَوْ) على معنى النفي - وذلك من جمل ما هُدِيت إلىه - وفي شأنه يقول الإمام القرطبي: "قال الزجاج: (بَلِّي) جواب النفي وليس في الكلام لنفي النفي، ولكن معنى (لَوْ أَرِيَ اللَّهَ هَدًى) ما هداني، وكان هذا القائل قال: ما هُدِيت، فقيل: بل، قد بُين لك طريق الهدى فكنت بحيث لو أردت أن تؤمن أمكنك أن تؤمن". وهذه ولسمن الحلي في جواب (بَلِّي) - من غير ما ذكرنا من النفي المقدر والمقرر - وجه آخر قال فيه: "إن التميمي المذكور وجوابه متضمنان لنفي الهدية، كأنه قال: لم أهتد، فردا الله عليه ذلك، قال الزمخشري: "إِنَّ قَلْتُ: هَلَا قَرْنَجَابَ يَا هُوَ جَوابَ لَهُ وَهُوَ قَوْلُهُ: (لَوْ أَرِيَ اللَّهَ هَدًى) ولم يفصل بينهما؟ قلت: لأنه لا يُغلِخ إما أن يقدر على إحدى القرائن الثلاث ففرق بينه، وإما أن تؤخَر القرين الوسطى، فلم يحسن الأول لما فيه من تبخير النظام بين القرائن،  

(1) تفسير القرطبي 4/8 وينظر شرح كلا ويب. ص 560 و 949 والترازي 13/463. 
(2) تفسير القرطبي 8/5 وينظر تفسير الزرازي 13/461.
وأما الثاني فلا في من نقض الترتيب، وهو التحسر على التفصيل في الطاعة ثم التعلل بفقد الهدية ثم مني الرجعة، فكان الصواب ما جاء عليه، وهو أنه حكي أقوال النفس على ترتيبها وتنظيمها ثم أجاب من بينها علما أقتضى الجواب".

ومن قبل ما سبق نقرأ: (أم حسبوننا أنا لدائم مَسَّهم وَجَنُبَهم بِأَيْمَّ) وُسُلْتُنا لَدِيهمُ يَكتبُونَ .. الزخرف/80، وإنما حق التعلق في قوله:

أولها: جعل الجملة "في موضع نصب على الحال من فاعل الفعل المقدر الذي دلت عليه كلمة (تَبَلَّي)، والتقدير: نسمع أرهم ونجواهم والحال أن رسلنا الذين وكلوا بحفظ أعيامهم يكتبون كل ما يصدرون عنهم من الأقوال والأفعال حال كونهم لديهم، أي ملازمين لهم لا يفارقونهم ولا يتفكون عنهم.  

والوجه الثاني: "أن تكون الجملة معتدفة على التي ترجعت عنها (تَبَلَّي) المقدرة بقولنا (ذَسَمُوا) والتقدير: نحن نعلم أرهم ونجواهم، والحفظة يحصون عليهم جميع ما يصدرون عنهم .. وكلا الوجهين يقتضي عدم صحة الوقف على (بَلْ) إذ التعلق فيها لفظي ومعنوي"، والوجه البلاغي لطلب جملة (وُسُلْتُنا لَدِيهمُ يَكتبُونَ)، يكمن في إيقافهم على أن علم الله بما يسره، فإنها هو علم يترتب عليه أثر فيهم وهو مؤاخذتهم بما يسرهون لأن كتابة الأعمال- على حد ما ذكر الطاهر- تؤذن بأنها ستحسب لهم يوم الجزاء، والكتابة يجوز أن تكون حقية وأن تكون مجازا أو كاتبا عن الإحسان والاحتفاظ، وجميعها للفظ المضارع للاستمرار التدريجي، ومن خص كلهم بالأمور الغير القليلة خص السر بما حدث به الغير في مكان خال وتقديم.

---

(1) الكشف 1/6 ونظر الدراصل 9/437.
(2) معالم الاعتداص 133.
لَدْيِهِمْ - سواء عدُّ حالاً أو خِيرًا آخر لِ(رَسُلُّنَا) مع (يَكْتُبُونَ) - لمراة
الفاضلة.

غير أنا وبالنظر إلى سياق قوله سبحانه (أَمْ تَخَسِّبُونَ أَنَا لَا تَنْسَمَ يَرْهُمْ وَجْهَهُمْ)، نلاحظ أن (بَلَّ) قد أطلت نفي السياك الذي تعلق به الحسبان الموتي عليه وأثبتت السياك، ومن ثم كان المعنى على هذا التقدير: (نحن نسمع
سرهم ونجواهم)، وهذا في حد ذاته يجعل الوقف على (بَلَّ) جاتزاً وسهوًا
لإفادة الكلام الفائدة المطلوبة.

وقد أوقفنا القرطبي فيما نقله عن الإمام محمد بن كعب القرطفي في سبب
نزول الآية على ما يدعم القول بالوقف على (بَلَّ)، فذكر أن (ثلاثة) نفر كانوا
بين الكعبة وأستارها، فقال أحدهم: أئن أن الله يسمع كلامنا؟ وقال الثاني:
إذا جهرتم سمع وإذا أسرتم لم يسمع، وقال الثالث: إن كان يسمع إذا أعلتم
فهو يسمع (إذا أسرتم)، فنزلت، وجعل هذا هو ما حدث بأبي حاتم في نقله عليه
الأشموني والأنصارى لأن يكتفي بالتعلق المعني ويجمل بان الوقف عليه
كاف، وبالعلامة أبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي لأن يقول: "الوقف على
(بَلَّ) حسن جيد بالغ، لأنه جواب قوله تعالى: (لا تَنْسَمَ يَرْهُمْ وَجْهَهُمْ)، قال: "وَيدِلُ عَلَى حَسْنِ الْوَقْفِ عَلَى (بَلَّ)، أن بعده مبتدأ وهو
قوله: (وَرُسُلُنَا لَدْيِهِمْ)، فَ (رُسُلُنَا) مبتدأ و(لَدْيِهِمْ يَكْتُبُونَ) الخير، وإن
كان يرى أن "الاختيار: الوقف على (يَكْتُبُونَ)" لما سبق أن ذكرنا .. وأجاز
الأشمونى في رأى سابق بطرق الترميز "الوقف على (يَكْتُبُونَ)"، والبدء -
من ثم - (بَلَّ)، ولا يبعد أن تكون النكتة في ذلك ما صرح به الطاهر في
موضع مثال وتحديداً في آتي الإنشقاق من أن (بَلَّ) تأتي أحياناً لتنفيذ

(1) ينظر التحرير 2/263 مجلد 12 وروى المعاوين 2 مجلد 14.
(2) القرطبي 9/2167.
(3) شرح كاول 1088 ونظر المعاوين 352.
(4) المعاوين 352.
الاستناد كأحرف الجواب ويكون ما بعده ميينة للإبطال المفاد قبلاً من (ِّبَلِّى).

ومؤكداً له.

ويرى جهور أهل العلم أن ما ولي (ِّبَلِّى) في قول الله تعالى: (أتَسْبِبْ
عَلَى أَن نَّجْمَعُ عَظَمَاهُمْ ِّبَلِّىْ قَنْدَرِينَ عَلَى أَن نَّسَوَى بَيْنَاهُمْ .. القياس/ 3، 4)، حايل من الضمير في الفعل المحدود بعد (ِّبَلِّى) الذي يدل عليه قوله:
(ِّبَلِّىْ جَمْعَهْ)، وعلى يكون المعنى: بل نجمعها بعد تفرقها وجعلها رميًّا
ورفاته في بطون البحار وفسيحات القفار وحيثاً كانت، حال قدرتنا على أن
نسوي بناته وقدرتنا على تأليف جميعها وإعادتها إلى تركيبها الأول، وهو قول
سبيويه.

واستشكل الفخر الرازي- وله في ذلك حق- حمل الآية على هذا المعنى
على اعتبار "أن الحال إنها يحسن ذكره إذا أمكن وقوع ذلك الأمر لا على تلك
الحال، تقول: (رأيت زيداً راكباً) لأنهم يمكن أن ترى زيداً غير راكب، وهنا
كونه تعالى جامعاً للعظام يستحب وقوعه إلا مع كونه قادر، فكان جعله حالاً
جارياً مجرى بيان الواضحات وأنه غير جائز، ويرى هو فيما يرى أن الأولي أن
يكون المعنى و"التقدير الآية: كنا قادرين على أن نسوي بناته في الابتداء فوجب
أن نبقى قادرين على تلك النسوية في الأنتهاء"، ولم يستبعد الفخر في حمل المعنى
حتى على هذا الأخير الذي جعل (قندرين) فيه خيراً لـ (كان) الضمرة، أن
يكون القرآن قد "بِيَ بِلِبَنَاتِهِ عَلَى بَيْنَ الْأَعْضَاءِ، أي نقدر على أن نسوي بناته
بعد صبره تراباً كا كان، وتحقيقه أن من قدر على الشيء في الابتداء قدر
أيضاً عليه في الإعادة، وإنا خص البنات- على أيّ- بالذكر لأنه آخر ما يتم
خلقه، فكانه قبل نقدر على ضم سلامته على صغرها وطائفها بعضها إلى
بعض كا كانت أولاً من غير نقصان ولا تفاوت، كيف القول في كبار
العظيم")

---

(1) مفاتيح الغيب للرازي 16/20
ولا يُخفى أن تقدير الفعل المشتغل على ضمير صاحب الحال ب (تقدر)،
هو التماثل لما ارتؤاه مكي في تفسيره، وكذا الفراء الذي قدر الآية على معنى:
(بل تقوى على ذلك قادرين)، بيد أن ما ذهب إليه الأخير يعد خروجاً من
الأشكال الذي يقضي بأن وقوع (قدير) في موضع (تقدر) وتصبه مع ذلك
على الحال خطأ لأن يلزم أن يقال (قائياً زيداً)، بنصب (قائم) إذا زفع زيداً
بفعله وضعه في موضع (بقوم) وهو كلام لها وصاحبه.
كما لا يُخفى في باب الموازنة- أن جعل التقدير على المعنى المشتغل إلى تعلق
فعل الجمع المفيد بتسوية البنان وضم السلاميات على صغرها من غير تقضان
فكيف بيكاهها وما ليس من الأطراف منها، أوفق بالقلم وأبلغ في الجواب
والرد، وأدرك في الدلالات على القدرة، مما ارتضى سيبويه في تقيده معنى الآية، إذ
في الأول من تصوير الجمع المؤكد لقدرة البالغة ومن عدم التفاوت بين
الإعادة والبدء المشتملان على جميع الأجزاء التي كان به قوام البدن أو كياله،
ما فيه.
وعلى التقدير الذي ارتضاه ابن عباس وقادة ومغادرة وشركاء والضحاك
وجلس أهل التأويل ولكن مفاده: بل نجمعها وننح قادرون على أن نسوى
وقت الجمع أصابه بديه ونجعلها مع كله مفيدة مستوية لا شوق فيها
خفي البيع وحافر الجواء، فعدم الارتفاق بالأعمال اللطفية كالكتابة
والحياة والجبل والعباس وسائر الأعمال اللطفية التي يستعان عليها بالأعمال
والاصطفى. "فالكلام يفيد المبالغة السابقة لكن من وجه آخر، وهو أنه
سماحه إذا قدر على إعادته على وجه يتضمن تبديل بعض الأجزاء، فعل
الاحترام بالمثال الأول في مجمع أقدر".
وللعلائنا في إعادة الحلق قولان، ذلك أن إعادة الحلق إذا أوان يكون بجامع
أجزاء أجسامهم المتمفرقة من ذرات الله أعلم بها، فتكون الفعل (تجمّع) ممولاً
على حقيقته، وإذا أوان يتحقق الجمع بخلق أجزاء أخرى على صور الأجسام
القلبية سواء خلقاً مستنفاً أو بدأ من أعجاب الأذناب على ما ورد في بعض

(1) ينظر روح المعاني للألوسي 247 / 12 مجلد 16 وحاشية شرح (الغليل) ص. 103
(2) روح المعاني 249 / 327 مجلد 16 وينظر تفسير الرازي 16 / 20.
الأخبار، فيكون الفعل مستعارًا للخلق الذي هو على صورة الجسم الذي يَل، ومناسبة استعارته مشاكلة آيات المشركون وإنها قد صد إليه حتى يتجنب الدخول معهم فيها لا تتحمل عقوبتهم من تصوير كيفية البعث.

ويصبح في (يَلُ) على الاختلاف الحاصل في معنى الجمع، ولا سيما عند حمل فعله على الحقيقة، أن يجعل حرف إبطال للنفي الذي دل عليه (لن جَعَلَ عظَاّمَهُ)، ليكون المعنى: بل نجمعها قادرين، كما يصح كذلك أن يجعل إبطالًا للنفيين، النفي المفاد من الاستفهام الإنكاري من قوله: (أَحْسَبُ الآلِينَّينَ) والنفي الذي بفعل (جمع حَسَبَ)، فيكون (قَدِيرِينَ) مفعولاً ثانياً لـ (يَسِبَنا) المقدر، والنكثة في العدول في متعلق (قَدِيرِينَ)، عن أن يقال: قادرين على جمع عظامه إلى (قَدِيرِينَ عَلَى أَن نَسْوَى بَنَانِهَا)، كونه أفقر معنى وأوفق بارادة إجمال كيفية البعث والإعادة، ناهيك عا أفاده الإتيان بـ (لا) في أول السورة، وحذف جواب القسم واصطفاء للفظ الحسبان والمجيء بهمزة الإناكار مسناً إلى الجنس، ويمحى الإجاب والحال بعدها، من تهجين المعرض عن الاستعداد لذلك ومن المبالغات في تحقيق المطلوب وتفخيمه.

واستنادا إلى ترتيب (يَلُ) على تلك المعاني السالفة الذكر، أجاز نافع وأبو حاتم وأبو عمرو والشيخ زكريا الأنصاري الوقف على (يَلُ) لتعلقه بها قبله. وإن لم يُنذِبَ ابن أبي طالب القيسي، فقد ذكر في كتابه (شرح كلا ويل) أن الوقف على (يَلُ) لا يحسن، لأن (قَدِيرِينَ): حال من الفاعل المحدود بعد (يَلُ) - يعني من فاعل الفعل المقدر والمحدود عليه بحرف الجواب - والتكرير: (يَلُ نجمعها قادرين على أن ن سوى بانهاء) ثم ذكر أنه لأجل ذلك يكون الوقف على (بَنَانِهَا)، تاماً حسبًا، "لاَنَّ (عَلَى) وما بعده متصل بـ (قَدِيرِينَ)، و(قَدِيرِينَ): حال من الضمير المحدود، والضمير متصل بـ (يَلُ)
(بَلَّٰٓ)، وكلاهما جواب النفي الذي تقدم ذكره، وهو قوله تعالى: (أَلَّا يَجْعَلَ غَطَّاءً مَّعَهُ)، فالكلام مرتبط بعضه بعضًا، ومفاد ما ذكره أنه لا يبدئ بها أيضاً.

بينا أجاز الشيخ الإمام زكريا الأنصاري البدء بها وتعلق معناها بها بعدها، وربما كان يقصد بذلك ما ذكره الزجاج ونقله عنه الإمام القرطبي من أنه سبجته أقسم بيوم القيامة وبالنفس الوعيلة ليجمعوا العظام للبحث فهو جواب للقسم. ويجعل جلته (أَخْسَبْ النَّاسَ أَلَّا يَجْعَلَ غَطَّاءَ مَّعَهُ)، حتى على القول بحذف جواب القسم وتقيده (التبعتن)، وجعل الاستفهام دليلاً على المحدد، يكون المعنى قد تم عند كلمة (عَطْقَاءً مَّعَهُ)، ومن ثم ينستني حينئذ البدء بحرف (بَلَّٰٓ). ويشجعه إضافة إلى ما أوردته: أن ما قبله رأس آية والوقف على رؤوس الآي - على ما هو متعلق - هو من السنة المعروفة في القراء.

ونخلص من تحقيق القول في الوقوف على (بَلَّٰٓ)، في المواضع السالفة الذكر، إلى أن الجرح إلى القول بمنع الوقوف عليها أو عدم استحاسانه - كما قال بكلّ طائفة من العلماء - قول غير صحيح ومحاف حتي ما يمكن ويسوغ حمل السياق في النظم الكريم عليه.

٣٠- (بَلَّٰٓ) بين الاستثناء وبأ يترجح أو يغلب عليه التعلق المعنوي:

في عدة مواضع في القرآن الكريم بلغت في جمعها ثلاثة، أعقب (بَلَّٰٓ)
حرف التأكيد (إنّ) ومعلوم ما لـ (إِنّ) من صدارة في الكلام، الأمر الذي يعني ضمناً ترجيح الوقوف على (بَلَّٰٓ) وجعل الوقف عليها والابتداء لأجلها بـ (إِنّ).

(1) شرح (كلا)، (مملكت) ص ٣٣٤، ١٠٠، (مفسد) ص ١٢٤، ١٠٠، ١٠٠، ٧٣٠.
(2) المفسد بحاشية المارد ص ٤١٠، (مفسد) ص ١٠٠، ١٠٠، ١٠٠.
(3) ويعتبر مثل هذا الوقف بالوقف الكافي وهو الذي يحسن الوقف عليه والابتداء بها بعده غير أن الذي بعده متعلق به من جهة المعنى دون اللفظ.
من قبل الوقف الكافي، وفي أولى هذه المواضع الثلاثة وهو قول الحق تبارك وتعال: (الذين تَوَفَّوْهُمُ الْمَلَكَةُ طَالِمِيَّ، أنْفُسَهُمْ فَأَقْلُواُ أَلْسَمُ مَا صَنَّعْتُمْ). تَعْمَلُون مِن سُوَءٍ يُبَيِّنُ إِنَّ اللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ. النقل: (28).

يرصد العلامة الإمام القبيسي هذه الظاهرة ويعلق عليها وعلى الوجه في ذلك فيقول: "الوقف على (بلى) حسن جيد بالغ، وهو قول نافع لأنه جواب النفي الذي قبلها وهو قولهم: (ما صنعوا تَعْمَلُون مِن سُوَءٍ)، فمعنى: بل عملتم سوءا، ودل على حسن الوقف على (بلى)، أن بعدها (إن) المكسورة - وهي ما يُكثر في الابتداء - ولو علقت بها قبلها ولم يكن قولًا ولا نقيًا لفتحت، فكفسها يدل على أنها للابتداء، فالوقف على ما قبلها حسن إذ هي للابتداء، ولا يحسن الابتداء بـ (بلى) لأنها جواب لما قبلها، وأردف يقول: "والاختيار: الوقف على (بلى) على مذهب نافع للحجة التي ذكرناها.

وحتى لا تكون بناءً على السياق تُصدر الإشارة إلى أن مقصود الصلة في نظام الآية، وصف حالة من يمرون على الشرك، وقد ذكرت بعد حدث القرآن عن شأن من أدركهم الهلاك وحل بهم الاستئصال، وعن حافهم يوم القيامة وحالة وفاتهم التي هي بين حالي الدنيا والأخرى.. والوجه في اقتراح الفعل (تَوَفَّوْهُمُ) بناء المضارعات التي للمؤتمنت، إسناد تولي مسألة الوفاة إلى جمعة الملاكاة، وسمى بصورة المضارع - على الرغم من كونه حكايًا عن الحال الماضية - هو لاستحضار صورة توفي الملاكاة إياهم لما فيها من الهول.

وعلى القول بأن هذا إخبار عن حافهم في الدنيا، يكون (تَوَفَّوْهُمُ) على بابه ويشمل من حيث المعنى من توفاته ومن توفاته، وعلى يكون التعبير في قوله بعد: (فَأَقْلُواُ أَلْسَمُ) بالعامي للدلالة على تحقيق الوقف، أي يقول لهم سبحانه ذلك يوم القيامة فيستسلمون ويقاتلون ويتركون المشاهاة وينزلون معا كانوا عليه في الدنيا من الكبير وشدة الشكيمة، ولهذا مارد من قال: إن الكلام قد تم عند (أنفسهم)، ثم عاد إلى حكاية حافهم يوم القيامة والمعنى أنه يوم القيامة.
ألقوا السلام وقالوا ما كنا نعمل في الدنيا من سوء، وعليه فمَا صَنَعْتُمْ تَعَمَّلُونَ
تفسير للسلم الذي ألقوه لأنه بمعنى القول بدبل الآية الأخرى: (فَاصْلَوُوا  إِلَيْهِمْ الْقُولَ... النحل/86).
وذكر الرازي قولًا في احتفال أن يكون إلقاؤ السلام هو حكايته القرآن عليهم
عند القرب من الموت فيكون المعنى على ما ذكر ابن عباس: أسلموا وأقرروا الله
عند الموت بالعبودية، ويسوغ هذا مع ما ذكر أبو بقاء وغيره من صحة
العطف على (نَتَوَفَّنَّهُمْ) وقد استظهر أبو حيان، وذكر الشهاب أن ذلك
يشبه من كون (نَتَوَفَّنَّهُمْ) بمعنى الماضي.
ووصفهم بكلمهم (ظالمِي أنفسْهُمْ) يومئ إلى أن توفي الملائكة إياهم
وقولهم في ادعاءهم: (ما كُنْتُمْ تَعَمَّلُونَ من سوء)، مصرب بابائع الملائكة
أساليب الغلطة والتعدد معهم، على نحو ما في قول الله تعالى: (وَلَوْ تَرَّى إِذْ يَتَوَفَّونَ الْذِّينَ صَفَرُوا ِلَّمْلِيْكَة‌ۖ يُضْرُبُونَ وَجَوَاهِرَهُمْ وَأَدْبَرُهُمْ ۚ الْأَتِيْلَ/50) .. وقد جاء الرد بعدها من الله أو من الملائكة بـ (بَلِي) لإبطال
ما ادعوه ومعنى: بل كتبت تعملونه .. وعلى ما ذكره ابن عطية يتحلل أن يكون
(الذُّينَ .. إِلَّا خَيْرَهُمْ) من كلام الذين أتوها العلم الوارد ذكرهم في قول الله تعالى:
(ثُمَّ يَوْمَ الْقِسْمَةِ خَيْرِهِمْ وَيَقُولُ أَبْنَ شُرْكَةَ أَلْذِينَ كَتَبْنَا نُشَفَّرُونَ فِيهِمْ قَالَ الَّذِينَ أَوْفُوا الْعَلَمَ إِنَّ الْخَيْرَ زَيْتَوْنَ وَاللَّهُ عَلَى ِلَّمْلِيْكَة‌ۖ إِنَّا نَسْتَبِيعُونَ ۚ النحل/27)، وكان ابن عطية قد ذكر أن (الذُّينَ) مبتدا خبره (فَأَقْلَوْا)،
وتعبه أبو حيان بأن زيادة القاء في الحسبه هذا لا تحوز إلا على مذهب الأخش
الذي أجاز ذلك مطلقًا وفي نحو قولنا: (زيد فقامت)، أي قام، والجملة بعدها-
على أي الأحوال- استئناف.

(1) ينظر مفاتيح الغيب/9 والإملاء والبحر المحيط وحاشية الشهاب والدر المصون/7/123.
(2) ينظر تفسير ابن عطية/10/177 والبحر المحيط وروح الماني/14/189/8 مجدل.
بِيد أن ما استحسنه الإمام القيسي من شأن الوقوف على (بَلَى) بعد وصلها
بِاِنْ شَاءَ اللَّهُ مَعْلُومًا، وساقه بالفظ التمريض، ورجل عليه
القول بِأَنَّهُ عَنْدَهُ عَلَى العَكْسِ مِنْ ذَلَكَ، يَقُولُ- رَحْمَةُ اللَّهُ- في تَقْرِيرٍ وَتَوْجِيه
مَعْنَىٰ (تَعْمَلُونَ) زِيدَتْ فِيهِ (مِنْ)، أي ما كَانَ نَعَمْتُمْ سَوَاءً، فَرَّدَ اللَّهُ أَوْ اللَّاَمَانَةَ
عَلِيْهِمْ بِ(بَلَى)، أي كَانُتمْ تَعْمَلُونَ السَّوَاءَ، فَهُوَ جَوَابُ لَهُ، وَ(مَا كَانَ) عَلَى
هِذَا مَنْصِوبُ بِقَولِ مَضْرُومٍ عَلَى الحَالِ، أَيْ قَاتِلُ السَّلَامُ قَاتِلُهُ، وَقُولُهُ
تَعَاوَلَ(لِلَّهِ عَلَى مَعْلُومٍ مَا كَانَ تَعْمَلُونَ) يَعْنِي أَنَّهُ عَلَمَ بِاللهِ كَانُتمُ عَلَيْهِ فِي الْدُنْيَا
فَلا يَنْتَفَعُكُمْ هَذَا الْكَذْبُ إِنَّا يُبَارِكُكُمْ عَلَى الْكَفْرِ الَّذِي عَلَمْهُ مِنْكُمْ، وَإِنَّا
جَعَلْنَا عَلَمَ الَّذِي بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَعْمَلُونَ كَتَابًا عَنْ تَكْذِبِهِمْ فِي قُوَّلِهِ (مَا كَانَ
تَعْمَلُونَ مِنْ سَوَاءٍ)، وَكَتَابُ كَانَ كَذَّلِكَ عَنْ أَنْهُمْ مَا عَمَلُوْنَ مِنْ بَيْنِ اللَّاَمَانَةَ بِالْعِذْابَ
إِلَّا بَيْنِ مِنْ اللَّهِ سَبِيعَانَهُ الْعَالَمِ بِهِمْ.
وَالْبَدْءُ عَلَى ذَلِكَ بِ(بَلَى إِنَّ اللَّهَ عَلَى مَعْلُومٍ مَا كَانَ تَعْمَلُونَ) هُوَ لِدَى
الْأَشْمَوْنِي، الأُوْجَةِ وَالْأَبْلَغِ فِي إِنْشَاقِ الْمَعْنِىٰ، وَعَلَى أَيْنَ فَذَكَرْنَا فِي هَذِهِ الصَّدَقَةِ
مِنْ كُونَ الْوَقْفَ عَلَى (بَلَى) وَمِنْ قَدْمِ عَلَى الْبَدْءِ بِهِ، وَإِنَّ كَتَالَ أَرْىَ أَنَّ الأَبْلَغَ فِي
جَعَلَ رَدًا مِنَ اللَّهِ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ فِي الْآخِرَةِ حَيْثَ الْحَسَابُ، وَأَمَا إِنْ جَعَلَ مِن
اللَّاَمَانَةِ فِيِسْتَوِيٍّ.
وَقَدْ زَاوَاجَ الشَّيْخُ الْحَصْرِيَ عَلَى اسْتَعْتِيَارِ مَتَخَلَّفِينَ، فَجَمِعُ بِبَيْنِ مَا أَرْتَأَهُ كَلِمَةَ
مِنْ الْأَشْمَوْنِيِّ الْقَيْسِيِّ بِأَنَّهُ يَفْيِدُ إِسْغَاطَ الْوَقْفَ عَلَى (بَلَى) وَالْبَدْءِ بِهَا، بَلْ وَبَا
يَدَلَّ عَلَى جَعَلَ الْوَقْفَ عَلَى كُلِّ مِنْ لَفْظِيَّ (سُوَاءٍ) وَ(بَلَى) كَافِيًا، فَقَدْ ذَكَرَ فِي
الْعَالَمِ إِمَاكَنَ أَنَّهُ كَانَ: "آخِرُ كَلَامُ الْكَفْرِ (سُوَاءٍ) وَ(بَلَى)") مِنَ كَلَامِ اللَّهِ تَعَالَ،
أَبْطَلَ بِهَا قَولُ الْكَفْرِ: (مَا كَانَ تَعْمَلُونَ مِنْ سَوَاءٍ) الْدَالِ عَلَى نِفَيْ عَمْلِهِمْ

(1) متار الإهدى ص 214 وينظر القدر المصون 7/213.
السوء في الدنيا، فيكون عملهم السوء في الدنيا ثابتًا، لأنه إذا بطل نفي عمل السوء ثبت عمل السوء.

وعلو هذا يكون الوقف على (من سوء) كافياً لأنه من كلام الكفر وما بعده من كلام الله تعالى رد له وإبطال .. ويكون الوقف على (بلَي) كافياً أيضاً، لأن قوله تعالى:

(إنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِمَا كُتِبَ مَعَكُمُ الْجَمْلَةُ الْكُبْرَىٰ) مستأنف، أتى به تعليلاً لمضمون الجملة التي دلت (بلَي) عليها وقامت مقامها، والتقدير: أنتم قد عملتم السوء في الدنيا - ومن ثم تستحقون المحاسبة عليه - لأن الله عليهم بما كتمتم تعملون لا تخفي عليه أعماكم ظاهرها وباطنها، فهناك ارتباط معنوي لا لطفي بين (بلَي) وبين ما قبلها وما بعدها، فحينئذ يكون الوقف على كل من (سوء) و(بلَي).

وهكذا نرى من محصلة ومن خلال ما جاء في (معالم الاهتداء) مدى ما حمله النسق الكريمن من ثراء ومن جمال المعنى على غير ما وجه، فحيث تكون (بلَي) ومدخولاً رد من الله يتم البدء به (بلَي)، وحيث يرتبط حرف الجواب (بلَي) بها قبله وتكون الجملة المؤكدة مستأنفة كالتعليل لمضمون ما دل عليه حرف الجواب يكون الوقف على (بلَي).

ونظير ما ذكر في آية النحل السائلة الذكر، ما جاء في قوله تعالى: (أَوْلَمْ يَرْوَآ أَنَّ اللهَ الَّذِي خَلَقَ الْسَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يُخْلِقَهُمَا بَعْدَهُ بَالَّيْٰٓ وَلَا يَقُولُ سِعْيًا) ينفي الاعتقادات 다양한اً إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٍ .. (الإجابة/ 163)، فقد مال القبيسي إلى ما ارتئاه نافع من شأن الوقف على (بلَي)، "أنه جواب الاستفهام الداخل على النفي قبلها وهو قوله تعالى: (أَوْلَمْ يَرْوَآ أَنَّ اللهَ الَّذِي خَلَقَ الْسَّمَوَاتِ .. إلخ)، والمعنى: يقدر على ذلك، ويدل على حسن الوقف على

(1) المعالمة 122.
أني بعدها (بَلِي) المكسورة وهي ما يكسر في الابتداء، ومنفاذ ما ذكره سببًا لحسن الوقوف على (بَلِي)، أن: "قوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ غَيْبُكُمْ وَيَنظِرُهُمْ). وهو من تعليم الحاصل بالعام ولا يُخْفَى وجهه).

إذ كأنه يرى فيه وقفاً كافياً لما بين ما بعد (بَلِي) وما قبلها من ارتباط معناه.

وفي حين ذكر القسيس أنه: "لا يحسن الابتداء بـ (بَلِي) لأنها جواب لما قبله"، ارتأى الأشموني وتابعه في ذلك الآنساري أن الوقوف على (الْمُؤْمِنِينَ) وهو ما يعني بالضرورة البدء بـ (بَلِي) - حسن، وإن كان السر في حكم الأشموني عليه بالحسن، ما بين ما بعد (بَلِي) وما قبلها من ارتباط لنفسه، إذ ما بعد (بَلِي) هو بمثابة التأكيد أو الجواب لما أفادته الجملة الواقعة قبل حرف البدل (بَلِي)، "فكانه قبل هنآ: أو ليس الله بقادر على أن يحج الموتى؟ فأجاب عنه يقوله: (بَلِي إِنَّ اللَّهُ غَيْبُكُمْ وَيَنظِرُهُمْ). تقريراً للقدرة على وجه عام ليكون كافراً على المقصود، ولذا قبل: إن هذا مثير إلى كبري لصغرى سهولة الوصول، فكانه قبل: إحياء الموتى شيء وكل شيء مقدر له، فينتج أن إحياء الموتى مقدر له، ويلزم أنه تعالى قادر (على أن يحْيَى الْمُؤْمِنِينَ)

ثم إن خلق السماوات والأرض هو من دون شك أعظم وأفخم من إعادة الإنسان حياً بعد أن كان ميتاً، وال قادر على الأقوى والأكمل لا بد وأن يكون قادرًا على الأقل والأضعف، كما أن تعلق الروح بالجسد أمر ممكن إذ لو لم يكن ممكناً في نفسه لما وقع أولاً، والله تعالى قادر على الممكنات فوجب كونه قادرًا على تلك الإعادة وهذا كله من الدلالات اليقينية الظاهره.

(1) المعجم ١٢٥
(2) شرح كلا ويل ص ٩٩ - ٩٨
(3) المتفق وبحاشيته المصدر ٣٦٠
(4) تفسير الألوسي ب ٤٢ / ٢ مجلد ١٣
(5) ٤٠
ويؤكد ما ذكرناه هنا عدم صحة ما أوردته العلامة القبسي من الزعم من أنه
"لا يحسن الانتقاء بـ (بَلِّي) " وإنما زاد من حسن الوقوف عنه على (بَلِّي)، أن
قوله تعالى: (يَقَدِّرْ)، واقع في محل رفع، كونه خبرًا لـ (آن) والباء زائدة فيه،
وَحَسَّنَ زُيَادَتِها كَوْنَ مَا قَبْلَهَا في حِيْزِ الحَبْرِ المَنْفِئ، وهو قوله: (أَوْلَمْ يَرواَ)، وقد
سِدَت (آن) مع اسمها وخبرها مسْد مفعولي (يَرواَ) فسِرَ النَّفي للعَالِم
ومعقوله فقرُن لأَجِيل ذَلِك البَلَا، ومن كلام أَدِم العَلَم: لَوْ قُلْتْ (ما ظنَّت أن
زيادةً بما) عِدَّالُ، كَأَنَّ يِقِيلُ: (أَلَّيِسُ اللهِ بِقُدُورٍ) ... كَيَّ حَسَنَ مِن أَمْرِ الْوَقُوف
عِلَى (بَلِّي) وَقُوَّعَهَا جَوابًا عَن جَمْلَةِ الْاستِهْمَامِ الإِنْكِارِيِّ الَّذِي دَلَّ عَلَى (أَوْلَمْ يَرواَ)، فَهُوَ جُوَابٌ مَحِذُوفٌ دَل عَلِيّ الْتَعْجُبِ مِن ذَلِكَ أن اللهَ غَيْرُ قَادِرٌ عَلَى أن
يَجِبِي الموتى، فِقْدَ تَضَمْنُ ظَنُّهُم وَقُوَّمُهُم هَذَا الَّذِي أَورَدْتَهُ الآيَةُ حَكْاِيَةً عَنْهُم، أن
اللهُ لا يَجِبِي الموتى، فَأَجِيِّبْوا مِنْ مَمَّا بـ (بَلِّي) تَعْلِيَاً لِلْمُسْلِمِينَ وَتَلْقَيِّناً مَا يَجِبُونُهُم
بِهِ.
وَلَمْا كَانَ حَرِفُ (بَلِّي) جِوَابًا وَكَانَ فَائِيًّا مَقَامًا جَمْلَةٌ تَقْدِيرِها: (هَوَّ قَادِرٌ عَلَى
أن يَجِبِي الموتى)، كَانَت جَمْلَةٌ (إِنَّهُ عَلَى حُكْمِ شَيْءٍ قَدِيرٍ) تَذِينِيْلًا دِيْقٍ للمَسْلِك
لَجمْلَةٍ (بَلِّي) المَقْدِرَة، ذَلِك لِأَن جَمْلَةَ التَّذِينِلَ أَفْادَ الْقَدِرَةَ عَلَى خِلْقِ السَّمِوحَات
والأَرْضِ وَإِحْيَاءِ الموتى وَغَيْر ذَلِك مِنِ الْمَوْجُودَاتِ المُخْرَجَةِ عَن السَّمِوحَات
والأَرْضِ، بَيْنَا أَفَادَ جَوَابُ (بَلِّي) الْمَقْدِرَ مَا سِتَّكَرَ مِنْ قَبْلِ منْكِرِ الْبَعْث
مِن إِحْيَاءِ اللَّهِ المَوَتِي، وَهُذِهِ النَّكْتَةُ جِيِّبَةٌ فِي الْقَدِرَةِ عَلَى إِحْيَاءِ الموتِي
بِوصفِ (قَدِيرِ)، وَفِي الْقَدِرَةِ عَلَى كِل شَيْءٍ بِوصفِ (قَدِيرِ) الّذِي هَذُو
أَكْثَرُ دِلَالَةً عَلَى الْقَدِرَةِ مِنْ وَقَعِ (قَدِيرِ)، كَأَنَّهُ أَفْادَ تَأكُّدَ الْكَلَامِ بِحَرْف
(آن) رِد إِنَكارِهِمْ لِإِمَانِ عُمُومِ الإِحْيَاءِ تَلِكَ بَيْنَ الْرُّدِ، لَأَنْهُمْ لَا أَهْلُوا
ذَلِكَ فَقَدْ أَنْكَرُوا عُمُومًا قَدِرَتُهُ عَلَى كِل شَيْءٍ .. وَسِبْحَانُ مِنْ هَذَا
كَلَامِهِ.

(*) يَنظَرِ التَّحْرِيرِ والْتَنَويْرِ ٢٦/٢٤٥٠ جُمْد١٢٠.
والشيء بالشيء يذكر فالبدؤ ب (بلى) في قوله تعالى: (إنّهُ: طَنَّ أَنْ لَنْ يَحْمَرَ بَلْ إِنِّهِ رَبُّكَ كَانَ يَبْصِرًا .. الانتشاق/ 14، 15)، يردّه ويرد عليه وقوع (بلى) جوابًا لما قبلها، وكون ما بعدها جيء به على الاستناد، ويسعّه كون ما قبلها رأس آية، والوقف على رؤوس الآيات هو من السنة المتبعة وإن تعلق ما بعدها بما قبلها على ما استقر عليه أهل العلم، ففي طبيعة النثر أن "الوقف الحسن هو الذي تعلق ما بعده التعلق اللطفي إلا أن تكون رأس آية فإنّه يجوز في اختيار أكثر أهل الأدبية لجيحه عن النبي ﷺ، ففي الحديث أم سلمة أن النبي ﷺ كان إذا قرأ، قرأ آية آية، كذا رواه أبو داود والترمذي، وفي الحديث المتصل الإسناد إلى أم سلمة عليها رضوان الله وسلامه: أن النبي ﷺ كان إذا قرأ قطع قراءته، يقول: (بِسْمِ اللَّهِ رَبِّ الْعَلِيمِ) ثم يقف، ثم يقول: (الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَلِيمِ) ثم يقف، ثم يقول: (أَلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَلِيمِ) ثم يقف، وهذا على حد ما ذكر الأشموني - أصل معتمد في الوقع عل رؤوس الآية."

وقد جيء في تلك الآيات التي تتحدث في سورة الانتشاق عن حال أولئك الذين أثروا كتبهم من وراء ظهورهم، بحرف (لَن) الدال طريق التأييد على تأكيد نفيهم لمسألة الرجوع إلى الحياة بعد الموت، الأمر الذي يعكس شدة تكذيبهم بالبحث وجمعهم وقطعهم بنفيه، كما يستدعي المجيء بما يفيد إبطال هذا النفي، وقطع نفس الشدة والقوة الشكل بالقيقين، وليس من مؤدفة كله لا من راذ على هذا الزعم أعظم من حرف الجواب (بَلْ) ومن جملة (إِنْ رَبُّكَ كَانَ يَبْصِرًا) المبينة والمؤكدة على وجه الإجماع أن ظنه باطل لأن ربه أثبَه بأنه يبعث، فأن التقدير الحاصل من حرف الإبطال ومن حرف التأكيد إلى معنى: إن ربه بصير به وأما هو فغير بصير بحالة، كقوله: (وَلَا يُؤْمِنُونَ وَأَنْتَ). }

(1) شرح طبة النشر في القراءات العشر لبي القاسم التمزري / 328 والحديث في عَسْوَة المعبود ٢٤/ ١١.
(2) الحديث وينحوه في مسنده ابن راهويه / ١٠٥ ومسنده أبو يعلى ٢٠٢٢.
(3) مشار الأهدى ص ١٢، والحديث رواه أبو داود والترمذي وأحمد.
لا تعلمُmorab... البقرة/ ٢١٦) .. وعليه فإن "الوقف على (بلى) حسن جيد بالغ، لأنها جواب للنفي قبلها، وهو قوله تعالى: (أَلَّا تَكُونُوا فِي جَحِيرٍ) أي أن لا يرجع بعد موته، فمعنى: يلي يخور، أي يلي يرجع إلى الآخرة، ويدل على حسن الوقف على (بلى) أن بعده (إن) المكسورة، وهي مما يبتدئ بها وتكسر في الإبداء".

وفي (معلم الاعتدا) أن "جملة (إن رَبِّي، كَانَ يَضُرَّا) استثنائية لا حل لها من الإعراب بمثابة التعليل لما أفادته (بلى)، أي لا بد من حُرُره ورُجوعه إلى الله عز وجل يوم المعاد، لأن ربه الذي خلقه ورباه ينعمه كان به ويثعلقه الموجبة للجزاء بسيراً بحيث لا تخفى عليه منها خافية.. فبين هذه الجملة التعليلية وبين ما قبلها تعلق في المعنى دون اللفظ، فيكون الوقف على (بلى) كافية"، ويرى الأشموني والأنصاري أنه من قليل الحسن، ويطمئن نافع إلى جعله من قليل التاليم، وسواء لم يتعلق ما بعد (بلى) بها قبلها لفظياً ولا معنى فكان الوقف عليها تاماً، أم تعلق به معنى فكان الوقف كافياً، أم تعلق به لفظاً فحكم بالوقف على (بلى) بأنه من قليل الوقف الحسن، فالجميع سالج ومقبول، إذ لكل وجهه الذي يمكن حمل المعنى عليه، وإن كنت أميل إلى القول بأن النفي في قوله: (أَلَّا تَكُونُوا فِي جَحِيرٍ) أبى ما كان الأمر، هو من مقتضيات الوقف عليها.. وإطلاق الرجوع إلى الحالات التي كان فيها بعد أن فارقوها على (الحور)، هو من المجاز الشائع مثل إطلاق الرجوع عليه في قوله تعالى: (ثُمَّ إِلَيْهِ مَرَّانَا جَعَلُوهُمْ يُوسُفَ/ ١٣٣)، وقوله: (إِنَّهُ عَلَىٰ رَجُوعِهِمْ لَقَادِرٌ.. الطارق/ ٨)، وهو كذلك في لغة العرب على ما ورد في قوله ابن عباس: (ما

---

(1) شرح (كلا ويل) لمكي ص ١٠٤
(2) معالم الاعتدا للحبشي ص ١٢٥ ونظر رح المعاي ٣٠/٢٠٠ مجلد ١٦
(3) بنظر منار الهدى وحاشيته ص ٣٢٣

٤٣
كنت أدري ما جبور، حتى سمعت أعرابية تدعو بنية: حوري حوري، أي أرجعي إلى وترددتي عليّ)، ومنه قول لبيد:

وما المرء إلا كالشهاب وضوته * يجوز رمادًا بعد إذ هو ساطع وفي الحديث: (اللهُمَّ إِنِّي أَعِجْبُكَ مِنَ الحُورَ بَعْدَ الْكُورَ)، يعني أَبَأ أَبَأ إليك من النقصان بعد الزيادة، أو من التردد في الأمر بعد المضي فيه.

**********

(١) يقول حار الماء في الغدير: تردد فيه وحار في أمره وحُشر، ومنه المحرور للمعوذ الذي تجري فيه البكرة لتزده، ومحاورة الكلام مراجعته.
(٢) أخرج مسلم بِرقم ١٣٤٣ والتَّرمِذي ٢٩٧ وابن ماجة ٢٨٢ وابن خزيمة ٤/١٣٨ والبهضبي في السنن ٥/٢٥٠ وأحد٢/٦٣.

٤٤
المبحث الثاني

نعم) دلالتها وأثر الوقف عليها والبدء بها مع القول في إثراء المعنى
أولاً: استعمالات (نعم) ودلالاتها:
(نعم) حرف جواب كـ (أجل) (إي) (جـ) و(بل)، وتقضيها (لا)...
وقد ورد فيها عدة لغات أولاها وأشهرها لدى جملة العرب بتحت العين، وعليها اعتماد جملة القراء في المواضع الأربعة التي ورد ذكرها في أي التنزيل، وحكاها النصر بن شميل بلطف:
(نعم) بإبادال العين حاء وها قرأ ابن مسعود، وقرأ الكسائي وابن وثّاب (نعم) بكسر العين وهي لغة فصيحة لكناتة وهزيل، ولا يعبر بمن أنكر ذلك وقد أثبت أهل اللغة عن العرب بالنقل الصحيح، كما تطقيها بعضهم بكسر الناس إتباعاً لكسرة العين تنزيلًا لها منزلة الفعل في قولهم: (نعم) و(شديد) كما نزلت (بل) منزلة الفعل في الإمالة، والفارسي لم يطلع على هذه القراءة وأناجها بالقياس.
وهي في استعمالاتها إما لتصديق خبر أو لوعد طالب أو لإعلام مستخبر، فالأول كقول: (نعم) من قال شيئاً: (فام زيد) أو (ما قام زيد) إذا أردت تصديقه، وإذا أردت تكذيبه فبـ (بل).
والتفسير ذلك نقول: إن (نعم) تأتي في مقابل (بل) التي يجاب بها- على ما هو الأصل فيها وعلى ما سبق تقريره- إننا يجاب بها على نفي متقدم، سواء كان هذا النفي ملموضًا في الكلام أم محلوبًا، وسواء جاء على حقيقته أم خرج إلى المجاز.
فنحو قوله تعالى: (لَيْلَى قَدَّ جَاءَ تَلْكَ اِيَّتِي.. الزمر/ ٥٩)، وإن لم يتقدمه نفي لفظًا لكونه مقدر، فإن معنى: (لَيْلَى قَدْ جَاءَ تَلْكَ اِيَّتِي.. الزمر/ ٥٩) هو الأصل فيها وعلى ما سبق تقريره- إننا يجاب بها على نفي متقدم، سواء كان هذا النفي ملموضًا في الكلام أم محلوبًا، وسواء جاء على حقيقته أم خرج إلى المجاز.

(بَلْيَا قَدِيدَيْنِ.. القيامة/ ٤) وإن لم يسبق بنفي حقيقي، إلا أن النفي مفاد من

(٥٩) بل ومع كونها لغة أشباه الصحابة، فقد روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه- أنه قال: لا تقولوا (نعم) وقولوا لهم (نعم) يعني بكسر العين، يريد رضوان الله عليه أنما يفتح تكوناً ليلًا، والجواب إذا بكسرها، ففرق بالحركة بين المعنيين، وروى عنه أنه سمع رجلاً ينطقها بالفتح فقال: (نعم) المال، ولكن (نعم).
قوله قبل: (أَلَّا تَجِمعَ عَظَامَهُ)، وقد جاء النفي على جهة التوبيخ لهم في اعتقادهم أن لا يجمع الله عظامهم، ومن ثم كان الرد عليهم بقوله: (بَلْ)

قدريينَ عَلَّيْنَ أَنْ نَسْؤَى بَدْنَاهُمْ... القيادةٌ/ 4).

وستكونهما قررهما النحاة وأهل اللغة في هذا الصدد، أن الجواب إن كان لمقدر لم يستعلم عليه أو لم يسبق نفي معنوي كقولك من تقدره مستفهٍ عن قيام زيد: (قَامَ زَيْدٌ) أو (لم يقم زيد)... فإنه يكون بالكلام، ولا يجوز أن تقول (نعم) أو (لا)، لأنه لا يعلم ما يعني بذلك، بخلاف ما إذا كان الجواب للفوْضى 

به فقول في جواب من قال: (أَمَا قَامَ زَيْدٌ؟) وأردت تصديقه (نعم)، وتقول: (بَلْ) إذا أردت تكذيبه، وكذلك إذا أدخل المتكلم آدة الاستفهام على النفي ولم يرد التقرير بل أبقى الكلام على نفيه كاً في نحو قوله: (أَمَّا يَقْبَلُ زَيْدٍ؟) فقول في تصديق النفي: (نعم)، وتقول في تكذيبه: (بَلْ) رجعًا للفظ.

وكلما يكون الحال مع كل كلام تعلق بـ (بَلْ) أو (نعم) تعلق الجواب ولم يسبق بها صلح أو يتعين أن يكون جوابًا له، كما في قول الله تعالى: (بَلْ مَنَ أَسْتَمَرَّ وَجَهَتَهُ يَلِهٌ وَهُوَ مُحْيِينُ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ الْبَرَقُ / 112)، فقول

المجيب: (بَلْ)، يظهر أن (بَلْ) ليست فيه جواباً لشيء قبلها بل ما قبلها دال على ما هو جواب له ومن ثم تبنى أن يعاد السؤال في الجواب، كما يظهر جوابه أيضاً أن هناك سؤالاً مقدراً، لفظه لفظ الجواب لكنه اختصر وطوي ذكره علباً بالمعنى.

وتمتنع (بَلْ) في نحو (قَامَ زَيْدٌ؟) وكدنا (أَقَامَ زَيْدٌ؟)، لعدم النفي وعلبه فيكون تصديقه بـ (نعم) وتكذيبه بـ (لا)... كما يمتتنع الجواب بـ (لا) في نحو ما قام زيد؟)... وفوقه قوله تعالى: (إِذْ رَضُّمُ الَّذينَ كَفَرُوا أَنَّ لَيْسَ عَلَيْهِمْ فَلَبِينَ وَرَبِّي... التعبين/7)، لأنها لنفي الإثبات لا لنفي النفي، كما يمتتنع الجواب بها في مثل (لم يقم زيد؟) (وأَمَّا يَقْبَلُ زَيْدٌ؟) فقول إذا أثبت القياس (بَلْ)، وإن نفيته (نعم) على ما في قوله تعالى: (أَلَّا يَقْبَلُ زَيْدٌ؟) تدريج* قالَوْا بَلْ .. البقرة/ 160)، (أَلَّهَ أُجُرُّ بَرَكَتْمُ قَالُوا بَلْ .. الأعراف/172)، وعن ابن عباس رضي الله عنها أنه لو قال: (نعم) في
جواب (أَلْسَتْ بَيْنَكُمُ؟) كان كفراً، ولعله قصد أنه لم يكن إقراراً كافياً لأن الله أوجب - في الإقرار بما يتعلق بالروبية - العبارة التي لا تحتمل غير المعنى المراد من المفر، ووزع الشمولي بن أن يكون مراداه أنهم لم يقلوا نعم جواباً للملفوف به على ما هو الأصل لكان كفرًا، إذ الأصل تطابق الجواب والسؤال لنفظًا، فلو قال لك قالأل: (ليس لك عني وديعة) فقلت: (نعم) لكان تصديقاً له، وإن قلت: (بل) لكان إجابة لما نفي.

والفأصل أن (بل) لا تأتي إلا بعد نفي ويجري التقرير - على نحو ما قسلنا وعلى ما جرت به عادة العرب - مجرد النفي، كا أن (لا) لا تأتي إلا بعد إجابة، وأن (نعم) تأتي بعدهما.

ويصدق الخبر عنا وقع بـ (نعم) مثبتاً كان أو منفيماً لجواب ملفوف كان أو مقدر، هو - على ما سبق بيانه - أحد استعمالات (نعم) الثلاثة، يقول ابن هشام في المعنى: "هي حرف تصديق ووعد وإعلام.

١. الفَأْلَ: بعد الخبر كـ (قام زيد؟) (ما قام زيد؟).

٢. والثاني: بعد (فعل) ولا تفعل" كقولك: نعم، من قال: (أَضْرَبْ زيدًا؟) أي أضربيه، وتأخذ حكم الأمر والنهي ما كان "في معناهما، نحوو: (هلا تفعل؟) (هل لا تفعل؟)، وبعد الاستفهام - يقصد عن موجب - في نحوو: (هل تعطيني؟)، ويجمل أن تفسر في هـذا المعنى الثالث.

٣. والثالث: بعد الاستفهام في نحو: (هل جاءك زيد؟)، ونحو: (فَفَهْلَ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًا ؟ الأعراف/ ٤٤)، (أَيْنَ أَنَا أَلْجِرًا .. الشعراء/ ٤١)، .. وقيل وتأتي لتأكيد إذا وقعت صدراً نحو: (نعم هذه أطلالهم)، واحتف بها في ذلك حرف إعلام وأنها جواب لسؤال مقدر، وليذكر سبيسيه معنى الإعلام البية، بل قال: (وأنا نعم نعم، وصدقاء، وأما بل فيوجب بها بعد النفي)، وكأنه رأى أنه إذا قيل: (هل قام زيد؟) فقيل: (نعم)، فهي لتصديق ما بعد الاستفهام، والأولي ما ذكرناه من أنها للإعلام)، إذ لا

١. ينظر البهران/ ٢٦٣ والمغني/ ٢٦٦ وما بعدهما.

٢. يعني أنها إن كان قبلها طلب فهي عادة لغير، وإن كان قبلها خبر فهي تصديق لا غير.
يصح أن تقول لقائل ذلك: (صدقته)، لأنه إنشاء لا خبر" أ.ه من كلام ابن هشام.

ثانيا: الفروق الدقيقة بين (نعم) و (بل) وإساغة وقوع

الأول موقع الثانية:

ويفاد من حصيلة ما ذكره النحاة وأهل اللغة، اختصاص (نعم) بالثبت خبراً كان أو استفهاماً، وتوافقها، وهي التي للتصديق - (بل) - هي للرد والإبطال - في مجيئه عقب الكلام المنفي في الخبر وعقب الاستفهام الحقيقي، وتوافقها كذلك في مجيئه بعد النفي المقرر بالاستفهام التقتريبي، غير أن ذلك الأخير مشروط بآمن اللبس، وذلك لأنه إذا أى بـ (نعم) بعد التقرير حينذاك صدقياً له كون معنا الإجابة، وإذا يمنع إذا جعلت جوابًا - على ما أفاده إنكار ابن عباس - وفي شأن ذلك يقول ابن هشام: "ويجوز عند أمن اللبس أن يجاب بإجابة يجاب به الإجابة - يعني الذي يجاب به - (نعم) أو (لا) فتتبع فيه (نعم) موقع (بل) - رعباً لمعانه، ألا ترى أنه لا يجوز بعده دخول (أحد)، ولا الاستفهام المفرغ، لا يقال: (أليس أحد في الدار؟) ولا (أليس في الدار إلا زيد؟)، وعلى ذلك قول المهاجرين رضي الله عنهم للنبي ﷺ - وقد قال لهم: (أليس ترون هم ذلك؟) - (نعم)، وقول جبريل:


(1) فتكون (نعم) في الخبر المؤنث الفاعل فيه، اعتقد ما بعد مجزرة الاستفهام، فلا يكون جواباً للاستفهام لأن جواب الاستفهام يكون به بعد آثاره يفاظ على: (فام زيد) بالإجابة، فتقول (نعم) مصدقاً للخبر المثبت، كما أفاده الراضي في شرحه على الكافي، 4/247.

(2) الشائع في كتب الترم أن الذي قال ذلك هم الأنصار، والحق ما أثبتناه وقد نوه إليه ونص عليه السهل في الأصل 48 وجاء على حاشية جمل الزجاجي 2/85 وخلاصه ما حدث أنهم قالوا: إن الأنصار قد أروامنا وعلوا وما وعلوا، فقال عليه السلام: ألسنتم تعرفون ذلك هم، قالوا: نعم، قال: (إذا ذلك)، أي إن ذلك شكر لهم.

(3) هو جعفر بن مالك الخشفي، وهي ضمن أباث قطعة في سنن الحجاج الثاني، وأرسلها لقومه باللقاء، والشاهد في بيته مجيء (نعم) لتصديق الخبر المؤنث يجاب عليه الاستفهام مع النفي، فكانه قبل: إن الله يجمع أم عمرو وابننا نعم.
ألميس الليل يجمع أم عمرو★ وأيانا، فذاك بنا تداني؟
نعم وترى ظلالا كأرائه★ ويعلوها النهر كأعلاني
وإني سروع الجواب هنا ب (نعم) كونها جوابا "الغبر مذكور وهو ما قدره في
اعتقاده من أن الليل يجمعه وأم عمرو.. وأما قول الأنصار ففازح لزوال اللبس،
لأنه قد علم أنهم يريدون: (نعم نعرف فهم ذلك)، وعلى هذا ندمل استعال
سبيسيه لها بعد التقرير"، يعني ابن هشام بذلك قوله في باب النعت في مناظرة
جرت بينه وبين بعض النحويين:
"فقال له: أمست تقول كذا وكذا؟ فإنه لا يجد بدًا من أن يقول: (نعم)،
فقال له: أفلست تفعل كذا؟ فإنه قال: نعم"، جعلها والخلال هكذا بعد
تقرير.
وكما ذكره ابن هشام واستدل عليه - في جواز استعمال (نعم) ووقوعها
موقع (ب) - بما ورد في الحديث وما جاء في قول جحدر، نص عليه الراضي في
شرحه على الكافيه.
وقد تعقب صاحب الجنى الداني هذا القول المجزي فذكر أنه يؤول قول
المهاجرين على أن ذلك لأمن اللبس، وقال جحدر على أن (نعم) جواب
المقدر في نفسه من اعتقاده أن الليل يجمعه وأم عمرو، أو يكون جوابا لما بعده
فقدم عليه.
وذهب أبو حيان إلى أن الأولي أن يكون جواباً لقوله: (فذاك بنا تداني)،
وقد منع بعض البصرئين وقوع (نعم) في جواب الاستفهام الذي دخل عليه
النفي، وقال: "إذا أردت نفي جنب ب (ب)، فإنا قال: أمست صديقك؟ فإذا
أردت نفي صداقته فجوابه: (لا)، أي ليست صديقية، ولا تقع (نعم) عنده إلا
للصديق والعدة.
وقوع (ب) في جواب النفي أو جواب ما أصله النفي، وقيل: إن أحسن
ما يجعل عليه كلام من أجاز من المتاخرين وقوع (نعم) موقع (ب)، أن (نعم)
إذا وقعت بعد نفي قد دخل عليه الاستفهام كانت بمنزلة (بل) بعد النفي أعني الإثبات، لأن النفي إذا دخل عليه الاستفهام رد إلى التقرير وصار إجابة على ما جاء في قوله:

"المستم خير من ركب المطابق" * وأندى العاليمين بطول راح

فإنَّهُ أخرجه فخرج المدح".

ثالثاً: مواضيع الجواب بِـ (نعم) في آي التنزيل، وأثر الوقف عليها والبدء بها مع القول، في إثراء المعنى واتساعه:

وتحصى مواضيع الجواب بِـ (نعم) في آي الذكر الحكيم في أربعة مواضيع لا غير، وهي قوله تعالى: (وَتَدَّاَلَّ أَضْحَكَبَ أَثْبَتَ أَثْبَتْ بِآيَاتِنَا قَدْ وَجَدَنَا مَا وَعَدَّنَا رَبُّنَا حَقّاً فَهُمْ وَجَدُّونَ مَا وَعَدَّ رَبُّكَ حَقّاً قَالَوْاْ قَالَتُمْ قَدْ ضَحْضَطُنَّ مَعْدُونٌ بِبَيْنِهِمْ أَرْبَاءُ لَعَنَّهُمُ اللَّهُ عَلَى الْطَلِيبِينَ .. الأعراف/ 44)، وقوله:

(وَجَاءَ السِّحْرُ فَزَعَّرَ فَقَالَواْ إِبِّيُ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنْتُمْ خَنْ أَلْقَيٌّ بنَ) قال نعم وإنكم لمن المقرّبين.. الأعراف/ (113، 114，111)، وقوله في سياق مقارب: (فَلَمَّا جَاءَ السِّحْرُ قَالَوْاْ فَزَعَّرَوْنَ أَيْنَ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنْتُمْ خَنْ أَلْقَيٌّ بنَ)، وقوله: (وَقَالُواْ إِن هَنِّئَدَا إِلَّا يَسْحَرُ مُنِيبٌ بنَ أَمَّا بَيْنَا وَكَانَ تَرَابًا وَعَظِيمًا أَيْنَ لَمْ يَعْلَمُونَ أَوْ أُبْتِجْنَا أَوْ أُتْرِقْنَا أَوْ أُتْنِبْنَا أَوْ أُمَّنَّنَّا دَخُرُوًَنَّ .. الصافات/ (18: 15).

وكلها - على ما هو ملاحظ - مقررة بالقول، وإنها أوردت ذكرها في هذا البحث - على الرغم من أن البدء إنها يكون فيها بالقول وليس بها - لوجبها في مقابل حرف الرد (بل) ووقعها جوابًا للاستفهام الذي لا جد فيه أو للتصديق.

(1) ينظر شرح ابن يعيش ٦/١٢٣ ودراسة في تفسير كلمات يحتاج إليها العرب ص ٢١٢٠.
وعلى الرغم من أن الموضوع الأخير فيها يبدو هو الوحيد المحتمل للوقف على (نعم) مع القول باعتبار، ووصلها بها بعد ذلك باعتبار آخر. إلا أن وصل الأول من الثلاثة الآخر الذي لا تتعلق فيها بها - فيما يبدو - لما بعدها فيه بها قبلها، ما يعني اختيار الوقف عليها، وكدما الوقف على الثاني والثالث منها والذي عدّ ما بعدها خطاباً متصلاً بها قبلهبا اعتباره نسقاً على الجملة المحدودة التي نابت (نعم) عنها في الجواب، إذ التقدير: قال نعم إن لكم لأجر و إنكم لمن المرنين، مما يحسن وصلها بها مع القول. لا يخلو كذلك من اعتبار ومن نكتة بلاغية.

فيا ذكره مكي والزركشي في قول الله تعالى: (فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدْ رَبُّكُمْ حَقّاً قَالُوا نَعَمْ) من أن الوقف على (نعم) حسن اختيار لأنه لا خطاب بعضها، ومن أن الكلام تام عليها غير متصل بها بعدها، وما بعدها - من ثم ليس متعلقاً بها ولا بها قبلها إذا ليس هو قول أهل النار نفاه الشيخ الحصري بشدة ولا سيما ما قبل من ذلك عن تمام الوقف، وعلق عليه بنا:

"قول الزركشي (الآن ما بعدها ليس متعلقاً بها ولا بها قبلها)، المراد به نفي التعقل النفسي فقط، واما التعقل العقلي فلم نعلم قطعاً، لأن الآيات بعد ذلك لا تزال تتحدث عن أهل الجنة وأهل النار، وما فيه هؤلاء وأولئك من عذاب ونعمم".

وخلص الشيخ إبناة على ما ارتفع من وجه في الارتباط الذي أشار إليه، إلى نتيجة مفيدة أنه "إذا كان الارتباط بين (مُؤَدِّن بِبِتَبْتَهُمْ .. إلخ)، وبين ما قبله معنويًا لا فظياً، كان الوقف على (نعم) كافياً، وهي نفس المبركة التي توصل إليها الأشموني الذي ذكر أن الوقف على (حقاً) كاف، لأن أخر الاستماع (قالوا تَعْمَرُ أَفْنَى مَنْهُمْ) و(حقاً) في الموضوعين منصف على الحالية، ولا يبعد أن يكون نصبنا على أنه مفعول ثان ويكون (وجود) بمعنى

(1) ينظر شرح (كلا) و (بل) (نعم) ص 116 والبرهان 1/735.
(2) المعام ص 149 ومنه اهدى ص 145.
(علم)، وجاء التعبير بالوعد للمشاكلة وقيل للتنهكم، وعلى القول بأن مفعول
(وعد) مخوذ تقديره (نا) لا مشاكلة ولا تهم.
ومهما يكن من أمر فليس يستبعد أن يكون هذا النداء هناك مع ما بين
الجنة والنار من المسافة على ما لا يخفى، إذ ليس إيضاح الكلام، على أي نحو
كان - على الله يعزيز، ولا يخفى ما أفاده الاستفهام المستعمل بطرق المجاز
المرسل لعلاقة المزوم في قوله تعالى: (قَهِلْ وَجَدَتْنِمَا وَعَدُّ رَبِّكُمْ حَقًا)، من
توقيف المخاطبين على غلطهم وإثارة ندمتهم وعيمهم على ما فرط منهم، وما
أفاده كذلك من الشماتة يهم في عواقب عناهم.
والمس كل منصف وكل متدوق صحة ما ذهب إليه مكي من تمام الوقف
على (تَعَمَّ) واستتلاع المعنى بالوقف عليها وحمل ما بعدها على الاستناد،
كما يليمس بنفس الدقة صحة القول بأن ما بعد (تَعَمَّ) مرتبط بها قبله
ارتباطاً معنويًا لاستمرار الحديث بعدهما عن أهل الجنة وأهل النار بمعنى
صحة وصلها بها بعدها، ويلمس كذلك للمرة الثالثة كم هو الفرق بين القول
بعدم ارتباط ما بعد (تَعَمَّ) بها، فإنها لا نظاً ولا معنى على ما يقتضيه تمام
الوقف عليها، والقول بارتباط ما بعدها بها قبلياً معنى، وهو ما يشير إليه
القـُوـْل بأن الوقف عليها كـَاف، وما أضفاه الأخذ برأي كل في إثراء
المعنى واتساعه.

وفي تشباه ما جاء في قوله تعالى: (وَجَاءَ الْمَسْحُورَةُ فَرَعَوْنُ: قَالَوا إِنَّا أَرْبَيْنَأَنَّهَ عِنْ أَلْقَابِيْنِ: قَالَ تَعَمَّ وَإِنْ كَمَْمُ أَلْقَابِيْنِ... الأعراف/ 1٣) ١٤١٩، لما جاء في قوله: (فَلَا يَا جَاهِلُ الْمَسْحُورِ: فَأَلْقَابِيْنَ
أَيْنَ لَنَا أَجْرًا إِنَّكَ نَحْنَ أَلْقَابِيْنِ: قَالَ تَعَمَّ وَإِنْ كَمْ أَلْقَابِيْنِ إِذَا لَمْ أَلْقَبِيْنِ... الشعراء/ ٤٢ ٤٢). يشير مكي إلى حسن وصل (تَعَمَّ) بها بعدها وترك الوقف عليها، ويري أن
الوجه في ذلك أن ما بعدها عند خطاب منتصلاً بها ويا قبلها، يقول في التدليل

٥٣
على ذلك: "ألا ترى أن بعدها .. إبتداء، وخبر في موضوع الحال من المضمور الذي في الفعل المحدود بعد (تَعَمّ)".

وفي كلام القبيسي هذا ما يدل على أنه لا الوقف على (تَعَمّ) في الموضوع.

ولا البدء به مع القول محمد حسن، لما بين ما بعد (تَعَمّ) وما قبله من اتصال وارتداد .. وإن ساء وحسن مع هذا الاتصال وذاك الارتداب البدء به مع القول، فلما بينها وبين ما قبلها من تعلق وفظي، ولا سابقة أن ما قبلها رأس أيه .. وعلى أي حال، فإن كلام القبيسي في هذا كلام وجهه، ولا يقل في وجاهته عنا ارتابآ بعضهم في قوله: (وَإِنَّمَئِي لَمْ يَعْقِرَ الْمُقْرَّبْ)، من عطف، يقول في (معالم الابتداء):

"لا يجوز الوقف .. على (تَعَمّ) لأن جملة (وَإِنَّمَئِي لَمْ يَعْقِرَ الْمُقْرَّبْ) مطوعة على الجملة المحدودة التي قامت (تَعَمّ) مقامها في الجواب، وأصل الكلام: (إن لكم لأجراً وإنكم من المقربين)، فكانت جملة: (إن لكم لأجراً)، ونابت (تَعَمّ) عنها في الجواب، وكلنا الجملتين مقول القول، ولا يفصل بعض المقول من بعضه، ومعنى الآية: (إن لكم لأجراً وإنكم مع ذلك - يعني مع استحاقكم هذا الأجر - من المقربين)، أي: إن لم أقتصر لكم على العطاء وحده، بل لكم معه ما هو أعظم منه وهو التقرب والتعظيم، لأن من أخذ شيئاً لا ينبغي أن يغتنص به ولينا عليه إلا إذا نال منه الرفعة والكرامة)، وفي ذلك من المبالغة في الترغيق والتحريض ما لا يخفى.

ومعلوم اتفاق القول بالعطف مع القول يجعل الجملة حالاً من تعلق لفظي، عليه يجعل قول صاحب المقام: "لا يجوز" .. وإن أمكن بالتقريب، لما سبق أن علمنا به وما سيأتي من عدم ضرورة القول بالحال وجواز الحمل على الاستثناء.

وهمه السحرة في السياق كان بعد ما أرسل إليهم الحاشرين، وإنها لم يقرح بالمحذوف للإذن. بمسارعة فروهن بالإرسال، ومبادرة الحاشرين.

(1) شرح كلا ويل وتعم ص 106.
(2) معالم الاهتداء للشيخ الخصري ص 109، 110.

54
والسحرة إلى الامتثال .. وقوله، جاء على الاستناد البياني وذلك سر عدم
عطبه، كأنه قيل: فإذا قالوا له عند مجتهدهم: إيه وحين مولحتهم بين يديه؟، فقيل:
(قالوااااااااااااااااااااااااااااااااااااااااااااااااااااااااااااااااااااااااااااااااااااااااااااااااااااااااااااااااااااااااااااااااااااااااااااااااااااااااااااااااااااااااااااااااااااااااااااااااااااااااااااااااااااااااااااااااااااااااااااااااااااااااااااااااااااااااااااااااااااااااااااااااااااااااااااااااااااااااااااااااااااااااااااااااااااااااااااااااااااااااااااااااااااااااااااااااااااااااااااااااااااااااااااااااااااااااااااااااااااااااااااااااااااااااااااااااااااااااااوا و هذَا أُولىَـا قِـيـلُ إنهُ حَـال مِن فَـاعِل جَـاءَ، أيُ جَـاءَ قَـاتِلِينَ (إِرْبَـا لَنَا
لأُحْـرَّاء)، فقد دَلَّ عَلَى أنَ الخَـبِيرَ هُـنَا أَرْيَدَهُ الـاسْتِفْهَامُ، سَوَاهِمُ المَـصْرَحُ بِهِ فِي
آيَة الـشُـعْرَاءِ، وَهُـوَّ- عَلَى حُد ما ذُكِرَ الطَـأَهِرُ بِن عَاـشُورٍ- تَـفْـنِـي في حَـكَـاية
مـقـاـتـلـهـم عند إِعَادَتِهِ تَـبَّـلْتت تَـدَّاـعِ كَـءـا هـي، وأُجْـاز بِعَـضٌ أَـهِلِ الـعَـلْـمِ حَـمْـلُ الـمَـعْـنِـى
الـاـسـتِفْهَامُ عَلَى الـخَـبِيرِيِّم وَكَأَـنُـهُمْ وَقَـئـلُ بِحَـصُـولِ الأـجرِ هُـمْ عَـتِيْـبُ وَيْـسُوهُ في حِيـض
الـخَـبِيرِ بِعَـن فَـرْعُونٍ، وَعْـلَىِ فِيْـكُـون جَـواب فَـرْعُونِ بـ (تَْـعَمِ) تَـقَـيرُ أَـيْـا خَـبِيرَ
بَـهُ عنْ فِهِمُ تَـصْـدِيقْ بَـدَدِ الخَـبِيرِيِّم فَـهْـا إِلّاِ إِسْتِفْهَامُ بِحَـصُـولِ الجَـانِبِ المُـستَـقِـبِ
عَـنْهُ وَالـمْـعْـنِـىَ الـمُـحـتمَـلُـهَا عَـنْـا عَلَى جَـهَـةِ الـإِخْـبَأَرِ.
وَعِبَارَةِ الـقَـرْطِبِيِّ في نُـكْـتَهَا ذَـكِـرَّهَا، وَالرُـوِّـيَـهُ، أَنَّهُمْ بِالـإِخْـبَأَرِ "إِنَّـا قَـطَعْوَا ذَـكِـرَّهَا،
لَأَنْـتَـشْـعِهِمْ فِي حَـكْـمِهِمْ إِنَّـ غَـلِـبَـهَا، أَيْ عَـلَى أَـيْـى لَوْنَا اللَـأَـجرَ إنَّ غَـلِـبَـهَا، وَـ
بِالـإِسْتِفْهَامُ عَلَى جَـهَـةِ الـإِخْـبَأَرِ، اسْتِفْهَارُ فَـرْعُونِ: هَـلْ يُـجْـعِلُ هُـمْ أَـجَرْاً إِـنَّ غَـلِـبَـهَا
أَوْ لا؟، فَـلَـمْ يـُقَـطَعُوا عَلَى فَـرْعُونِ بَـذَاكِـرَّهَا، إِـنَّا إِسْتِفْهَارُ هُـلْ يُـفْـعَـلْ ذَـكِـرَّهَا، فَـقَـلُ
هُمْ: (تَْـعَمِ) لَـكِنُـلِ الـأَـجرِ وَالـقَـرْبِ إِنَّ غَـلِـبَـهَا،".
وَقِيلٌ: إِنَّ مُقَـصُودُ الـإِخْـبَأَرِ بِقُوْلُهُمْ: (إِنَّا كَـنْـاَحْـيَٰ أَـلَـقْـفِـيِّـينَ) إِـيْـجَـبُ الأـجر
واشْـرَتْـا، كَأَـنْـهُمْ قَـالُوا: بِـسَرِتْ أَنْ يُـجْـعِلُ لَـنَا أَـجَرًا إِـنَّ غَـلِـبَـهَا، وَـأَوَـلِي أَنْ يُقَـدِـر
الـكَـلَـامُ عَلَى حَـدْفِ أَـدَأَةِ الـإِسْتِفْهَامِ - عَلِيِّـا مَا أَـشْـرَىْـا - وَـهُـوَّ مَـطْـرَدُ، وَـيَـرَـجَـحُهُ
وَيَـبْـلُدُ عَلَى قِـرَأَةِ اـبِن عَـمَـرٍ وَـغَـيْـرِهِ بِـشَـيْـبَاتِ الـهِـمْـزَةِ، وَتَـوَافَـقُ الـقَـرَأَةَ تِنْ
أَوْلِي مِنْ تَـقَالِيدِهَا، وَمَنْ هَـنَا رَـجْـعُ الـواحِيِّ هــذَا الـإِسْتِفْهَامُ وَالـمـيـا مـع
الـتـصـرِيـحُ بِـهِ فِي آيَةِ الـشُـعْـرَاءِ، وَذَـكِرَ السَـرْطُ لمَـجَرَّدُ تَـعْـيَّـنُ مَـتِنَ اـتْـثَوِتُ الأـجر
لَا لَـتَرْـدِدْـهُمْ فِي الـغَـلِـبَةِ، وَقِيلُ لَهُ، لَـكِنْ بَـيْـدِهِ لَـجَـعَلُ الـأَوْلِي وَيَـرَـجَـحُهُ أَنْ سَوَاءَمُ
عَـنْـ إِسْتِحْـقَـاقِ الأـجرِ كَـانَ إِدَالاً مِنْهُمْ بِـخْـيرَهُمْ، وَبَـالـحَـاـجَةِ إِلـيِهِمْ، إِذْ عِلْـمُوا

---

(1) روح المعاني 9/495
(2) القرطبي 4/2788
أن فروع شديد الخص عن أن يكونوا غالبين، وخافوا أن يسخرهم بدون أجر فشطروا أجرهم من قبل الشروط في العمل لقيدهم بوعده، وبرأي أن هذا لا يتائي منهم على هذا النحو إلا مع واقته من أنفسهم وعدم ترددهم.

وتنكر (أجزا) على أي حال تنكر تعظيم بقرية مقام الملك وعظم العمل، وتوسيع الضمير وتحلي الخير باللام للقصر، أي: كنا نحن الغالبين لا موسى عليه السلام، ولا يبعد - بل ذلك يرجى هو الأرجح - أن يكون في الضمير تأكيد لضمير (كَنَّاَ)، تقريراً وإشارةً بجادتهم بالغلب وثقته بأنهم أعلم الناس بالسحر، وإن ذهبتنا إلى كون ذلك هو المرجع لأن إخبارهم عن أنفسهم بالغالبين يعني عن القصر، إذ يتبع أن يكون المغلوب في زعمهم هو موسى عليه السلام.

والعطف في قول فروع في الموضعين: (وأَنَّمَا لَعَمَّ اْمَلْفَرِيِّنَّ)، عطف

على مقدر هو عين الكلام السابق الدال عليه حرف الإيّجاب، وعنى مثل هذا عطف التلفظ لكونه في كلامين من متكلمين لا من متكلم واحد، فكأنه لما جاءه ابتعدوا بطلب الجزاء وهو إما المال وإما الجاه فبذلهم هذا وذلك قائلًا لهم: إن ل أقتصر على الثواب بل أزيدهم عليه وملك الزيادة أي أجعلكم من المقربين عندي، ومن قال إنه معطوف على السابق أراد ما ذكرنا، لأن نهاية مطلبهم منه البذل ورفع المنزلة فيما لم كلا الأمرين، قبل أن فروع قال لهم: تكونون أول داخل على وأخر من بخرج من عندي.

بيد أن جيء (إذًا) في سياق آية الشعراء دال في السياقين على ما تقتضيه تبك الأداة من الشرط والجزاء، وهذا شأن القرآن دائماً في قضيه أن لا يحلو المعاد منها عن فائدة غير مذكورة في موضوع آخر منه تجديداً لنشاط السامع، وإنما اختصصت سورة الشعراء بهذه الأداة "الأُنَاَ مَونُصً بَيْ عِلْ فَضْلَ اْقْتُصْاَسَ لِمْ جُرِى"، على ما نوه إليه الإسكافي .. وكان الزركشي قد نقل في البرهان عن بعض المتآخرين أنها هنا مركبة من (إذا) التي هي ظرف زمان ماض والتنون الذي هو عوض عن الجملة المحدودة بعدها ليست هي
الناصية للمضارع لأن تلك تختص به، والمعنى عليه: وإن كتم إذا غلبتهم أو إذا
كتمن من الغالبين لمن المقربين.

وَبُعِيرُ تراها المعني بادياً في قول الله تعالى: (وَقَالُوا إِن هُنَّ أَلَّا يَسْخَرُ مِنْهُمْ)
* أَيْدَا مِنْهَا وَكَنَا رَأَيْنا وَعَظَمْنَاهُ أَوْاً أَباَوَانَا أَوْلَاوًانَ أَوْلَانَ أَوْلِمْ بُنْوُونَ فُلْنَتْعُمُ وَأَنْتُمْ ذَخْرُونَ .. الصافات/ 15: 18)، حيث يحسن الوقف على (نَعْمَ)
إن جمل بيا بعدها على الاستنكار، في حين يحسن وصلها بها بعدما إن اعتبر ما
بعدها جلة حالية العامل فيها الجملة القائمة مقامها (نَعْمَ)، أي تبعون وأنتم
صارعون أذلاء، وفي هذا الصدد يقول الأشموني: "لا يوقف على (نَعْمَ) إن
جعل ما بعدها جلة حالية، أي تبعون وأنت صارعون، وإن جعل مستنفاً
حسن الوقف عليها"، وإنها حسن الوقف على (نَعْمَ) والاستنكار في جلة:
(وَأَنْتُمْ ذَخْرُونَ) أن ما ذكر في الآيات المتقدمة بالبرهان اليقيني القطعي أمر
ممكناً، وإذا ثبت الجواز القطعي فلا سبيل إلى القطع بالوقوع إلا بإخبار المخبر
الصادق، فلما قامت العجزات على صدق محمد ﷺ كان واجب الصدق، فكان
مجرد قوله: (فَنَعْمَ) دليلاً قاطعاً على الوقوع.

ذلك أنه تعالى لما قرر الدليل القطعي في إمكان إيثاب البث والقيامة في
قوله فبلآ: (فَأَشْتَفَهُمْ أَهْمَأَشْتَفِيَهُمْ مِنْ حَلَقَتِهِمْ إِنَّا حَلَقَتْهُمْ مِنْ طَيْبٍ
لأَزْبَ) حكاء عن المنكرين أشياء، أو لها: تعجب صلوات الله وسلامه عليه من
إصرارهم على الإنكار وهم يسخرون منه في إصراره على الإيثاب، وهذا
يبدى على أنه عليه السلام مع أولئك الأقوام كانوا في غاية النباعد
وعلى طري تقيض، وثانيها قوله: (وَإِذَا ذَكَرُوا لا يَذَكَّرُونَ) وثالثها
قوله: (وَإِذَا رَأُوَا عَابٍ يَسْخَرُونَ)، يجب أن يكون المراد من الثاني

(1) ينظر روح المعاني/ 90 مجلد 1/ 115 مجلد 21 ، ودرة التزيل للإسكافي ص 97 ومسانيد
(2) مقارن الهندي ص 243 ويظهر الدر المسيح/ 298.
57
والثالث غير الأول لأن العطف يؤجل التغيير ولأن التكرير خلاف الأصل، وإذا كان كذلك فلا طريق إلى إزالة هذا الاستبعاد عنهم إلا من وجهين.

أحدهما: أن يذكر لهم الدليل الدال على صحة الحشر والنشر مثل أن يقال لهم: تعلمون أن القادر على الأصعب الأشق وهو خلق السموات والأرض يجب أن يكون قادرًا على الأسهل الأيسر.

الطريق الثاني: أن يثبت لهم جهة رسلته بالمعجزات ثم يقول ثبت بالمعجز كوني رسولًا صادقًا من عند الله، فأن أخبركم بأن القيامة والبعث حق. وهذا الطريق كان وقبلهم فإن كانا جليلين وقوين، إلا أن أولئك المكرين لشدة بلادهم وجهلهما لم يفهموا بهذا النوع من البيان، بل كلام رأوا آيةًا باهرة أو معجزة قاهرة جعلوها على كونها سحرا واستهزاوها منها وطلب كل واحد منهم من صاحبه أن يقدم على السحر وهو المراد من قوله:

(يُستَخْرُونَ).

ثم بين سبحانه أن الذي حملهم على كل هذا على الرغم من ظهور الدلائل هو قومهم: إن الذي مات وترقب أجزاؤه في جلالة العالم فما فيه الأرضية اختلط بشراب الأرض وما فيه من الهوائية والمائية اختلط بخارات الجو، كيف يعقل عودته بعينه حياً متحركًا؟ فكان تعالى أن اكتفى بهذا القدر من الجواب لأن ذكر ما أورده في الآيات المتقدمة كافٍ في الرد عليهم. ومن تأمل في هذا النص الكريم يعلم بقينا أنه ورد على أحسن ترتيب، وذلك لأنه بين الإمام بالدليل العقلي وبين ذلك المكرين بالدليل السمعي وفي ذلك من الزيدات في البيان والتوضيح ما فيه.

ومن جيد ما وجه الطاهر بن عاشور الوقف على (نعم)، ما أوضح عنه من مجيء قوله: (قُلْ نَعِمْ) بعد قوله: (أَوْدُ الْبَشَّارُ،) على طريقة الأسلوب الحكيم، وذلك بصرف قصدهم من الاستفهام إلى ظاهر الاستفهام، فجعلوا كالناسلين: أبيعون! فقيل لهم: نعم، تقرراً للبعث المستفههم عنه أي نعم تبيعون وإياهم وتخاسبون، يقول: مجيء بـ (فَلَ) غير معطوف لأنه جار على
الحق أن ما ذكرناه هنا يكشف عن قصر النظر القائلة أنه لا يضوع
الوقف على (تَعْمَمْ)، بحجة أن جملة (وَأَنْتُمْ دَجْرُونَ) في محل نصب حال من
الفاعل الذي حذف مع فعله ولاتصاله بالقول، وقد يكون من المقبول أن يقصر البعض ذلك
على كونه هو المختار أو الأحسن أو الجائز على ما فعل الزركشي في البرهان
ومكي في شرح (كلا) (بلي) (نعم).
وإذا جَلَّ وصل (تَعْمَمْ) بعدها عند ما اردت ذلك وقمه على غيره، من
فرع على إثبات البث الحاصل بقوله: (تَعْمَمْ)، كون بعضهم وشيك الحصول لا
يقتضي معالجة ولا زمناً، ويبدان أن أمر نشهم من جديد لا يعد إلا إعادة
تنطير زئبة واحدة، وفرع عليه (فَإِذَا هَمْ يَنْظُرُونَ)، فقد دلت فداء التفرع على
تعقيب المفاجأة ودل حرف المفاجأة على سرعة حصول ذلك، على نحو ما جاء
في قوله تعالى: (إِنَّ عَسَّاتَ اللَّهُ ذَلِكَ الصَّيْحَةُ وَحِيْدَةً فَإِذَا هَمْ جَمِيعُ الْدِّينَاءِ)
.. يس / 53.
والمعنى على جعل قوله: (وَأَنْتُمْ دَجْرُونَ) جملة حالية من فعل ما دل عليه
(تَعْمَمْ): تبعثون أنتم وآياؤكم بعث إهانة مؤذنة بترقب العقاب لا بعث كرامة،
أو تبعثون كلكم والحال أنكم صاغرون أذلاء لأنهم إذا رأوا وقوع ما أنكرنا
فلا حالة يذخر، إذ الداخير على كلا التقدريبن: الصاغر الذيل.
وهذه الحال زيادة تأكيد في الجواب نظر ما وقع في جوابه لأبي بن
خلف حين جاء بمعظم قد رم، وجعل يفته بدله ويقول: يا محمد أتدى أن الله
يجهي هذا بعد ما رم؟ فقال له على ما في بعض الروايات: (نعم ويعتثق

(1) ينظر التحوير والتحوير 23 / 99 مجلد 11 وروج المعياني 32/ 116 مجلد 13 ومفاتيح الغيب للسرياني
13/ 210 وما تبدها.
(2) ينظر المعالم للحصيري ص 110 وشرح (كلا) (بلي) (نعم) لنّيكي بن أبي طالب
الفيهي ص 106.
ويدخلك النار)، وإنما كنّي في الآية عن الحياة الكاملة التي لا دهش في خالطها،

بالنظر في قوله: (يَنْظُرُونَ .. الصافات/ ١٩)، لأن النظر لا يكون إلا مع تمام الحياة، وآخر النظر من بين بقية الحواس لمزيد اختصاصه بالمقام وهو التعريض

بما اعتراهم من البهت مشادة الخشر.

********

(1) أخرجه وينحوه الإمام الفارابي في التفسير ١٠/٥٨، ١٥/٥٨، والجلالين ٥٨٦.

(2) ينظر التحريح ٢٣/٩٩، مجلد ١١.

٦٠
المبحث الثالث

دلالة (كلا) وأثر البدء بها والوقف عليها
في إثراء المعنى واتساعه
أولاً: دلالة (كَالَا) في اصطلاح النحاة من حيث اللفظ:

اختلاف النحويون وأهل اللغة في الأداة (كَالَا) هل هي بسيطة أم مركبة؟ فذهب سيبويه والخليل والأخشش والمرد والمزجاج وأكثر البصريين إلى القول بحرفيها فهي عندهم وعنده جهور النحاة حرف ربعي ومض، بسيط غير مركب، كأنه مهمل لا يعمل شيئاً.
وذهب تعلم إلى أنها من الحروف المركبة ك(هَلا)، وهي عنده مركبة من كاف التشبيه وال(لا) النافية أو التي للرد، وذلك أن العرب إذا نفت شيئاً قالت: هو كَالَا ولا. قال الشاعر:

أصبار خصاصة فبدا كيلاً * كَالَا وانغل سائره انغللالاً;
وإنما شدنت اللام نتيجة زيادة لام أخرى بعد الكاف، أدغمت في لام (لا) النافية لخرج عن معناها التشبيه، ولتدفع عن (كَالَا) توهم بقاء معنى الكلمتين: التشبيه والنفي، لأن تغير لفظ الكلمة دليل على تغير معناها، وأيضاً لنقولة المعنى باعتبار أن زيادة المبئ تدل على زيادة المعنى، وفيها ذكره تعلم ومن لف لهف نظر، يقول ابن فارس في الصحابي:

"وهذا ليس بشيء (كَالَا) كلمة موضوعة لما ذكرناه على وردتها في التثقيل"، أي على تشديد اللام، وجعل الألف أصلية لجرفتها، وفي معنى ما ذكره قال ابن يعيش: (كَالَا) حرف على أربعة أحرف ك (أَمَا) (حتى) وينبغي أن تكون ألفه أصلاً لذا لا نعلم أن أحداً يوثق بعربيته يذهب إلى أن الألف في الحروف زائدة.".

---

1) أحمد بن يحيى بن بشار الشيشاني: إمام الكوفيين في النحو واللغة والحديث ت 290 هـ.
2) البيت الذي الرمة كفا في ديوانه 434 ومقالة (كَالَا) واللسان ابن منظور 20/520 والناج 10/143.
3) إجني الداني ص 587 والمغني لابن هشام 1/319 واصف ص 122 ومصرع المحيط للمريزابيدي 4/381.
4) اسمين في الكافي 193/2 والكلمات للكوفي ص 95.
5) الصحابي أحمد بن فارس ص 50.
6) شرح الفصل لابن يعيش 9/16.

62
وجنح ابن العريف: إلى أنها مركبة من (كَلا) و(لا) وهذا المذهب دون سابقه بل هو من الضعف بمكان، لأن (كَلا) ليست من الحروف بسبب ولا دليل على تركيبها مع (لا)، فضلاً عن أن هذا لم يقل به أحد من أهل العلم، قال صاحب رصف المباني: "هي بسيطة عند النحويين إلا أن ابن العريف جعلها مركبة من (كَلا) و(لا)، وهذا كلام خلف، لأن (كَلا) لم يأت مع كم من الحروف فالأصل إلى أداء التركيب من أجل (لا)، إذ لا يدعى التركيب إلا فيها يصح له معنى في حال الإفراد، وما ذكره لم يوافق فيه أحداً من ادعى التركيب في غيره".

وقيل: بل هي مركبة من (أَلا) التي للتنبيه، و(لا) النافية، يقول الأربيلي:

"ومع ظهور ضعفها - يعني هذا الآخر وما ذكره ثعلب - لا دليل عليها".

وقد ناقش ابن فارس القول بتركيبها وردت ثم قال: "فإن قال قائل فا الأصل فيها؟ فلنا: إن (كَلا) كلمة موضعية للمعنى التي قد ذكرناا مبنة هذا البناء، وهي مثل (إن) وأ(عال) (وكيف) وكل واحدة من هذه مبني بناء على معنى، فكذا (كَلا) كلمة مبنة بناء يدل على المعاني التي نذكرها".

وقول مكي إن (كَلا) تكون ابنا على مذهب الكساندي الذي يرى أنها بمعنى (حَقّ)، وكذا قول الرضي: إنها "إذا كانت بمعنى (حَقّ) جاز أن يقال: إنها اسم بنيت لكون لفظها كلفظ الحرفية، ومناسبة معناها معناها، لأنك تردد المخاطب عا يقوله تحقيقاً لضمه" .. فيه نظر، لأن اشترى الاسم بين الاسمية والحرفية قليل ومخالب للأصل ومحوئ لتكلف دعوى علة لبناءها، لأجل هذا حكم النحية بحيث ترغمها

(1) هو الحسين بن الوليد الفاطمي كان تحريحاً مقدماً، خرج إلى مصر ورأس فيها ٣٦٧هـ، كذا في
(2) مادة الفناء للرسوطي.
(3) رصف المباني للمالك ب١٢٠٧.
(4) جواهر الأدب للإيزيدي ب٢٠٨.
(5) مقالة (كَلا) لابن فارس ب١١٩٥، ونظر شرح (كَلا) للكي ب٢٤.
(6) شرح الرضي على الكافية ب٤٨٤ ونظر شرح (كَلا) للكي ب٢٤.

٦٣
إذا كانت بمعنى (حقًا) أيضًا لما فهموا من أن المعقول، يحقق الجملة كالقصود
بـ (إن) فلم يخرجها ذلك عن الخروج.
والفظ (حقًا) في حد ذاته هو بلا خلاف "مصادر منصوب بالنفع المقدر
له، فعمل فيها بعد نصباً" على معنى وتقدير: أحق ذلك حقًا. أما إيقاع
المصدرية على (كلًا) نفسها فلم يقل به - فيها أعمِل - سوى أبي الفتح في
المحتسب، اعتُبى على بعض القراءات الواردة في هذا الشأن ونقته عنه غيره، فقُد أوضح أن شمة قراءة بتنوين (كلًا) في قوله تعالى: (وَأَخْذُوا مِنْ دُورِ
اللهِ الَّذِي لَيَكُونُوا هُمُ عِزَّهُ ۚ كُلُّهُمْ مُكْتَبٌ) مريم/ 82، ثم ذكر أنه "ينبغى أن
تكون (كلًا) هذه مصدراً كفولك: (كل السيف كُلًا) فهو إذا منصوب بفعل
مضمر فكأنه لما قال سبحانه: (وَأَخْذُوا مِنْ دُورِ اللهِ الَّذِي لَيَكُونُوا هُمُ
عزيزًا) قال الله سبحانه رادأ عليهم (كلًا) ووقف، أي (كلُ هذا الرأي
والاعتقاد كُلًا) (رأوا منه رأيًا كُلًا)، كما يقال ضعفًا هذا الرأي .. ثم قال من
بعد (سَبْكَفُرُونَ، فهناك إذا وقفت.
أحدهما (عَزُّ) والآخر (كُلًا) من حيث كان منصوبًا بفعل مضر لا من
حيث كان زجرأ ورداً، ولعل ما ذكره من هذا الرأي الغريب يعضده قراءة
(سَكَنَا ۤ سَكْنُبْتُمْ ۡمَا يَقُولُ ۖ مَرْيَمٞ) بالتنوين أيضًا، وأيًا ما كان الأمر
ففي الأول كمَا ذكر العكاري وجهان، أحدهما: هي مصدر (كل) أي أعيا أي
كلُوا في دعوهم وانقطعوا أو كلُوا عن عبادة الله نتهاونهم بها من قول العرب
(كل السيف) إذا نبا عن الضرب، (وكلْ زيد) أي تعب فتكون منصوبة على
المصدرية بفعل مقدر من لفظها، والثاني هي بمعنى النقل، أي حملوا كلاً
فتكون مفعولًا به بفعل مقدر من معنى الكلام، ويجوز أن تكون نعتًا لـ

(1) بنظر المغني/ ۲۱۷ وجوهر الأنف ص ۵۰۵ والكلمات للكلامي ۴ ودراسات لأسلوب
القرآن لعثينة الفضي الأول/ ۳۸۶.
(2) معاني الأحرف للتأريخي ص ۱۲۲ ونظر جواهر الأدب ص ۵۰۶.
(3) المحتسب/ ۴۵ ونظر البحر ۲/ ۲۱۳ ودراسات عثينة الفضي الأول/ ۳۸۸.
(4) تأويل الرحم للعكاري ص ۴۱۳ ونظر الـدر المرصون ۷/ ۵۳۸ ودراسات عثينة الفضي/ ۲.
(5) ۳۸۸.

٦٤
(1) قاله ابن عطية، وفيه نظر إذ ليس المعنى على ذلك، وقد يظهر له وجه
(2)رؤية أن شيوت هاتين الرؤويتين مجموع على كونها فعلًا، وأن ذلك
(3)ليس بأن عان أن تقلب (كلًا) الأداة - أداة الردع والزجر - خلقًا على وضعها
(4)الأصولي الذي ارتبطًا النحاة وأهل اللغة، خلافًاً لما جُرح إلي الزمخشي حيث
(5)قال: "ولقاء أن يقول إن صحّت هذه الرؤواية فهي (كلًا) التي للردع، قلب
(6)الواقف عليها ألفها نونًا كًا في قوله (قواريرًا). الإنسان/15)
(7)أبو جياع: "وهذا ليس يُبيد لأنه قال: (التي للردع)، والتي للردع حرف، ولا
(8)وجه لقلب ألفها نونًا، وتشبهه بـ (قواريرًا) ليس يُبيد لأن (قواريرًا) اسم
(9)رجل به إلى أصله، فالتنوين ليس بدلاً من ألف، بل هو تنوين الصرف.

ثانيًا: دلالة (كلًا) من حيث المعنى:
(10)تأتي (كلًا) عند ثعلب وابن العريف وسببه وأكثر البصريين لتفيد معنى
(11)الردع والزجر. قال صاحب الكتب: "وأما (كلًا) فردد وزجر"، ولا معنى
(12)هنا عندئذ وعندهم إلا ذلك، حتى إنهم يميزون أبداً الوقت عليها والابتداء بها
(13)وباً بعدها، وحتى قال جامعهم منهم: مثوُت سمحت (كلًا) في سورة فاحكم بأنها
(14)مكية: لأن فيها معنى التهديد والوعيد وأكثر مما نزل ذلك بعمة، لأن أكثر
(15)العتو كان بها.

(1) كذا ذكره السمين الحلي في الذهاب المصنوع 1/139 وينظر المحرر الجوزي لابن عطية/11/55.
(2) البحر المنفي لم يكن 1/111 والكشاف 2/523.
(3) كلاهما معنى، إذ يعني الردع: البقاء على الشيء، كأن الرذال مفيد معنى الفعّالة والانتهاز [ينظر
(4)المسمن مادة ردد وزجر].
(5) الكتاب 2/212.
(6) قال عطاء بن أي مسلم كان إذا نزلت فائقة سورة بمكة كتبه مكية ويزيده الله فيها ما شاء بالمدينة
(7) [كذا في حاشية الأمير على المعنى 1/160].
(8) تذكر المعني 1/320 ويبقّي ذوي التمييز 4/386 والإنفانت ص 251 ومعترك الأقران 2/
وصر ال١٩٣ والعشري وأبو حيان إلى أنها كذلك وإن لم يكن شيء قبل (كلاً) يتوجه إليه الردع والزجر، وحجته في ذلك دلالة الكلام عليه، وسيأتي التبعيق على هذا الكلام والرد عليه.

ويرى الكساوي وأبو حاتم ومنافقهما أن معنى الردع والزجر ليس مستمراً فيها فزادوا فيها معنى ثانٍ يصح عليه أن يتوقف دونه ويفتتذ بها، ثم اختلفوا في تعيين ذلك المعنى على ثلاثة أقوال:

أحدها: الكساوي ومتبعه: قالوا: تكون بمعنى حقاً، فيتتذ بها لتأكيد ما بعدها فهي في حكم الاسم ووضعها في موضوع النصب على المصدر والعامل محدث.

وثانيها: للنضر بن شميل، والفراء ومنافقهما، قالوا: (كلًا) حرف تصديق يأتي جواباً لكلام سابق لفظاً أو تقديراً، ويوثق بمعنى (نعم) ولا، أو على حد قول ابن يعيش في شرح المفصل نقلاً عن الفراء هي حرف رد يكتفي بها ك (نعم) و (بلي) إثباتاً ونفيَاً، وذا تكون صلة لما بعدها كقولك: (كل ورب الكعبة) بمعنى في ورب الكعبة، وحلوا عليه قوله تعالى: (كلًا وآلمقير .. المدثر ١٢) وركب ابن مالك هذه المذاهب الثلاثة، مذهبي الكساي

والمضر إضافة لذهب سيبويه وعامة البصريين، فجعلها مذهباً واحداً .. قال في التسهيل: "(كلًا) حرف ردع وزجر، قد تؤول به (حقاً) وتساوي (إي) معنى واستعمالاً".

١٩٣ وعلم الاهتمام للشيخ محمود خليل الخصري ص ١٣٩.

١) ينظر الكشف ٣/٢٣٤ والبحر المحيط ٨/٦٤٩ ودراسات قرآنية د/ عضوية ٢/٨٨٥.

٢) منهم - عل ما جاء في الجني - تلميذ نصير بن يوسف ومحمد بن أحمد بن واصل وأبو بكر ابن الأثري [الجني الداني ص ٨٧ ونظر حاشية الجمل ص ٨٨].

٣) مصري بن خوزجة المصري من أصحاب الخليل بن أحمد قاول أبو عبيدة: ضاقت عليه العيشة بالصرة فخرج يردي خرسان شفيعة من أهل البصرة نحو من ثلاثة آلاف رجل ما فيهم إلا محدث أو نحوه أو لغوي أو إخباري فأفاد بها إلى أن توفي سنة ٢٠٤ هـ [هذكذكره الأمر في حاشيته على المغني ١/١٦٠].

٤) ينظر المغني ١/٣٢٠ والجني ٧٧٧ والبحار ١/٢٦١ وجوهاء الأدب ص ٦٥٦ وشرح المفصل ٦/٨٧ والدرس الصون ٣/١٩٧.

٥) ينظر التنسيب ١٢٤ وجالج ي ص ٥٧٧.
و威尔انها: لأي حاتم السجستاني ومن شابه، قالوا: تكون بمعنى (لا)

الاستفتاحية، كما نسبة عليه ابن هشام صاحب المغني، ونسب المرادي هذا
الأخرى وما قبله لأي حاتم فقال: "ذهب أبو حاتم وواعظ الزجاج إلى أنها
تكون رداً للكلام الأول، وتكون للتنبيه ويتستذعن بها فتكون بمعنى (لا)"،
وأبو هشام في ذلك، نابع لابن عيشة، والقول بإفاده (كلا) للرد هو مذهب
أبي عبد الله الباهلي، وهو قريب من معنى الردع.

ومن المعاني التي تأتي (كلا) لتفيدها من غير المعاني الأربعة السابقة أنها تأتي
بمعنى (لا) فتكون لفني ما تقدم قبلها من الكلام، غير أن هذا التفني يأخذ
صوراً متعددة فقد يأتي لمجرد الردع تقول لشخص: (فلان بغضلك) يقول:
(كلا) رداً له، أي: ليس الأمر كما تقول، وقد يجعل التفني مصموباً بالإنكار
ودل ذلك إذا أخبر على غيره شيء منكرو، فيذكر بعده (كلا) يبناً لما يكون منكرًا
كقوله تعالى: (وأغتىكم من دورة الله دواة، ينكرونها هم غازٍ في كلا...
مريرم/٨١) أي ليس الأمر كذلك، فتكون نفيًا على سبيل الإتنكار، وقد
يجيء بعد الطلب لفني إجابه الطالب كقوله لم قال لك (إفعل ذاك): كلاً،
إلا لا يجاب إلى ذلك، وقد يأتي كذلك وكون (كلا) من كلام المتكلم بما قبلها،
كما في قول الله تعالى:

(حتى إذا جاء أحدهم ألموً قال: زأت أرضًا) لفني أعمَلُ
صلحًا فيما تركت كلاً. (المؤمنون / ٩٩) ١٠٠، وهي على أيّ حرف دال
على هذا المعنى ولا موطن لها من الأعراب، ولا تستخدم عند حذاق النحوين
بذا المعنى إلا في الوقت عليها فتكون زجراً وردًا وإنكارًا ما قبلها لأن فيها
معنى التهديد والوعيد، وهذا مذهب سيدني والخليل والأفنيني والبرد
والزجاج وغيرهم، ومن شواهد كلا النفيدة للفني قول العجاج:

(1) نظر المغني ١/٣١٩ ومعالمة الهندية ص ۱۴۰.
(2) الجني ص ٥٧٧ وتتصر ونظر لسان العرب ٥٨٩ وجوهر الأدب ص ۵٠٦ وفي التسهيل ص
٢٤٥ ولا يكون لمجرد الاستفتاح خلافاً لبعضهم.
(3) نظر شرح الفصل ٩/١٦.
(4) مولى الله بن محمد من أهل سمرقد روى عنه المدارق. تأريخ بغداد ١٨٨/١١٩.
قد طلبت شبيان أن تُصَاحبوا • كلاً، والأُصِطِطَاقُ مَآئِمٌ
وكان الرمانى قد ذهب إلى أن (كلاً) "تأتي على ضرين أحدهما أن تكون رداً
وينبغي كقوله تعالى: (ليكوناُ هُمَّ عَزِاً كلاً.. مريم/۸٢) وقوله تعالى:
(قالُ أُصْحَبُ هُمَا أَنِّي لَمْ يُصِبْ رُكُونَ قَالُ كَلَّا.. الشعراء/۲١)، أي
على طريق الزجر والردع، والثاني أن يكون بمعنى حقاً ومنه قوله تعالى: (كلاً
إِنَّ الْإِنسَانَ لَيُبَطِّئُ الحَلَٰلَ.... العلق/۶۷) أَهِمَّ.
وذكر بعضهم أنها تأتي صلة للكلام فتكون بمعنى (إي)، ونسب المرادي
هذا الأخير للباهلي أيضا وقال: إنها عنه "تعتون على وجهين"، وذكرهما، غير
أن صاحب الفتوحات الإلهية فيها عرف بباحشة الجمل، استنكر استلزامها لأن
تكون صلة في الكلام بمعنى (إي)، لأن (إي) وإن كان حرف جواب إلا أنه
"خصوص بالقسم"، وحمل عليه بعضهم قوله تعالى:
(كلاً وَالْقُحِرٌ... المذكور/۳۲)، غير أن الرضي أثر جعلها هنا بمعنى حقاً،
وقال معناه: "يجوز أن يجاب بجواب القسم كأ في الآية، وأن لا يجاب كقوله
تعالى: (كلاً بْلَى يَجْعَلُ الْخَلْقَ الْعَاجِلَةَ.. القيامة/۲۰)"، على الرغم من أنه صرح
في موضوع آخر بأنما "يقوم مقام القسم.. (كلاً) إذا لم يكن ردعاً نحو (كلاً
لْيُبِدِّنَكُمْ فِي أَخْطَابِهِ... الهجرة/۴)"، وذلك - بالطبع - يستلزم الجواب حتماً
وهو مقدرةً.
وقيل: إن (كلاً) تأتي أيضاً بمعنى (سوف)، كذا ذكره المرادي بلفظ
التضعيف، ونسبه السيوطي للفراء ابن سعدان، وفيه نظر، ملقي حرف

(۱) ينظر شرح الرضي على الكافية/۴۷۹ وحاشية الجمل/۸۵ وشرح كلاً مكي ص۳۳ والكلاب
للكتبى/۴۵ والرسام مادة: كلاً.
(۲) معاني الحروف للرمانى ص۱۲۲.
(۳) الجني الداني ص۵۷۶.
(۴) حاشية الجمل/۸۶.
(۵) شرح الرضي على الكافية/۴۴۹.
(۶) شرح الرضي/۳۱۹.
(۷) ينظر السيوطي ونور المعترك/۲/۱۴۴.
التسويف بلغه بعد (كُلّ) كَحَبَّةٍ في قول الله تعالى: (كَلَّا سَوْفَتُمْ تَعَلَّمُونَ.. التكاثر /٣)。

ومهياً يُمكن من أمر فقد تحقَّل مما ذكر أن لـ (كُلّ) - من غير المعاني التي تقيدها مع النفي - ثانية معانٍ أكثرها أطراداً هو مجيئها للردع والزهر.

مناقشة ما ذكر من الآراء السائلة الذكر:

بعد أن ظهر ضعف القول بتُركيب (كُلّ) وترجم ما ذكره سيسيوته والخيل وآخريَّ، يُمكن من أمر فقد تحقَّل لما ذكره من قصر المعنى في (كُلّ)، على الردع والزهر بحجة أن أكثر ما نزل ذلك في مكة، وأن أكثر المثوى كان بها، ومن أن ذلك يستلزم أن يكون المقام المعبر عنه بـ (كُلّ) دائماً وآيداً مقام تهديد ووعيد تكييف تأتي الإبان لأبي بكر وعليٍّ ومن نحا نوحٍها على رغب قلوبهم لآنة نزل من الحق وأمنوا - أول وهلة - بدعوة الصادق المصدق صلوات الله وسلم عليه.

فحمل (كُلّ) على الردع والزهر، كذا على الإطلاق وعلى العموم - مع ما ذكرنا - في ما فيه من التكليف الذي يدل عليه وعلى ما سابق ذكره، يعد ظهور معنى الزجر والردع في (كُلّ) المسوقة في التنزيل بنحو (في أي صورة ما شاء رَكْبَكَ؛ الانتظار /٨)، (يَوْمٌ يُقُومُ الْيَوْمُ الْأَخَافِيَّ الأَهْلَ) (التخطيط/٨٦)، (سَيَتَّلِمَّ أنَّ الْيَوْمَ الْأَخَافِيَّ الْأَهْلَ) (القياسية /١٩) لملائكة سياقات هذه الآيات وما جاء على شاكلتها مع مقام التهديد والوعيد اللذين يستلزمها معنى الردع والزهر، بـ وعليها وعليهما مع ما جاء بعدها في توجيه الخطاب وصورته.

١) هي على سبيل الإجمال: الردع، ومعنى (حقًا)، ومعنى (نعم) (و/أو) أي حرف رد صلة لما قبلها، ومعنى (الأ) الاستنادية، والمعنى الحفيقي أو المجازي جواً لكلام سابق، ومعنى (أي)، وصلة للقسم، ومعنى (سوف).
وإذاً لو حدود مصداق ذلك، عندما نقرأ ما جاء منها على الترتيب قول
الله تعالى: (كَلَّا بُلْ تَكُونَ بِعَلَمِيْنِ .. الانفطار/16 وقوله: (كَلَّا إِنَّكَ تَقْبَلُ الْفُجْرَ لَيْفَ سِجْنِيْنِ .. المطففين/7) وقوله: (كَلَّا بُلْ تَجْبَؤِنَ الآلِهَةُ .. القيامة/20) فقد جاء الخطاب في آية الانفطار موجهاً
لمطلق الإنسان الوارد ذكره في قوله قبل (بِتَأْيِبَةٍ الْإِنسَانِ مَا عَمِرَكَ بَرِّيَّكَ .. الأصابع .. الانفطار/6) بينا ورد في الآية التي تلتها (وَإِنْ عَلِيْكَ هُمْ
لمحفوظين) والتي لم تصدر بـ (كَلَّا) موجهاً لأهل مكة المكذبين بالقيمَة
والحساب .. كنا جاهرين في أولى آيات سورة المطففين الأربع التي صدرت
كل منها بـ (كَلَّا) في سياق الحديث عن البعث، بينا وردت الآية الرابعة
من نفس السورة وهي قوله: (كَلَّا إِنَّكَ تَقْبَلُ الْفُجْرَ لَيْفَ سِجْنِيْنِ ..
المطففين/16) على الاستناد، فإن (كَلَّا) فيها في معيتي (ألا) الاستفاحية،
ولا يصح جعلها لغير ذلك وإلا لاستنام نفي البعث وهو ما لا سبيل
للاسبة إليه .. وجاء الخطاب في أول آيت القيامة في سياق الحديث عن عدم
تمهل النبي ﷺ لما تلوه عليه جبريل عليه السلام من كلام الله، وورد
النسق الكريم فيها أعقاباً محدثاً عن عجلت هم الدنيا بخبرها وشرها
وبغيت عنهم الأخرى، مما حاشاه ﷺ - مع اختلاف السياق - أن يكون واحداً
منهم:
وإبناً على ما سبق فقول من قال من المفسرين: "فيا ذكر ردع عن ترك
الإيان بالتصوير في أي صورة ما شاء الله، وعن ترك الإيان بالبعث، وعن
العجلة بالقرآن"، تعلق ظاهر، إذ لم يتقدم في الأولين حكاية نفي ذلك عن
أحد، كأن طول الفصل في الثالثة بين (كَلَّا) وذكر العجلة يحمى دون همل
المعنى على الردع والرجز إذ فصل بين قوله: (لا تَحْرُكْ يَدَهُ لِسَبَاطٍ لِتَعْجَلْ
يَأْخُذُوا يَدَهُ .. القيامة/16) وقوله: (كَلَّا بُلْ تَجْبَؤِنَ الآلِهَةُ .. القيامة/20) بثلاث
آيات هي قوله: (إِنْ عَلِيْكَ بِجَمْعِهْ .. وَقَرْءَانِهِ .. فَإِذَا قُرِّرَ فَأَقْرَأْنَهُ .. ثُمَّ
إِنْ عَلِيْكَ بِجَمْعِهْ .. القيامة/17-19)، فضلاً عن أن السياق نفسه – على ما

٧٠
هو ظاهر بأدنى تأمل في سابق الآيات ولاحقها - لا يعين على جعل المعنى كذلك.

يضيف إلى كل ما سبق في عدم جواز قصر المعنى في (كَلَّا) على الردع والزجر، أن أول ما نزل من القرآن هو الخمس آيات الأولى من سورة العلق، ثم نزل: (كَلَّا إِنَّ الَّذِينَ يَطَفُّعُونَ .. العلق/6)، فجاءت بذلك في افتتاح كلام، فأي لأ (كَلَّا) أن يكون مجيئها للردع والزجر وما يقتضيان كلاماً سابقاً يستدعي أن يزجر عنه؟

كذا أفاده ابن هشام في المغني والفيروزبايدي في البصائر، وما ذكراه يعني بالضرورة أنه وإن ناسب أن يأتي المعنى في (كَلَّا) مفيداً الزجر والردع في كثير من الآيات الواردة فيها، فإن هذا لا يعني لزومها لذين المعنيين في كل ما ورد في التنزيل، وهذا ما يميل إليه الباحث ويتنتمي إليه ويرتبط، إذ من الآيات الواردة فيها هذه اللفظة - حتى من غير ما ذكرنا - لا يتناسب البينة مع هذا المعنى.

وبعد ما ذكره صاحب المغني والبصائر - في الحقيقة - ترجيحًا لما ارتاة أبو حاتم والكشائي والنضر بين شمل من أن معنى الردع والزجر ليس مستمراً فيها ومن أنها تأتي - أحياناً - بمعنى (ألا) الاستفتاحية على ما ارتة الأول ومتتابعه، ومعنى (حتاً) على ما ذهب إليه الثاني ومتابعيه، ومعنى (نعم) و(لا) أي حرف تصديق فيكون جواباً على ما ارتاة الثالث ومتابعيه، وإن كان الأول - من بين هذه الثلاث أعني رأي أبي حاتم - هو الأكثر اطرادًا إذ لا يتأتي قول الكشائي ومن لف لفه في نحو قول الله تعالى: (كَلَّا إِنَّ يَكْتِبُ الْفِجْرَ لِفْلِيَّةَ سَيْحَيْنِ .. المطففين/7)، وقوله: (كَلَّا إِنَّ يَكْتِبُ إِلَى الْبَرُّ لِفْلِيَّةَ .. المطففين/18)، وقوله: (كَلَّا إِنَّمَاتِي إِنَّهُمْ يَقْرَأُونَ .. المطففين/15)، لأن الحرف (إن) لا بد أن يكسر بعد (ألا) الاستفتاحية ولا

---

(1) ينظر المغني/180 والبصائر 4/823 كي ينظر معترف الأقوان 2/164 ومعالم الهدنة للبحصيري.

(2) وإن كان ما ارتة بعضهم لا يخلو عن كدر لفظهم بنزوم ذلك داعي.
يكسر بعد (حقيقة) ولا بعد ما كان يمتعنا، ولأن تفسير حرف بحرف أولى من تفسير حرف باسم فإن استراح اللغز بين الاسمية والحرفية قليل وخلاف
الأصل ومعوج لتكون دعوى علة لبائنها، وليس الأمر كذلك بالنسبة لـ
(حقيقة) التي لا تأتي إلا منونة على ما هو العكس من (كلّا).

وقد أخطأ الشووكي خطأً فادحاً حين ذكر في حق آية المطففين ما نصه:
"عند أبي حاتم أن (كلّا) بمعنى حقاً متصلاً بها بعدها، على معنى: حقاً إن
كتاب الفجاري لمجيء،" ففاته بذلك الصواب مرتين ومرة حين نسب القول
باستخدام (كلّا) بمعنى (حقيقة) إلى أبي حاتم بينا هو في الحقيقة سنة
لكساسي، ومرة أخرى حين حل عليه معنى الآية الكريمة، بينا هي في مثل
هذه الآية لا تكون كذلك لكسنة أدلة الآية (كلّا)، مما أثار الأخطاء
التي وقعت فيها أهل التأويل بسبب عدم مراعاة هذه الفروق الدقيقة وعدم
جعلها في الاعتبار.

هذا وكما لا يتراوح قول الكسائي في نحو قوله تعالى: (كلّا) إنّها كلمة هو
قابلّة، وأن كلاً منهم يترجم إلى يوم يبعثون . المؤمنون/ 100 )، وقوله: (كلّا
إفّت حسباً له ولي سنة شهداً ) الشعراء/ 67 ) لذات السبب يعني لما سبق ذكره من أن
لو كانت بمعنى (حقيقة) لفتحت حزمة (إنّ) لأن (إنّ) فتحت همزها وجوباً بعد
(حقيقة) وهي هنا مكسورة . لا يصح كذلك أن تكون (كلّا) في الأيتين
المذكورتين حرف جواب كا هو مذهب النجاشي والفراء ومن تبعه، لأنها لو
كانت حرف جواب لا ختل المعنى فيها، ولدلت في آية المؤمنون على الوعيد
بالمراجع إلى الدنيا، لأن (نعم) أو ما في معناه ك (إي) إذا وقعت بعد الطلب
دلت على الوعيد فإن قلب ذلك: (أعط فلاناً كذا) فقلت: (نعم)، كان قوله
(نعم) وعداً بالإعاطة.

(1) قال الداماني: وهذا إن ارتبط ما بعد (حقيقة) به أو بها قبله، أما إذا جعل (حقيقة) راجعاً لما قبله وإن (إن). مستأثرة، فالواجب الكسائي في نحو (إله مرجعك جميعه) وعددها حتى يبدأ الخلق ثم يعده،
يوم/ 4 ) في قراءة الجامع بكسر (إن)، لكن رجوع خفية (كلّا) لا يقبله بعد أطراده، كذا نص عليه
الأمر في حاشيته على المغني/ 110.
(2) فتح القدير للشووكي/ 399.
(وكلهم) في آية المؤمنون وقعت بعد الطلب وهو (آرَجَعُونَ)، وعلى فلو
حتاها عن معنى (نعم) لكانت وعدها من الله عز وجل بالرعود إلى الدنيا،
والله تعالى لم يعد أحداً بالرعود إلى الدنيا، لأن سنته الماضية في عباده
التي سبقت بها إرادته وعلمه أن أحداً ما لا يرجع إلى الدنيا بعد
مفارقتها، فحيثنّ لا يصح خلق (كلهم) في الآية الكريمة على هذا المعنى، وإذا
بطل أن تكون بمعنى (حقاً) ومعنى (نعم) تعين أن تكون إما للردع والزهر،
وإما للاستفتاح .. وهذه المعاني لا يتبث عنها لفظ الآية ولا ينفر منها
معناها.
والشيء بالشيء يذكر، فيا قيل في آية المؤمنون قال مثله في قوله من سورة
الشعراء: (قال «أصحاب موسى إن خماركودون قول كلاً إن معي ربي
سيديكين .. الشعراء/ 21، 22)، أما عدم جواز جعلها بمعنى (حقاً) فلا سبّ
من أن لو كانت بمعنى (حقاً) لتبعن فتح الهمزة بعد (كلهم)،بينا هي بعدها في
الآية الكريمة مكسورة، وأما عدم جواز جعلها بمعنى (نعم) - كها هو مذهب
الفراء - فإنّ (نعم) بعد الخبر تدل على التصديق ولا يصح إرادة التصديق
هنا لأنه سيترتب عليه أن يكون المعنى (أنت Merch) وليس ذلك معنى
الآية، فتعين أن تكون (كلهم) في هذا النظم الكريم أيضاً إما بمعنى الردع
والزهر وإما بمعنى الاستفتاح، فقد تحقّق في هذين الموضعين مذهب
أي حاتم دون مذهب الكسائي والسفراء، الأمر الذي يعني - على مسا
ارتضاء ابن هشام - أن مذهب أي حاتم هو الأكثر طراذاً والأوسع
تناولاً.
وصفية القول، أن (كلهم) لا تكون بمعنى (حقاً) بال حال إذا كسرت
بعدها همسة (إن) بل يتعين حينئذ أن تكون للردع أو الاستفتاح كما في
آية المؤمنون والشعراء، وقد تفهمها مما إذا صلح الموضع للردع
وغيرها، كما يتثنى كونها للزهر إذا لم يكن قبله ما يصح الردع عليه،

(1) بنظر معيّن اللبيب ١/٣٢٠، ٣٢١، ٣٢٢، ٣٨١، ٣٨٢، ومعلم الاهتداء ص ١٤٠ - ١٤٣.
كما في قوله تعالى: (وما هي إلا ذكرى للبشرِ كَلَا وَلَا ٱلْقُمْرِ). ٣٢

يقول ابن هشام في مغني اللبب: "إذا صلح الموضوع للردع ولغيره كا في قوله تعالى: (أطلعِ أَلْبَيِبَ أَمَرَ أَخْذَ عَذَّبَ الرُّهَمِينَ عَهَدًا * صَلَاحًا سَكَنْتُ مَا يَقُولُ...) مريم / ٧٨، ٧٩) وقوله: (وَأَلْقَىْاَمِنْ دُوْرِ أَلْلَهِ آلِهَةٍ يُكَونُوا هَمْ عَزَا * كَلَا سِيَكَفُورُونَ يُبَذَّرُونَ) مريم / ٨١، ٨٢) جاز الوقوف على (كلأ) على احتفال أن تكون للردع، وجاز الابتداء بها على احتفال أن تكون بمعنى (ألا) الاستفتاحية أو بمعنى (نعم)، والأرجح حملها على الردع لأنه الغالب فيه.

وقد تعني للردع أو الاستفتاح نحو: (زِبْ آرَجَعُونَ * لَعِيْ أَعْمَلُ صَلِحًا فِي ما ترَكْتُ كَلَا إِنَّها كَلِمَةً هُوَ قَابِلَهَا وَمِن وَزَآهِمْ بَرَزَحُ إِلَى بُوْءِم يُبَذَّرُونَ) المؤمنون/ ٩٩، ١٠٠) لأنها لو كانت بمعنى (حَقًا) لما كسرت هَمْزَةٍ (إن)، ولو كانت بمعنى (نعم) لكان للوعود بالرجوع لأنها بعد الطلب كل يقال: (أَكَرِم حَلَّانِ فِئَتُونَ: نَعِم) فقوله: (نعم)، وكذا قوله تعالى: (قَالَ أَصْحَبُ مُوسَى إِنَّا نُمَدْرِكُونَ قَالَ كَلَا، إِنْ مَعِي رَبِّي سِيَدِينِ) الشعراء/ ٦١ ، ٦٢) وذلك لكسر (إن) ولأن (نعم) بعد الخبر للتصديق.

وقد يمكن كونها للزجر نحو: (وما هي إلا ذكرى للبشرِ كَلَا وَلَا ٱلْقُمْرِ). المذكر / ٣٢، ٣٣) إذا ليس قبلها ما يصلح ردٍّ؛ وقول الطبري ومjahحة: إنه لما نزل في عد خزيمة جهنم (علىَّا يُبِعْثَةَ عَنْمَرَ.. المذكر / ٣٣) قال بعضهم: أكفون اثنين وَأَنَا أَكْفَيْكُم سَبعة عشر، فنزل: (كَلَا) زجر له، قول معنع لأن الآية لم تتضمن ذلك".

(1) M. al-labbab: ٣٢/ تقترح وينظر البصائر ٤/ ٣٨٢ ومعالم الاهتداء ص ١٤٣ كيا ينظر بحثنا (كلأ) دلائلاً ومواقفها في القرآن الكريم ص ٤ وبواعدها.
ثالثًا: الوقوف على (كلاً) والبدء بها وأثر ذلك في اتباع المعنى:

تشير الآيات التي ورد ذكرها في قول الله تعالى: (آيٌّينَاتٌ آثَّرَ الْمَعْليَةِ صَكَّرَ يَبَيِّنُنَا وَقَالَ لاَ وَلَدَا مَالًا وَوَلَدًا * أطْلَعَ اللَّغْبَةُ أَمَّا أَخْذُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا * سَكَّا لَا سَكَّاَ سَتَّكُبَ ما يَقُولُ وَتَمَّدَّ لَهُ مِنْ آخِرَ الْعَدَابِ مَدَا * وَقِنُّهُ، مَا يَقُولُ وَيَبَيِّنُنَا فَزِدَا * وَأَخْذُوا مِنْ دُوَّرِ اللَّهِ إِلَيْهِ لَيُكُونُوا هُمْ عَرَى * كَلاًَ سيِّكَرُونَ بِعَبَادَتِهِمْ وَيُقُولُونَ عَلَيْهِمْ ضَدًا ..) (98-97) مريم/77-78، إلى ما كان من شأن خباب بن الأرت مع العاص بن وائل السهمي وتحكي ما قاله الأخير وما سجله على نفسه من تكذيب بالله وبالبحث واليوم الآخر.

ففي الصحيح أن خباباً كان يصنع السيفوف في مكة، فعمل للعاص بن وائل سيفاً وكان شموه دينا على العاص، وكان خباب قد أسلم فجاء يتفاضى به من العاص فقال له العاص بن وائل: لا أفضيك حتى تكن بمحمد، فقال

خباب: لا أكثر بمحمد حتى يبعثك الله ويعملك، فقال العاص أو مبوعة أنه بعد الموت؟ قال: نعم، قال العاص متهكماً:

إذا كان ذلك فسيكون لي مال وولد وعند ذلك أفضيك دينك، فنزلت الآيات.

فأما الآيات كما هو متضح، جاءت في سياق الرد والإنكار على العاص بن وائل، وذلك حين لم يكتف بها جاء على لسانه فيها سبق أن نقلنا عنه، حتى راح يقول للخباب الذي جاءه في رجال من أصحاب النبي ﷺ: أَنْتُمْ تَزْعَمُونَ أَنَّهُ في الجنة ذهباً وفضه وحريراً ومن كل الثمرات! قالوا: بل، قال على سبيل التهكم والاستخفاف:

مُوَضُّعَكِمَا الآخَرَةَ، وَاللَّهُ لا أَوْتَيْنَ مَالًا وَوَلَدًا وَلَا وَلَدًا مِّثلَ كُتبِكَا الَّذِي

جَتمَّ بِهِ."

(1) ينظر روح المعاني 188/16 مجلد 9.
فمَجَاءُ (كِلَّا) في سياقات سورة مريم (مَا سَكَتْمَا مَآ يُقُولُونَ)

مِرْيَمْ (كِلَّا) سَيَكَفُّونَ يَعْبَدُونَهُمْ مِرْيَمْ (مَآ يُقُولُونَ) زَجَّرَهُمْ وَلَمْ يُعْرِجْهُمْ بِتَلَكَ الْعَظِيمَةِ، وَرَدَّهُ وَلَمْ يَغْرَضُهُمْ وَمِنْ مَعِيَةِ أَهْلِهِ مَعْتَقِدِينَ فِيَّا الْعَزَّةِ 

وَالْفَتْرَةُ، وَبِكَمْ أَنْتَ نَتِيعُونَ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ، وَنُفِيَ في الْوَقْتِ ذَاتُهُ وإِيَّالَ 

لَسْحَةَ مَا تَضَمَّهُ قَوْلُهُ تَعَالَيْ: (أَعْطَلْ الْغِيْبَ أَمْ أَخْذُ عِندَ الْرَّحْمَٰنِ عِهْدًا)،

وَقَوْلَهُ (وَأَخْذُونَ مِنْ ذُوَّبِ اللَّهِ الْيَدَّةَ َّلِيُكُونُواْ هُمُ الْعَزَّةُ)، كَانَ سَبِيحَهُ كَلَف

مِنْ شَأْنِ مِنْ مَلَاتِكِهِ بِتَلَسُّجٍ وَضَبْطٍ كُلُّ مَا يُصَدَّرَ مِنْهُ وَمِنْهُمْ تَمْهِيدًا لِمَجَازَاتِهِمْ

اَلْحَوْلِ، فَهُوَ فِي مَعْنَى قَوْلُهُ عَلَى وَجْهِ التَّهِيْدِ وَالْوَعْيِ:

فَلَيْنَتَرْدَعُ هَذَا الْكَافِرُ عَنَّ النَّفْوِ بِمَثْلِ هَذَا وَيُرِجُعَ عَنْ صَلَفِهِ وَكَرِهِهِ 

وَلِينَتَرْجُمُ مِنْهُ، فَلاَ هُوَ أَعْطَلُ عَلَى الْعَيْبِ وَلَا هُوَ أَخْذُ عَنْ الْرَّجُحِ عَهْدًا أَنْ يَجْلَقُ لَهُ شَيْئًا مَا زَعْمَ مَآ يُقُولُ مَا قَالُ، وَلَا الأَمْرُ عَلَى مَا ظَنَّهُ أَهْلُ مَلَاتِهِ مِنْ أَنْ 

الْأَطْهَرَةِ الَّتِي أَتَخَذُّوهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ سَتَشْعَفُ هُمْ وَأَدْفَعُ عَنْهُمْ أَوْ تَمْهِيدٍ مِنْ 

عَذَابِ الْيَمِّ الْيَمِّ، فَإِنَّ هَذَهُ الْأَطْهَرَةِ وَمِنْهُمْ المَلَاتِكِهِ وَالْجَنُّ الَّذِينَ يَعْبُدُونَهُمْ 

dونَ اللَّهِ تَعَالَ سَيَكَفُّونَ بِعَادِتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ وَيَبَرْؤُونَ إِلَى اللَّهِ مِنْهُمْ

وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ذَلَّلاً وَهُوَانًا لَا عَزَّةٌ وَنَصْرٌ.

وَعَلَى هِذِينَ الْرَجُهِينَ الْمُتَضْمِنِينَ لِمَعْنَى الرَّدْعِ وَمَعْنَىٰ (لاً) الْتَكْفُّرِ يَوْقِفُ عَلَى

(كِلَّا) فِي الْمَوْضُعِينَ، لَكُونَهُ مَا بَعْدَهُ فِيهِا عَلَى الْاِسْتِنَافِ وَلَكُونَهُ هُوَ فِي مَعْنَى

الْنَّفْيِ لَا مَآ عِلِّبَهُ وَالْإِثَابَةِ لَا مَآ بَعْدَهُ، فَأَمَّا الْأَوْلَى فَفِي مَقَامِ التَّهْيِدِ وَالْوَعْيِ، وَأَمَّا

الْثَانِي فِي مَقَامِ التَّنَبِّيِهِ عَلَى اَلْحُكْمِ لِيُبَيِّنَ أَنَّ الصَّوَابِ قدْ جَانَبَهُمْ فِيَّا تَصِرُّوهُ

وَرَجَعُوْهُ لَأَنْفُسَهُمْ، وَلَتَوْضَيْحُ أَنَّهُمْ مَخْطَأُونَ فِيْهَا ظَنُّواْ فِيْهَا النَّفْعُ وَالْعَزْعَةِ وَالْمَنَّةِ.

وَيَوْقِفُ عَلَى (كِلَّا) فِيهَا بِذِلِكَ كَافِيًا لِتَعْلِيِهِ فِي الْمَوْضُعِينَ بِقَيْلِهَا تَعْلِقَا

مَعْنِيًا، وَقَدْ أَيْدِي الْرَّفِيقِ عَلَيْهِا لَا ذِكْرُنَا الدَّانِيَةِ وَالْأَشْمَوْنِيَةِ – تَمْيَازُونَ بِالْخَلِيْلِ

وِسُبُوْيِهِ – غَيْرُ أَنَا جَعْلَهُ مِنْ وَقْفِ الْنَّهَامِ.

وَلَا بُرْدُ عَلَى مَا جَاءَ فِيْهَا عَلَى حَقِّ الْعَادِيِ أَنْ كَيْفَ يَتَأْتِيْ حَدُوثُ الْكِتَابَةِ مُسَتَّبِلًا

– مِمْ أَفْتَادَهُ سِينَ الْتَسْوِيَفَ – مَعْ أَنَّهُ قدْ كَتَبَ مِنْ غَيْرِ تَأْخِيرِ، وَلَكُنْ نَفْسُ

الْكِتَابَةِ لَا تَتَأَخَّرُ عَنْ القُوَّلِ كَأَلَّا سَبِيحَهُ: (مَا يُلْفِظُ مِمْ قَوْلٍ إِلَّا لَدُخُلِّهِ)
رَقِبْ عَيْبَتُ.. ق/ (18)؟.. لأن جوابه، أنه على معنى سببه له وعلمه أن
كتبنا قوله، وأنه على عادة وطريقة قول المتورد للجاني: (سوف
أتمق منك)، يعني أنه لا يخل بالانتصار وإن تطاول به الزمان
وأستأخر.

وعليه فالاستفهام في قوله تعالى: (أَفَرَأَيْتُ؟) مستعمل في التعجب من
قصة العاص الذي نزلت في حقب هذه الآيات، ولغته التجويد إلى معرفتها أو إلى
تذكرها، "والإذان أنها من الغرابا والشناعة بحيث يجب أن ترى وقضي منها
العجب .. والفاء للعطف على مقدر يقتضي المقام، أي أنظرت فرأيت الذي
كثر بأذى ببهاء الباهرة التي حقها أن يؤمن بها كل من شاهدها"، والخطاب فيها
لكل من يصلى له الخطاب، ويوجز أن يكون خطابا للنبي، وعلى التول بأن
(رأيت) بمعنى أخير تكون الفاء على أصلها، والمعني: أخبر بقصة هذا الكافر
عقب حديث أولئك الذين قالوا: (أَيَ أَفْرَأَيْتَينَ خَبَرَ مَقَامَهُ وَأَحْسَنْ نَيْبًا ..
مرام/ 37)، غير أن الذي يستدعه جزالعة النظم الكريم هو جعل
الفاء للعطف على مقدر مذكور، ليكون المعني: أنظر يا محمد إلى هذا
الكافر فتعجب من حالتة وجراءاته الشجاعة، كذا ذكره أبو
السعود.

وعلى أي فجمة (أَطْلَعْ عَيْبَتُ) جواب لكلامه على طريقة الأسلوب
الحكيم بحمل كلامه على ظاهر عبارته من الوقوع بقضاء الدين من المال الذي
سيجده حين يبعث، حي بع على سبيل الاستفهام الإنكارى التعجب،
(أَطْلَعْ) اقتبس من طلع لللمبالة في حصول فعل الطول وهو الارتقاء ..
ومن أجل هذا أطلق الاطلاع على الإشراف على الشيء، لأن الذي يروم
الإشراف على مكان محجوب عنه يرتقي إليه من علو، فأَلْصَلِى إِنَّ فَعَل
أَطْلَعْ قاصر غير متزامن إلى التعذيب، قال تعالى: (قَالَ هُوَ أَنْتُمْ مَطْلَعُونَ
فَأَطْلَعْ فَرَأَئُهُ في سَوَّاءٍ عَلَّجِيَمْ .. الصافات/ 64، 55)، فإذا ضُمّ معنى

(1) تفسير أبي السعود 5/279 محلة.
(2) نظر السابق.
(أشرف) عدى بحرف الاستعلاة، كقوله تعالى: (أو أطلعت علَّمهم لُوْلِيَّت
منهم فَرَرَاهُ .. الكفف ۱۸).
قال في الكشف: "ولا اختيار هذه الكلمة شأن، يقول: أو قد بلغ من
عظيمة شأنه أن ارتقي إلى علم العبد"، أي حتى ادعى أن ينوي في الآخرة
مالاً وولداً وأن يقسم عليه؟، ذلك أن في اختيارها رداً لقاتله الشهاب
وإظهاراً لبطالها على إثر ما أثير إليه بالتعجب منها، لأنه لما قال: (فسكون
لي مال وولد) يعني أن ماله وولدته راجعان إليه يومئذٍ، والمعنى على حسب
قول ابن عاشور: أشرف على علم الغيب فرأى مالاً وولداً معدّين له حين
يأتي يوم القيامة أو صائرين معه في الآخرة، (أو أطَلعت عِلَمهم لُوْلِيَّت
عَلَّمهم) بأنه معطبه ذلك فأيّن يحصل به؟ فإنه لا يتوصل إلى العلم به إلا بأحد
هذين الطريقين، إما مكاشفته ذلك وشهادته و وإما إخبار الله بأنه سيعطيه
إياه.
والتعلّق (عند)، ظرف مكان وهو استعارة بالكتابة، إذ شبه الوعد
بصحيفة مكتوب بها تعاود وتتعاقد بينه وبين الله موضوعة عند سباحته، لأن
الناس كانوا إذا أرادوا توقيف ما يتعاهدون عليه كتبوه في صحيفة ووضعوها في
مكان حصن مشهور كْمَا كتب المشركون صحيفة القطعة بينه وبين بني
هاشم ووضعوها في جوف الكعبة.
وفي تعقيبه يقوله: (عَلِيمَا سَكَّتَ بِهِ مَا يَقُولُونَ) إشارة إلى هذا المعنى
بطريقة مراعاة النظر، وفي التعبر لعنوان الرحمانية إشعار بعله الرحمة لإيتاء
ما يدعوه، كما أن استحضار مدلوله أجرد في وفاته بما عهد به من النعم
المزوعة هذا الكافر .. وفي اختياره تورك على المشركون الذين قالوا: وما
الرحمن؟ والكلام بجملته مجازة مع اللعين بحسب منطوق مقاله، أي على
طريقة كلامه مع خباب التي كانت كذلك.

(١) نظر التحرير ۱۶/۱۵۸/۱۶۰ مجلد.
(٢) الكشاف ۱۸۴/۴۲۴ مجلد.
(٣) نظر التحرير ۱۶/۱۵۸/۱۶۰ مجلد.
(٤) نظر السابق كـ نظر تفسير أبي السعود ۵/۲۷۹ مجلد.
وقوله (كَلَّا) ردع له عن التقوه بتلك الكبيرة وزجر له عن التزادي فيها، والتعبير بحرف التنفس في قوله: (كَلَّا كَلَّا) (يَكُونُوا مَا يُقُولُونَ) لبيان أن ذلك واقع لا مزاح، وهو كقوله تعالى: (كَلَّا سَيَكُفُّرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضَيْدًا) والمعلق: نسهم أنا كتبنا، أو سنستنقم منه انتقام من كتب جريمة الجاني وحفظها عليه، فإنه نفس الكتبة لا تكاد تتأخر عن القول لقوله تعالى: (مَا يَلْفَطُ مِنْ قُوَّلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقْبُ غِيْبٍ) [18/]. ومبنى العبارة على الاحتمال الأول تنزيل إظهار الشيء الخفي منزلة إحداث الأمر المعوم بجامع أن كلا منها إخراج من الكون إلى البروز فتكون استعارة تعبية مبينة على تشبه إظهار الكتابة على رؤوس الأشخاص بإحداثها، ومصدر الاحتمال الثاني تسمية الشيء باسم سببه فإن كتابة جريمة المجرم سبب لتقويه قطعًا. 

ومعنى (كَلَّا) في الآية الثانية ردع عن اعتقادهم الباطل وإنكار لوقوع ما علقوه به إطلاقهم الفارغة من أخذ الأصنام آلهة (ليكونوا لهم عرًا) ووصلة إليه سببانه وشفعاء عنده، فتكون مقابل قوله: (وَأُخْتَدِواْ مِنْ دُوَّرِ اللَّهِ إِلَيْهَا) وفيه تمام المقابلة، أي بعد أن تكفلوا جعلهم آلهة لهم سيفرون بعبادتهم وهذا هو الأظهر في حلب الآية عليه، خلافًا للفعل بعد العبد البشر في الآية بوصفه أقرب مذكر، إذ التعبير بالفعل (سيكفرون) وحرف الردع قبله يجعل جعل الواعي في (سيكفرون) لأهل الكفر، كـابرهج ما ولي هذه الآيات من قول الله تعالى: (أَلَمْ تَرَ أَيَّاً أَرْسَلْنَا مِنْ بَيْتٍ فَكَذَّبَهُمْ عِنْدَهُمْ وَعَسَى أَنْ يُعْلَجُواْ عَلَيْهِمْ إِنَّا نَعْمَانَ نُعَدُّهُمْ عَنْ غَدٍّ) [84/3]. إذ هي التدليق بتلك الآيات والتفسير ليضمنها لأنها تستخلص أحوالهم. وتتضمن تسليبة لرسول الله ﷺ في إمهاهم وعدم التعجيل بعقابهم. 
ولا صحة للقول بتشييت الضيائل الوارد ذكره في عبارة السمين الخبزي، والتي فيها يقول: "وَقِيلَ: إِنَّ الْضَّيِّمَرَ في (سَيَكُفُّرُونَ) يعود على المشركين، ونثله قوله: (وَأَلَّهَالَّهُ الَّذِيّ مَكَانُ مَشَارِكَينَ) الآية (23). إلا أن فيه عدم
توافق الضمائر، إذ الضمير في (يُكُونُون) عائد على الآلهة، و(بِعِبَادِهِم) مصدر مضاد إلى فاعله إن عاد الضمير في (عِبَادِهِم) على المشركين العابدين، وإلى المعول إن عاد على الآلهة"، وذلك لوضوح عود الضمير في (سَيَكَفُّเดิ). على المشركين ولعدهم في (يُكُونُون) على آلهتهم، خلافاً لى أن أشاروا عدواً على الآلهة لِيكون المعنى (ستنكر الآلهة عبادة المشركين إياهم وسكتونهم لحكم ذاته)، أو لم أن أشاروا عدواً معهم على المشركين ليكون المعنى: سيكفر المشركين عبادة الأصنام ويدخلون في الإسلام ويكونون ضداً على الأصنام يهمونها، ويلعنونها بعد أن كانوا يجمعونها كحب الله ويعبدونها من دونه، لأن السياق في الآيات يرجع إرجاع كل إلى ما يناسبه قول العباس بن مدراس:

عُدَّنا ولولا نحن أحدق جمعهم بالتلميذين وأحرزوا ما جمعوا
وعلى القول بأن (كلا) في الموضوعين في معنى (حقا) أو (آلا) التي

لاستنفاذ يكون المعنى والتقييد:

ستكتب ما تبدو به هذه المعاند من مقالة تكراء وما صدر عنه من جريمة
شعاء، ستكتب كتاباً حقاً أو كتبها حقاً، وسيكفر أهل ملته بعبادتهم
وابتعاتهم العزة منها كفرًا ثابتًا لابد من تحقيقه، لكون (حقا) في المرتين نعماً
لمصدر محدود .. أو مراد التنيه على أن ما بعد (كلا) هو المصدر الذي يجب
الاهتمام به، وعلى هذين الوجهين في الموضوعين لا يوقف على (كلا) لتعلقه
ولشدة اتصالها بها بعدها، ولأن آداء التنيه لا بد من أن تجعل في صدر الجملة
المتبه عليها ما أفاده محققوه أهل التفسير وأئمة القراء من أهل الوقوف
وأرباب التجويد.

(1) القدر المصون 7/2450
(2) بين ذو القارين 17/160/162/171/172/279
(3) النور الفارسي 17/106/113
(4) الخوارج 3/12/29 وشرح (كلا) مكي ص 289
(5) البخاري 2/91/1414 وintestinal والإسلام للعكبي 14 وقرطبي
هذا والوقف على كلا في قوله تعالى: (حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رَبِّ أَرْجَعْنُ؟) "لَعَلَّ أَعْمَلْ صَلِيحًا" فيما تركت كلاً إنها كلمة هما قَالَيْلاً وَمَن قَالَ أَرْجَعْنِ لَعَلَّ أَعْمَلْ صَلِيحًا فمن يجاب إلى الرجوع إلى موت يُبَعِّثُونَ. المؤمنون / 99:100، "حسن بُلْغ وهو قول نافع وأبو حاتم وغيرهما على معنى ليس الأمر كذلك، أو كما يظن من أنه يجاب إلى الرجوع إليها بل هو كلام يطع الأدراج الربح، فتكون ربما لم تمنى الكافر من الرجوع إلى الدنيا ليعمل صالحاً، لعلم الله أنه لو رد إليها لم يعمل صالحاً، وذلك قوله تعالى: (ولَوْ رَدَّوْا لَعَادَوْا لَمْ يُؤْهَوْا عَنْهُ. الأ축ام / 28)" انتهى من كلام مكية شيء من التصرف.

وقال ابن فارس لا يختلف عنه، وإن فرق الأخبار بين معنى الرد والثنى فذكر أن لـ (كَلَا) في هذه الآية ثلاثة معان: وذكر في أواها أنها "رد لقوهم (أَرْجَعْنُ) فقيل له (كَلَا) أي لا ترد، والثاني قوله تعالى: (أَعْمَلْ صَلِيحًا) فَمَمَّا تَرَكْتَ كَلَا أي لست من يعمل صالحاً وهو كقوله في الأ축ام / 28:

(وَلَوْ رَدُّوْا لَعَادَوْا لَمْ يُؤْهَوْا عَنْهُ)"، وأي ما كان فلمعني (كَلَا) أي لا رجوع، فهو نهى مصحوب بالرد على ما ارتضاه وهي مع كونها للثنئ فيها معنى الردع والزهر كذا في حاشية الجمل.

وفي الكشاف والبيضاو (كَلَا) ردع عن طلب الرجوع وإنكار واستبعاد لها.

ومن الواضح أن (حتى) في آيات سورة (المؤمنون) متعلقة بقوله قبل: (وَإِنَّا عَلَىٰ أن نَزِكَّكَ مَا تَعْدِهِمْ لَقُدِّرْتُمْ) المؤمنون / 95: فتكون وما بعدها وصفاً لعذابهم في الآخرة، وهذا يرجح أن يكون ما سبق ذكره في السورة من العذاب من نحو قوله: (حتى إذا فتحنا عليهن بابًا دا عذاب

References:
1. شرح كلا الكر ص 380.
2. مقالة كلا الكر ص 11.
3. نظر الفتوحات الإلهية 3/ 228.

81
شديد إذا هم فيه ملبسون.. المؤمنون / 777، عدباً في الدنيا، ويصبح صرفة على عذاب الآخرة فيكون إجمالاً وما في قوله: (حتى إذا جاء أحدهم ؛ لآلموت قال ربي آرجعون) .. إلخ، تفصيل له.

وضمير الجمع في قول هذا الغافل (آرجعون) تعظيم للمخاطب سبحانه، وهي طريقة معروفة لدى العرب، أو للملانكة على حذف مضاف تقدريه: يا ملانكة ربي، وما أعقبه من جملة الترجي (ألفت أعمال صلحتك فيما تر كنت) في موضع العلة لضمن (آرجعون) .. والترك فيها مستعمل في حقيته، وهي معنى التخلية والمقاومة، ويجوز أن يراد به تعالى المجازي، وهو الإعراض والرفض فيكون معناه: لعلي أسلم وأعمل صلاً في حالة إسلامي الذي كنت أتأتي عليه وأرفضه، ونكو حينئذ مشتملاً على وعد بالمثال وعلى اعتراف بالخطأ في سلف، وربك بهذا، النظم الموجود قضاء حق البلاغة، و(كلا) على أي من الحالين ردع للسامع ليعلم أن ما تطلع إليه الكافر من طلب الرجع مستبعد تماماً بعد أن فات أوانه وقضى الله فيه بأمر، فهو من كلامه سبحانه.

وأبعد من زعم أن (كلا) في هذا النسق الكريم من قول من عايين الموت، وأنه يقول ذلك نفسه على سبيل التحسر والتحزن، ويؤيد بعدها هذا الوجه ما ورد في السياق من قوله: (إنه كمِّه هُو قأياً لها وضيِّتهم برَّزْخٍ إلى يوْم يُبَعْثُونَ) كما بالإخبار من قِيل الله عنا غاب عن بني البشر، فهذا مع معرفة أن البرزخ هو في القيامة الخائلف بين الإنسان وبين المنازل الرفيعة، وقبل البعث بمعنى الخيلولة دون الرجعة التي يتمها، يؤد ما رجحه.

ولا عجب من وصف الكلمة في النظم الكريم بقوله: (هو قأياً لها) مع كون ذلك معلوماً، لأن الخبر مستعمل في معنى: أنه لا وصف لكلمته غير

1) وقد أغرب السمين حين ذكر ضمن أسرار التعبير بجمع الجدالة، "على تكرير الفعل كأنه قال: ارجعون ارجعون، نقله أبو البقاء، وهو يشبه ما قاله في قوله: (لأذلها في جهه.. ف/ 400)، أنه بمعنى: ألق ألقين، ثم الفعل للدلالة على ذلك، وأنشدوا قوله: (فنا نبك من ذكرى حبيب ومشروب.. أي: قف قف" [النذر المصوم/ 367]
كونها صدرت من في صاحبها، وبذا يعلم أن التأكد بحرف (إن) لتحقيق المعنى الذي استعمل فيه الوصف، فهو في معنى: هو قائلها لا مئات، لا تلبسها ولا يسكط عنها استياء الخمسة وتسلط الندم عليه، فتقديم المسند إليه لتكوين الحكيم، وعلى معنى هو قائلها وحده لا يتعين أن تكون للاختصاص، وفيه ما يدل على مزيد الاستيعاد لكونه في معنى أنه لا يجاب إليها ولا تسمع منه، بتنزيل الإجابة والاعتداد منزلة قولها، حتى كأن المعنى بها شريك لقائلها، ومثل هذا منقول فيقول من كلمه صاحبه بها لا اجتدى تحته: (استغفر أنت وحكى هذه الكلمة وقم بها نفسك)، يعني أنها لا تسمع منك ولا تستحق الجواب.

ومن المعلوم بذات المعروف بلغة والمؤلف استعمالاً، استخدام الكلمة ليراد بها الكلام كقوله تعالى: (ولقد قلنا لكلمة القيصر... الشهادة) وليست كلمة وإنها هي كلمة، ونظر إلى ذلك من جاها في قول النبي ﷺ: أحد مثل كلمة قالتها شاعر كلمة لبيد: (ألا كل شيء ما خلا الله باطل).

ويجوز الابتداء بـ (كلام) عن معنى: ألا إنها كلمة، فتكون بمعنى الاستفادة التنبيهية، وعلى هذا الوجه لا يؤثر عليها لوثيق الارتباط بما بعدها كلا لا يحسن.

والأول أبلغ لكون المعنى بالوقف عليها أنم إذا كان كافياً، والوجه فيه أن جملة (إنها كلمة... الخ) استثنائية لا موضع لها من الإعراب قصد بها تقرر معنى (كلام) من عدم جواز الإجابة، أي إنها كلمة لا يعني لها ثمرة ولا يحصل من ورانها على فائدة، ولا يجاب لما سأل ولا يغاد، فينها وبينها قبلها ربط معناوي، والقول بالابتداء بها على تأويلها بـ (حثا) وإن اعترض عليه بشدة من

(1) ينظر التحريث: 122/16 وما بعدها مجلد 9 والألوسي 18/95 مسلم 101 والدر المصون 8/368 والقواعد للغة Credentials. 42

(2) البخاري 362 وابن ماجدة 3757 والترمذي 5744 ومسلم 1256 والملصق 3694/966 وابن حبان 5894 والبيهي 2350 وابن جياني 9927 واحمد 8777 71002.216/12

83
قبل كثير من النحاء وأهل اللغة والتجويد نظراً لكسر همزة (إن) التي يجب فتحها بعد (حضا) أو ما كان بمعناتها، إلا أن سيبوه والجمهور من نحاة البصة آساغوه لوروده في نحو: (حضا أنه منطق) ففتح (أآن) بعد (حضا)

وأنشدوا:

أحقا أن جرتنا استقلوا * أثبتوا ونثوه دقيق.

ففتح (أآن) بعد حقأ وحكا سيبوه وغيره أنك إذا قبلت: (أما أنه منطق).

وجعلت (أآن) بمعنى حقأ ففتحت همزة (إن) فإن جعلتها بمعنى (أآن) كسرتها، فعل هذا تجعل (كلاً) أيضاً، لأنها بمنزلة (أآن) في أنها – أي (أآن) و(كلاؤ) يقعن بمعنى (أآن) وعنى (حضا) فهذا بين في وجوه فتح همزة في (أن) الواقعه بعد كما إذا كانت بمعنى (حقأ) فلا يبدأ بـ (كلاً). في هذا الموضوع ونظره – (أآن) وهو بمعنى (أآن).

والحق أن هذا مع قولهم بلزوم كلا في إفاده معنى الردع والجز - كذا بالتفعيم - لا يخلو عن كدر، ولا سبيل مع ما ذكرناه من سياقات هي أقرب إلى المعاني والأغراض الأخرى من أن تكون للتحقيق المفاد من جعل (كلاً) بمعنى حقأ.

والمستبر للغاظ الكريم (قل تجمع بيننا بزذا) ثم يفتح بيننا بالحق وهم الفتنس العليم * فت أروي النذر: الهقنت بهب شرحة كلاً بل هو الله أن تعزز اللحيم.. سبأ / 27، يذكر أنه بمنزلة البيان للآية التي قبلها (قل لا تسلع فقد عامة أجرمنا ولا تشكل على ما تعلمون .. سبأ / 25)، لأن ثبرة كل فير من عمل غيره يقتضى أن هنالك سؤالاً عن عمل

_______________________________
(1) ينظر شرح (كلا) ص 30 ومعالم الاحتداء ص 151: 228/228 والبحر 2/23/24، ودراسات عرضية القسم الأول 2/389. 290/1.
(2) البيت المتفضل النكري، ونظر في شأنه شرح آيات المغني 3/31/1 والمسان مادة (شرق).
(3) ينظر شرح كلا للكي ص 30: 22.
نفسه، فيَّ بُنِيَّانٌ بأن الذي يسأل الناس عن أفعالهم هو الله تعالى، وأنه الذي يفصل بين الفريقين بالحق حين يجمعهم يوم القيامة الذي هم متكروه، وهذا تدرج من الإياء بأن كلاً محاسب عن عمله، إلى ما يشير إلى ضلالمهم وما يستلزم من حساب وأحوال.

والوجه في التدويل بـ (الْفَتَايَةُ الْعَلِيمِ) لجملة (تَجْمِيعُ بُنيَّانِ زِينَتَا ثُمَّ يَفْتَحُ بُنيَّانًا غَلِيظًا) أن يجعل وصفاً كلياً لحكم جزئي، وفي ذلك من الوصف بالقوة والإحاطة ما فيه، ونكتة تباع العلماء بـ (الْفَتَايَةُ)، الدلالة على أن حكمه عدل مخصوص وأنه لا يخف بحكمه أسباب الخطأ، لكنه منزه عنه وعن الجور الناشئ عن الجهل والعجز، وإتباع الضعف النفساني الناتج عن عدم معرفة الأحوال والعواقب.

وهنا يأتي القول الكريم: (فَلِىْ أَزْوَىْ الْذِّيْنِ الْحَقَّ مَثَّلَهُمْ يُهِ، سُرْفَكَاءُ كَّلٌّ بَلِّهُ اللَّهُ الْغَفُوَّرُ الْحَكِيمُ)، لبيان أنهم مفضحون على تلك الإرادة. وقد أعقب طلب تحصيلها بإثبات أثرها وهو الرد عن اعتقادهم وأنه إبطالاً عنهما عليهم بإثبات الله تعالى وحده، فذلك جمع بين حرفهما الإضراب ثم الانتقال إلى تعيين الله الحق على طريقة (كَلَّا بَلِّهُ اللَّهُ ﺃَلْهَوْرُ الْحَكِيمُ).<br/>

فاحتمل المعنى في (كَلَّا) لأن يكون للرد، ولأن يكون للنفي والرد، لأنه قبل ارتدوا عن هذا القول وذاك الزعم الذي تزعمونه من أن هذه الأصنام شركاء الله تعالى، فإن هذه الأصنام لا تخلق شيئاً ولا ترزق أحداً.

قال العلامة الآلوسي: "(كَلَا) رد فعل على زعم الشركاء بعدما كسره بالبطل، كأ قال إبراهيم عليه السلام: (أَفْلَيْكُمْ وَلَمْ تَعْبُدُوا مِنْ دُونِ اللهِ .. الأَنْبِياءُ/77 بعدها حج قومه)، كان لما قال: عرفوني هذه الأصنام والأوثان التي جعلتموها شركاء الله عز وجل وهل شاركتي في خلق شيء، أتبعه يقول: (كَلَا) نفيًا لجوابهم المحدود المقدر بأنها هي الأصنام، فتكون كلاً".

---

(1) ينظر التحرير 22/1957-1957 جلد 11.
(2) الآلوسي 22/1957 وينظير الكشاف 3/289 والجلالان بحاشية الجمل 5/289.
قد جاءت لنفي ذلك ولتحقيق معنى: ليس الأمر كا زعمةم لأنه تعالى جل أن يكون له شركاء أو ردا على قوله: (أو في) أي أنه لم يرون ذلك ولا يقرون عليه. و كيف يرون شيئا لا يكون، وعلى هذه الأوجه يسوع الوقف على الأداة (كلًا) منفردًا، ويكون الوقف عليها وفقيا تاما كما قال بذلك الداني والاشموني متأثرين بالخليل وأبي حاتم، أو كافيًا لعدم تعلق ما عدها بها لفظاً وإن تعلق معنى من جهة كونها رد عليهم ورعد وزجر، ويجوز البدء بها والوقف على شركل بجعلها من تمام القول، والوقف عليها كاف للعيلة نفسها فيكون في الآية وفقيان متجموران.

وعلى كلّ ففي الضمير (هو) قولان:
أحدهما: أنه ضمير عائد على الله تعالى، أي ذلك الذي أخلقته به شركاء هو الله، و (العزيز العليّ) صفتان.
والثاني: أنه ضمير الأمر بالشان، و (الله) مبتدأ و (العزيز العليّ).

خبران، والجملة خبر (هو).

ومن فساد المعنى وصل (شرّكاء) ب- (كلًا) إذ يصير مفاد الآية أن إلحاقهم الشركاء بالله تعالى حق ثابت، وهذا معنى بين الفساد واضحة البطلان، كما لا يجوز البدء بها يجعلها معنى (حقاً) ولا يصبح، لما يرتتب على الوقف على شركل والبدء ب- (كلًا) ووصلها بها بعدا بهذا الاعتبار، من ركعة العبارة وتهافت الأسوب، وإن أنسجه ابن فالس في مقالة (كلًا) تحقيقا لقوله (هو الله المعزّز العليّ) فبمعنى لا يسوغ جعل كلا بمعنى (الآلة) التنبهية لأنه لم يعده في فصيح الأساليب وبلغ التراكب، إقرار (الآلة) التي للتنبيه ب- (بل).

1. بنظر القرطبي 8/569.
2. بنظر مقالة كلا لابن فالس 125 والمكتف يحقق جابيد 129.
3. بنظر الدار المصور 9/185.
4. بنظر مقالة كلا لابن فالس 125 كما بنظر معالي الامام الشيخ محمود خليل الحصري 155.
5. بنظر معالي الامام ص 155.
ورمن الآيات التي يجوز الوقوف فيها على (كلَا) على وجه ومعنٍ، والبدء بها على وجه آخر ومعنى ثانٍ، ما جاء في قوله سبحانه: (ولَيُشْلِّكُ خَيْرٌ مَا يُصِرُّوهُمْ يَوْدُ آلِ ظُمَّرْجِمَ لَوْ يَفْتَدُونَ مِن عَذَابٍ يَوْمِ يَوْمِ دِينَهُمْ) ويضيفه، وأخيه، وقضيعيته التي تتويه ومن في الأرض جميعًا ثم ينجميه. (كلَا) إذا أتى بطله... ـ المراجع/10:15)، وقويه في نفس السورة:

(فقال آل ذؤيب: كفرنا قبلك مهتبين عن أئمتهن وعين أئمتهن عزينة) أنعم جعل أمرهم من يدخل جنة نعيم.(كلَا) إنه خلقنهم مما يعلمون... ـ المراجع/36:39)، فقد أجاز المحققون من القراء وأهل التأويل والتجويد الوقوف فيها على (كلَا) والبدء فيها بها.

وقد سُوِقَ الوقوف في الموضعين على (كلَا) حمل الآيات في الموضع الأول على ردع المجرم وزجره عن مثلي الانتقاء بالتنبيه على امتثال الإ Inhal. وحملها في الموضع الثاني على ردع أهل الكفر عن طمأنتهم وطمأن كل منهم في دخول الجنة إذا استمروا وتمدوا في كفرهم ومنعوا عليه، يقصد أن يعرض كل من تمنى ما هو محل وغير ممكن في حقه. كذا سُوَى الوقوف عليها، حمل الآيات في الموضعين على معنى النفي، يعني نفي الانتقاء من قبل المجرم بأن لا يتحقق ما رجاه وتمتاه من اقتداء أقرب الناس إليه حتى ينجز من عذاب لعظم التي تنزع الأعضاء من غير الرأس عضواً عضواً أو تسليخ جلد الرأس عنه، ونفى الإفحاء في أن يتحقق ما يطيع إليه هؤلاء الكافرون من دخول الجنة ما داموا لم يؤمنوا ولم يقوموا بالأعمال التي تؤهلهم أو يستأثلون بها دخولها.

وقد جاء القول الكريم (كلَا) لإبطال ما يُساهم نفوس المجرمين من الودادة، والأصل فيه أن يكون ردًا لكلام سابق لكنه هنا نزل ما هو مضمر في

(1) واللغفي في الأصل: اللحم ونقل على جمجم، ولذلك منع من الصرف، والتشوي: الأطراف، جميع شواه ك(نويا ونواة) وقيل الشوي: الأعضاء التي ليست بمقبل، ومن رمهم فأشوا أي لم يصب مقبل، وقيل الشوي جمع شواه وهي جلد الرأس... وقيل هو جلد الإنسان، والتشوي أيضاً زوال المال والأشياء اليسير... كذا في الدر المصور/458/10:27.
نقوسهم منزلة الكلام، لأن الله مطلع عليه وعالم به، ولا يبعد أن يكون حرف الردع في هذا السياق لإبطال ما يفوته به من ثمّي ذلك على وجه الحقيقة كاً جاء في قوله سبحانه: (ويقول: ألكُفرُوا بِالْأَيَاتِ الَّتِي كُنْتُ تُرْبَى.. .. النبثا/ 40).

يقوي ويتعضّد من شأن ذلك الآخر أنه سبحانه عبر عن صريح ما جاء في آية النساء قوله تعالى: (بِمِلَّاتِ الْآخِرِينَ كُفْرُوا وَعَصُوا أَرْسَالَ لَهُمْ أَلَّا يُؤُذُوهُمْ.. النساء/ 42) أي يصبرون من ترابها، ولكن هيهات أن يكون لهم ذلك أو شيء منه، فلقد عاين كل منهم (الظلم) الذي أعدته له، تدعوه وتنعقيه على الرغم من إدارته عنها وتولي منها، ولبد الأمر إلى حيث يلتمى كل محرم أن ينطلي نفسه بأقرب الناس إليه، وأعلقه بقليبه بعد أن يصر بعضهم ببعض فيقال لأحدهم: انظر ماذا يقاسي قريبك فنان؟ فما يمنعه من سؤال الشفاعة أو المنشأة أو المتعاً إلا اشتعال كل بحال نفسه، نسأل الله العفو والعافية والعافاة في الدين والدنيا والآخرة.

والوقوف على كلا في الموضعين كاف، أما الأول فلاستانن الحاصل من قوله: (إِنَّمَا الْأَيَاتُ لِكُلِّ مَرْجٍٰعٍ) وأما الثاني فلكون الحملة بعدها وهي (إِنَّمَا خَلْقُهُمْ) مع كونها مستأثرة معولة لردعهم عن الطمع في دخول الجنة على القول بإفادتها معنى الردع والزجر، ومعلة كذلك لبني طمعهم في دخوها على الحمل على معنى النفي، وقدره نافع رداً لما قبله أي لا يدخلونها.

وعن إساغة البدء بما (كلاً) تجدر الإشارة إلى أنه لا يصح في الموضعين حمل المعنى في الأداة (كلاً) على جعلها بمعنى (حَقّاً)، لوجود ما يمنع من هذا الوجه وهو كسر هيئة (إن)، وإن أجاز ذلك القرطي وصرح به في الموضع الأول فجعل تمام الكلام (یَنْجِيهِهِ).}

(1) نظر التحرير 29/162 مجدد 15.
(2) والمعنى: إنكم مخلوقون من نطفة قدراً لا تاسب عمل قداس، فمن لم يستكم بالابيان والطاعة ولم يخلق بالأخلاق الملائمة لم يستد للخير، أو إنكم مخلوقون من أجل ما تعلمون وهو تكمل النفس بالعلم والمثل، فمن لم تستكملا لم يبؤا في منزل الكمال، أو هو الاستدلال بالنشأة الأولى على إمكان النشأة الثانية التي كبروا الطعم على فرضها فقرأها عاملًا عندهم بعد ردهم عنه.
(3) نظر القرطبي 10/1370.

88
وفيما قاله نظر، إذ ليس المسؤوَل للبدء بها جعلها بمعنى (حقاً)، وإنما سوغ البدء بها في الموضع الأول من سورة المئارج صحة جعلها بمعنى (آلا) فيكون الوقف على (يَنْجِي) كافياً، لكونه آخر متنين المجرم وانتفاء التعلق اللغظي.

أما سوغ البدء بـ(آلا) في الموضع الثاني من السورة، فحقق التعلق المعنوي بالوقف على (نعم) إذا الوقف عليها بهذا الاعتبار كاف، ويبين أن يكون سر البدء بـ(آلا) جعلها بمعنى (آلا) لأن المقام لا يناسبه، وإن أجاز الأشموني ذلك.

وينبغي أن الأمر في (آلا) ليس قاصراً على ما سبق من دلالات ومعان، فإن ثمة اعتبارات أخرى يسوق إليها النظير ويدي إليها السياق، وحسبنا أن نسوق لبيان ذلك ما ذكره بعض أهل الفنوى في تفسيره لقول الله تعالى (آلا إنا خلقتموه ممَّا يعِلمُورَتَينَ .. المعازج/٣٩)، وذلك فيما نقله عنه الإمام الألوي، فقد أوضح مفتي الدمام الروماني أن "الأقرب - في نظم الآية سالفة الذكر- كنه كلاماً مستأنساً قد سيق مهماً لما بعده من بيان قدرته عز وجِل على أن يحكم لهم كفرهم بالبعث والجزاء، واستهزائهم برسول الله ﷺ وها نزال عليه من الوحي، وداعائهم دخل الجنَّة بطريق السخرية، وبيان قدرته كذلك على أنه ينشئ بهدمهم قوماً آخرين، لأن قدرته سبحانه على ما يعملونه من النشأة الأولى حجة بينه على قدرته عز وجِل على ذلك كما يفصِّل عنه الفنوى الفصيح في قوله تعالى: (فَلَأَنْ أَقَسَمْ بَرِّ الْشَّرْقِ وَالْغَرْبِ إِنَّا لَقَدْ رَزَونَ عَلَيْنَ أَنْ نُبْدِلَ حَيْرَاؤَ مِنْهُمْ وَمَا حَنُّ يَمْسَؤِفِينَ .. المعازج/٤٠٤٠٤١) إِيَّ إِنَّ الامر كما ذكرونا من أن خلقهم ما يعلمون، وهو النقطة الظاهرة، فنحن قادرون على أن نهلكهم بالمرة حسباً تقنُّضيه جناهِاتهم، ونأتي بهم بخلق آخرين ليسوا

(1) ينظر المعلم ص ١٥٧
(2) ينظر المارص ص ٤٠٤، والمكتفى ٥٨٧ كما ينظر في تفسير الآية الكشاف والبحر ٣٣٦، والفرطي، وحاشية الشهاب، وحاشية الجمل ٤٤٤، ٤٤٨، ٤٥٤، ويرى ومقالة كلاص ١٣، ودراسات عضوية الفنِّ، الأول ٢، ومعالج الاهتمام ص ٣٩٢، ومعالج الاهتمام ١٥٧، ١٥٦.
على صفحتهم وما نحن بمغلوبين إن أردنا ذلك، لكن مشتتنا المبئية على الحكم البالغة، اقتضى تأخير عقوباتهم به".

وكلامه وإن لم يكن نصاً على الاستناد في (كلا)، بل يفاد منه أنه يعني بالاستناد جملة: (إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مَن مَا يَعْلَمُ وَهُمْ بَيْنَ شَهِيدٍ وَمُهَيَّدٍ). وردَّه للشَّهْر في كتاب الله وإنشاء قوم خير منهم أي رداً لما بعد، وقد ذهب مكي بن أبي طالب التقيسي في شرح (كلا) و (ب) إلى عد هذا الموضوع من المواضع التي يحسن الوقف فيها على (كلا) على معنى، ويس向着 الانتقاء بها على معنى آخر، كما أجاز جعل (كلا) فيها للاستفادة بمعنى (الآيا) الأشومي في منار الهدى، وعلى أي من الحالين فالتعبير عن مادة خلقهم بما يعلمنو مما يكسر ولا شك سورتي المتكقبين ويجعلهم على ذكر بأصل خلفتهم.

وقريب مما تضمنه الآيات السابقة، ما جاء في قوله تعالى: (ذَنَّى وَمَن خَلَقَتْ وَحِيدًا وَجَعَلَتْ نَفْسَهُ مَالًا مُّمَدُودًا وَبَيْنَ شَهِيدٍ وَمُهَيَّدٍ، ثُمَّ مَهَّدَهْ). 11 - 16. وقوله فيمن تولى عن النذكرة: (أَنْ خَلَقْنَاهُمْ حُمْرًا مُّسْتَفَرَّةٍ فَرَتْ من قَسَورِهِ بَلْ يُرِيدُ كُلٌّ مَّعْمَى كَيْفَ أَنْ يَوْقَهَا صَحِيفًا مَّنْشِرًا وَكَلًا بَلْ لا ْخَافُونَ ْالَّذِي ۛ. المدثر / 50 - 53)، فقد ذكر الثواب العلم أن للوقف على (كلا) في الموضعين وجهان:

أولهما: الردع أي ردع أولئك الذين لا يخافون الآخرة ويريدون مع كفرهم إنزال المعجزات واقتراح الآيات الخارجات، فجِيء بـ (كلا) لردعهم عن تلك الإرادة، وجزرهم عن اقتراح الآيات. كما أنه ردع كذلك لوليد بن المغيرة

(1) روح العناصر 114، ص 29/12.
(2) ينظر شرح كلا وثoby ولاحق للأشومي ص 4.
(3) ينظر الألوسي 114، ص 29/12.
(4) ينظر الكشاف 188/4 ومقالة كلا ص 14 والبحر 8/381.
المخرزمي، ذلك الذي نزلت في حقه آيات: (ذَّنَّى وَمِنْ خَلْقِهِ وَحِيدًا) إلخ، وقطع لرجاهه وطمده، "وقوله: (إِنَّهُ كَانَ لَأَبِينَةَ عِبَادَة) تعليق هذا الردع على وجه الاستنفاف، كأن قائلًا قال: "لم يزد مالاً، وما له ردع عن طمده في ذلك؟ فقيل: إنه عاند آيات المعتم وكفر بذلك نعمته، والكافر لا يستحق المزيد.

(وَذَنَّى) في قوله: (ذَنَّى يَطْمِعُ أَنْ أَزْيَد) ليست التي للنسق ولكنها تعجب من حال هذا الذي لم يقدَّم من الإيان والشكر لله عز وجل ما يستحق بسببه تحققه من الطمع في المزيد من نعم الله وفضله، فهي في سياقها كقول الله تعالى:

(وَجَعَلَ الْأَطْهَامَ وَالْأَتْمَامَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْمَلُونَ). .. الأعما/1)

وكتوبك لمن يجد فضلك: (أعطينك ثم أتى تجفوني) الكتعجب من ذلك، وقيل المعنى: يطبع أن أترك ذلك في عقبه، وقال: يطمع أن أنصرف على كفره، وأياما كسان فقد جاء التعبير بـ (كلا) قطعاً للرجاء عن كل ما كان يطمع فيه من الزيداً وهو في معنى الردع أيضاً، (كلا) على كل متصلة بالكلام الأول.

وقد كان الوليد يلقب في قريش بالوحيد لتوحده وترفعه بอาشتاري مزايا له لم تجتمع لغيره وهو كثرة الولد وسهولة المال ومحبة وبهج أبيه من قبله، وكان مرفع قريش في أمرهم لأنه كان أدنى من أبي جهل وأبي سفيان، فقالون بلقب (الوحيد) كان هذا الكلام إباءًا إليه لاشتهاره به، وجهاء النعت بذلك بعد فعل (خلقت) ليصرف هذا الوصف عنا مراداً به فيصرف إلى ما يصلح لأن يكشف به حققة أمره، وليكون المعنى على التهديد والوعيد (ذَنَّى ومن أورده وحيدًا من المال والبدين والبسطة)، فعبير حقيقي عن غرض المدح والثناء الذي كانوا يخصصنه به إلى غرض الانتقى لله الذي هو حال كل مخلوق، بل وإلى غرض الذم يجعله وحيداً في الحب والشرارة أو وحيداً عن

(*) الكاتب: 3/4 182 نص يتوفر وينصغ مقالة كلا ص 13 البحرف 8/326 وشرح الرضا على الكاتبة 210/107.542
(2) ينظر القرطي 792/1009.7109/109.

91
أبيه لأنه كان دعيًا لم يعرف نسبه للمغيرة حقيقة كا ألمحت إليه الآية الكريمة:

(عُطِلَ بَعْدَ ذِلَّةِ رَزِيمٍ .. القلم/١٣).

ويروى عن ابن عباس في روايته أن ماله من الابواب، والغنم، والجواري والخيام
بلغ بين ما بين مكة، وطائف، وأن كل هذا المال كان يبلغ ألف دينار أو يزيد،
وأن بطانته له بالطائف كان لا يقطع ثارًا صويًا وشئًا، كما اتمنى الله عليه
بتعمة البنين الذين وصفهم القرآن بأيام شهود، لأنهم لم يكونوا يفارقونه فهو
مستمتع بينهم لا يشغل به مغيتهم وكانوا يشهدون معه المحافظ فكانوا فخراً،
وقد قيل أنهم كانوا عشاءً بين وقيل ثلاثة عشر أبناء منهم ثلاثة أسلموا وهم
خالد بن الوليد، والوليد وهشام، فلم يعطهم - على ما عليه من كفر وعتماد - في
طلب الجواب: (كلاً) رداً له واستعداداً وانتكاشاً لطمعه
وحرصه، لمنافحة ما كان يطمع فيه مع كفر النبي من عهد الأول ومعاندة النعم والمقصود
إبلاغ هذا إليه مع تطمين النبي بأن الوليد سيقطع عنه مدد الرزق لتلا
تكون نعمته فينة لغيره من المعاندين، فيفرغم حاله بأن عنادهم لا يضرهم
لأنهم لا يحبون بعد هذا، كما حكا الله من قول موسى عليه السلام (زيّناً
إلكم آنية فرعو نموًا، وملأكم، زينة وأمولاً في الحياة الدنيا زيبًا ليضروا
عن سبيلك زينًا أطميس على أموالكم، وأشتد على قلوبهم فلا يؤمنوا
حتى يروا العذاب الآخرليًة .. يونس/٨٨).

وفي هذا الردع إذائ بأن كفر النبي، سبب لقطعها كما قال تعالى: (لًإن
سحَّرُوا أمراً لزيّناً، ولًإين حكَّرُوا إنا عذاب لشديد .. إبراهيم/٧)،
وجاء قوله بعد (إنه: كأنِّي تبيناً عبيدة) كتعمل لما قبله فكأوه: لم جر
عن طلب الزيادة وما معه عدم لياقته؟ قيل: لأنه كان معاناً لأيات المعن التي
هي دلائل توجيهها أو آيات كتابه إذ قال فيها ما قال، والمعانى تناسب الإزالة
وتمشى من الزيادة وهو ما حدث بالفعل، قال مقاتل: ما زال الوليد، بعد نزول
هذه الآية في نقص من ماله وولده حتى هلك.

(١) روح المعايـ ٢٠٠٩/٢ ٢٠٠٩: ١١٨، والتحرير والتنوير للضاهر بن عاشور ١٩/١٩/٢٠٣ - ٢٠٥
ثانيها: الانتفاء لما زعمه وزعومه فقد ذكر القرطبي أن (كلاً) جاءت بعد قوله تعالى (ثم يطيعُ أن أزيد) ردًا على الوليد وتكبّرًا له فهي في معنى: لست أزيد، وليس يكون ذلك مع كفره بالنعمية، والعجب أنّه - على كفره - كان يطيع فيها يطيع أن يدخل الجنة.. وهو ما فسر به مjahid (ثم يطيعُ أن أزيد) فيكون حاله بهذا أنه بحال أولئك الذين جاء الحديث عنهم في قوله تعالى: (أطيعُ سكّل أمري ومثّلم أن يدخل جهينة تغيير) المأمون /38/، وقوله في نهاية السورة: (بل يزيد كُل أمري ومثّلم أن يؤول صاحبًا مُنشّرة) كلاً بِل لَّا حَفَافُون أَخْرَةً.. المُنذر /52، 53/، فقد ورد عن ابن عباس أنهم كانوا يقولون: إن كان محمد صادقًا فليصبح عند كل رجل منا صاحبًا فيها براءته وأمنه من النار، فكان النفي والرد عليه بـ (كلاً).
ووجه الانتفاء أنهم أرادوا أن يعطوا مع عظيم ما اقتربوه وأن يذكروا بالجمل من غير عمل، فالوقف على (كلاً) في الموضع كان، أما الموضع الأول فكان جملة: (إنّه، كان لا يَبِينَنا غَنِيبًا)، لا موضوع له من الإعراب وهي استثنائية سيقت كالتعليل للردّ في الوجه الأول، واللفظ في الوجه الثاني، أما الموضوع الثاني فلا يبينها وبين ما قبلها من تعليق معنوي، وما قبل من ابتداء بها في الموضوعين فسّرته في كل من الموضوعينصحة الوقوف على ما قبلها وتحقيق الربط المعنوي بينهما وبين ما بعدها، والقول بأن كلا فيها معنى حقًا - على ما ذكره القرطبي - يرد السياق كما يردت جمعه المضموم في الموضع الأول منها مفسورة، وأساغ أبو حاتم - فيها جاء في المكتفي لأبي عمرو الدآئي - الابتداء بها في حق الوليد على معنى ألاً.

(1) بنظر ماعمال الاهتناء ص 161، 158 وبجلالين بحاشية الجمل /4/ 491، ودراسات قرآنية لعضوية القسم الأول /39، 491/ 392، 393.
(2) بنظر المكتفي لأبي عمرو الدآئي ص 594.

93
وكلاً (لا) في قوله سبحانه: (وَمَا يَكُونُ يَكُونُ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدِيٍّ أَيْمَهُ إِذَا تَنَّٰلُ عَلَيْهِهِمَا قَالُوا أَسْتَطِيرُ أَوْلِيَّٰوُنَّ أَوْلِيَّٰوُنَّ كَلِّ ذَٰلِكُمْ قَالُوا مَا كَانُوا يَكُبِّسُونَ)

يَكُبِّسُونَ.. المطففين/ 12- 14)، يترجم فيها أربعة أوجه:

الأول منها: أن تكون للرد والزجر أي رد وجزر المعتدين الألمين عن قولهم الباطل في القرآن ورميهم آيات الله البينات بأنها أساطير الأولين.

والثاني: أن تكون بمعنى لا النافذة فيكون المعنى ليست أيابتنا بالأساطير بل هي الحق والصدق الذي لا يوقئ فيه الشكل ولا ينزل بساحته الرب والكلب، فهي على حد قول ابن فارس: "رد، أي أنها ليست أساطير الأولين"، والواقع على هذين الوجهين كافٍ، لأن قوله تعالى: (بَلَّ زَانُّ عَلَى قَلْوِهِمْ مَا كَانُوا يَكُبِّسُونَ) بيان لما أدى إليه التغفو بهذه الجريمة النكراء التي لا ترتكز على شبهة فضلاً عن أن تقسوهم على حجة أو دليل، والمعنى: ليس أيابتنا ما يصح أن يقال في شأنه مثلك المقالة المستارة.. وما حدث، أنه علقت عليهم ما استمروا على اكتسابه من الكفر والطغيان حتى صار كالصدا في المرآة.. فحال ذلك بينهم وبين معرفة الحق فلذلك قالوا ما قالوا، وفي سبيل ما ذكر يقول مكي: "الوقف على (كلان) حسن بالغ بجعلها ردًا لقول الكافرين في القرآن بأنه أساطير الأولين، فيمعنى ليس الأمر كا قالوا".

ففي (كلان) أيما ما كان معناها إبطال لقولهم، وقد تلا ذلك الحرف (بل) الذي دل هو الآخر على الإبطال، تأكيداً لمضمون (كلان) وكشفنا عنا حلهم على أن يقولوا في القرآن ما قالوا، وبينانا لما أعنى بصائرهم من الرنين".. ثم أعقب

(1) مقالة كلا ص 14.

(2) ينظر شرح كلا مكي بين أي طالب الفيسي ص 54 بتصرف والكتفي لأي ع'#ر الدDani

(3) ص 113.

(4) الرنين والزجر: الغشوة على القلب كالصدأ على شرّ المصن وأسباد ووكرة ورحفها.. وأصل الرنين: الغثة ومنه رائت الحمر على عقل شاربه وران الغثة على عقل المربي.. كما في الدادر المصنون 10/ 722.
كل هذا - إمكاني في تقرير ذلك وتثبيته - بقوله: (إِيَّاهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ بَوْمَايْنُوْا مَنْ تَجْعَلُونَ فِي (كلًا) التالية - على حد ما ذكر ابن عاشور - تأكيد لـ (كلًا) الأولي)، وقد جيء بها "زيادة في الردع ليصير توبيخًا".

وفي إطار التأكيد على ما سبق إشتمل هذا القول الحكيم وما عطف عليه,

على أنواع ثلاثة من الويل هي: الإهانة والعذاب والتقريع مع التثبيت من الخلاص من العذاب، أما الإهانة فحجبه من رحمة، وأما العذاب فهو ما في قوله: (ثَمَّ إِيَّاهُمْ لْأَصْلَأنَّا أَجْحِيمًا) .. وقد عطفت جملته بـ (ثم) الدالة على عطفها الجمل على التراخي الرئيسي وهو ارتقاء في الوعيد لأنه وعده بأنهم من أهل النار وذلك أشد من حزى الإهانة .. وأما التقريع مع التثبيت فهو مضمون جملة (ثَمَّ يُقَالُ هَذَا الْيَوْمُ یَكُونُ يَنْتِهِ أَجْحِيمًا)، كما دل عطف جملته بـ (ثم) على ما دلت عليه سابقتها، وأفاد اسم الإشارة أنهم صاروا إلى العذاب، ودل الإخبار عن العذاب بأنه الذي كانوا به يكدبون، على أنه العذاب الذي يكرر وعدهم به وحدهم إياه وهو ما يستلزم خلوهم فيه، وذلك أشد من الوعيد، ويدل ذلك كان مضمون هذه الجملة أرقى رتبة في الغرض من مضمون الجملة المعطوفة هي عليها.. والذكرية في التعبير بالاسم الموصول التقريع يكتذبهم به في الدنيا تنديمًا لهم وتحريزًا، وفي تقديم شبه الجملة (بي) على (تكذيبون) اهتمام بمعاد الضمير مع الرعاية على الفاصلة.

ويجوز عند أي حاتم ومن لف لف وجهان آخران، أوها: الابتداء بـ (كلًا) على معنى (ألا بل ران)، فهي عنده تذبيه وابتداء كلام، ثانياً: جملها - على ما ذكره الحسن ونقله عنه القرطبي - على معنى (حقاً بل ران)، ولا يخلو جملها بمعنى (حقاً) من حسن يقول مكي في توجيهه: "وكونها بمعنى حقاً.

__________________________
(1) التحرير 3/200 مجلد 15.
(2) نظر التحرير 3/2002 مجلد 15.
(3) نظر شرح مكي ص 54.
(4) نظر تفسير القرطبي 10/7295.
أحسن ليؤكد كون غلبة الذنوب والمعاصي على قلوبهم، وليس في هذا الوجه ما زعمه في معالم الاهتداء من عدم صحة جعلها بمعنى حقا، ولا بما ذكره من أن العلة في عدم صحته ركعة التركيب وضعف الأسلوب، وأيا ما كان فالوجهان الأولان أوفي بالغرض وأوفق بمعاني الآيات وأنسب لسباقاتها.

ومن المواطن التي يجوز الوقوف فيها على كلا والابتداء بها، بها يحققه ذلك من ثراء في المعنى، ما جاء في قوله سبحانه: (وَأَمَّا إِذَا مَا أَيْتَلَى فَقَدْ رَقَّحَ عَلَيْهِ رَقَّهُ، فَقَدْ رَقَّحَ رَبُّهُ رَبَّنَاهُ أَهْمَنَّ). 16/17، فمن ارتؤى الوقوف على (ركاه) راعي فيها جانب الردع أو الرد، فيكون على الأول وهو ما قال به جل أهل التأويل - رد给宝宝 للإنسان عن قوله المكيين: (ركاه) راعي فيها وتبيه عن خطته فيها، يعده من أن تقياس الإكرام والإهانة هو كثرة المال أو قلته، هو على الثاني رد عليه وتبيه منفاة النفي، أي ليس الإكرام بكثره المال ولا الإهانة بقلته، وإنها الإكرام في التوفيق لطاعة الله تعالى وما يقرب من رضاه والإهانة في الحذلابن وما يقرب من عذابه، قال الإمام القرطبي: "كله) رد، أي ليس الأمر كما يظن، فليس النفي لفضله ولا الفقر لهؤلاء، وإنها الفقر والغنى من تقديري وقاضي "، فقد يوسع الله جل حكمته، في الدنيا على من لا يكرمه من الكفار لاستدراجهم والإملاه لهم، وقد يضيق على الأثنايين والساحرين لإصلاح أمرهم ورفع درجاتهم، وذلك حقيقة لا يعلم الحكمة من ورائها على وجه الدقة والتفصيل سوى علم الغيوب سبحانه، وإن ذكر فيما أعقب ذلك من آيات بعض الأسباب الظاهرة التي بها تنهي النفس البشرية لتقبله.

(1) شرح كلا لمكي ص 54.
(2) معالم الوقف والابتداء للشيخ خليل الحكيم ج 169 والبحر 8/440، دراسات عميقة القسم الأول 2/395.
(3) القرطبي 10/7389، ونظر مقالة كلا ص 16.
وقال الفراء: كلا في هذا الموضوع بمعنى لم يكن ينبغي للعبد أن يكون هكذا، ولكن يُحَمِّد الله عز وجل على الغنى والفقر، وفي الحديث يقول الله عز وجل: (إِنِّي لَا أُهْرِم مِّن أَكْرِمَت بِكُثْرَةِ الدُّنْيَا وَلَا أُهْرِم مِّن أَهْبَت بِبَعْضِيّتي)." وهو في معنى ما ذكره القرطي أولاً ورجحه ابن فارس، وعليه وعلى القول بأن مفاد كلا الردغ والزجر، يوقف عليها وفقاً كافياً لما سيقت غير مسأة من تعلق معنوي بها.

ذلك أن المتآمل في سياق الآية يبصر أن مناطر الردع الحاصل من التعبير بـ (كَلَا) والمتوجب التنبه فيه على الخطا هو قول الإنسان: (رَبِّ أَكْرِمْ). عقب إكرام الله له وإعانه عليه، وقوله: (رَبِّ أَهْبَتْني) بعد ابتعاثه بقلة الرزق أو بشفط العيش فهو إذا فضّل عليه بالخير وأكرمه به اعترف بفضيل الله تعالى وإكرامه، وإذا لم يفضل عليه سمي ترك الفضيل هوانًا وليس به، وما ذلك منه إلا تأول بطل إلّيس حالة الإنسان في الدنيا دليلًا على منزلته عند الله، وإذا يعرف ذلك بالطرق التي أرشد سبحانه إليها من نحو قوله تعالى: (قُلِّهُنَّ يَتَبَيَّنُوا بِأَشْهَرٍ أَعْمَلَتِ الْأَنْجَهُ لَهُمْ وَهُمْ خَصُّوُّونَ أَنْثَى مُحْسِنَةَ صَنَعَهَا أَوْ لَتَيِّنُتْ لَهُمْ كَفْرُوا بِيَدَائِرِ رَبِّهِمْ وَلَقَآئِهِ فَخُطِّتَ أَعْمَلَتِهِمْ فَلَا تَقْمِيمٌ لَّهُمْ يَوْمَ الْقِيَّمَةِ وَزَنَا ـ الكهف/ 103ـ 105)، فرب رجدل في نعمة في الدنيا هو مسخوتو عليه، ورب أشيع وأبهر مطرود بالألواب لو أقسم على الله لأبره، وبدأ يظهر أن مناطر الردع المدلول عليه بـ (كَلَا) والمراد له التصوب والتنيه هو جعل الإنعام علاممة على إرادة الله إكرام المعنِم عليه وجعل التغيير علاممة على إرادة الإهانة وإلا لو شاء إهانة الكافر في الدنيا لأجل الكفر، لأهان جمع الكفرة بتقييد الرذق عليهم.

1) ينظر المصدر السابقان، ويُنَظَّر الحديث في تفسيري الطبري 182 / والقرطي 20/52.
ويفاد من ذلك أن لا تنافي بين إثبات إكرام الله الإنسان يقوله (فَأَكِرُوهُ).

وبين إبطال ذلك يقوله: (كَالَّذِينَ), لأن الإبطال وارد على ما قصدت الإنسان بقوله (رَبِّ أَكِرُوهُ). والوجه في عدم تعرض القرآن للنبيين ذلك وفي جمهوره هكذا على نحو مجمل, الاكتفاء بذيل أحوال الأمم الثلاثة عاد وتبود وفرعون في نعمتهم يقوله: (فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبِّكَ سُوَّطَ عَدَابَ).

ومذهب الأخفش وأحمد بن موسى أنه ينتدبه (كِلَا) على معنى حقاً أو على معنى (أَلاَ), والختيار لدى أهل التفسير هو الوقوف عليها, لكونها في رد ما قبلها أبلغ وأولى في حال المعنى وله قال الحسن وفهاد، وعلى قولهما وقولها فقد صدر قوله بعد (بَلْ لَا تُكْرُمُونَ آلِيَتَيْمَ. * وَلَا تَحْصُوْرُونَ عَلَى طَعَامٍ آلِمَيْسِكِينَ. * وَتَحْصُوْرُ أَلْتَرَاتٍ أَصِيَٰلَةَ لَمْ أَنَا * وَحَضِرُواْ أَلْمَالَ حُجُّةً جَمِّهَا. الفُلُوْرَ / 17-20) بحرف (بَلْ) للإضراب الإلتفائي والترقي من ذم الإنسان بالقبض من القول إلى الأفجح من الفعل, ولتنبيه على ظهم بأنهم وإن أكرهم الله فإنهم لم يكرموا عليه شحاً بالعمة, إذ يجرمون أهل الحاجة من فضول أمورهم وينبئون من المال ما لا يحتاجون, وجاء ذلك في صورة ما يعرف بلغة بالاحتكاك, لأنه لما نفى إكرامهم البيني وقال به حضه ا 협 طعام المسكن المستلزم لنفی إطعامهم, علم أنهم لا يحضون أولى الأيتام على إكرام أبنائهم.

والتكلفة في مجيء الاثنينات إلى الخطاب بعد الغيبة, تشديد التعريج وتاكد التشريع والقصص إلى مواجحهم بشرحهم على المال فضحاً لدخاليهم على نحو ما جاء في قوله تعالى: (يَقُولُ أَهْلُكَ مَا لَيْدُكَ أَنْ أَخْسِفَ أَنْ لَمْ يَرَى أَحَدٌ. أَلا تَجِدُونَ الْبَلَدَ / 7-8), ولا يخفى ما أفضله استعارة أكل التراث للاندفاع للشيء اندفاعاً لا يبقى منه شيئاً, وكذا استعارة الجمّ الموصوب به حب المال، والمعروف في لغة

(1) شرح كلا ص 48 والمعلماص 171 ودراسات عضيمة الفضل الأول 29. / 69.
(2) وهو حرف يتم في الجملة الأولى لما تبث مقابلة في الجملة الثانية وفي الثانية لما يبث مقابلة في الأولى.

98
العرب بالكثرة، لمعنى القوى الشديد.. على هذه المعاني التي أفادها الالتفات، وما أحدثه من أثر بالغ حتى يرجعي عن الوقوف فيها يشبه معاناة قضاء الله وقدره من كان له قلب، ويتنهي خطورة ذلك ويصحح من سلوكه فيرضى - من ثم- بأن يرضى ربه.

ومن المواضع التي يسوغ الوقوف فيها على (كلا) كما يسوغ البدء بها لجواز حمل المعنى على أكثر من وجه، ما جاء في قوله جل وعلا: (فَحَسِبَ أَنَّ مَالِهِ أَحْيَادًا: # كَلا لُبُدْنَ في أَخْطَأَتِهِ اِلَى الْهَمْزَة/ اهْمَةَةَ 3، 4)، فهي على الوقف عليها لردع الإنسان ورجوع من ذلك الحسبان الباطل، وأضاف الالتفات: "أو عنه وعن جمع المال وجه المرتب على ما قبل، واستظهر أنه ردع عن الهمز واللمز وتجنب بأنه بعيد لنظا ومعني"، وعقب هذا يقول: "وأنا لا أرى بأساً في كون ذلك ردعًا له عن كل ما تضمنه الجمل السابقة من الصفات القبيحة، وقوله تعالى: (لُبُدْنَ) جواب قسم مقدر الجواب استتناف مبين لعلة الردع، والمعنى على ذلك والتقدير: والله ليطرحون بسبب أفعاله المذكورة في الخطة أي في النار التي من شأنها أن تخطم كل من يلقي فيها".

وهو صريح في توجيه البدء بجملة القسم وجعلها مستأنفًا ومبينًا لعَلَّة الرَّجَع عند من ارتأى الوقوف على أداة الردع، ويسوء الوقوف على (كلا) مع هذا بحمل معناها على النفي وجعلها بمعنى (لا) أي ليس الأمر كما يظنها الكافر من أن المال يخلدة أو يقيه حيًا، وهو قول نافع وأبي حاتم ونصر وغيرهم، وارتبط (كلا) بما قبلها وتعلقها به في المعنى، هو من الوضوح بمكان، لذا كان الوقوف عليها من قبيل الوقوف الكافي.

(1) الآلويسي 3/1016 مجدل 16 وينظر الكشف للزغشري 4/2 و aluno المحيط لأبي حيان 14/130/8 ويرجى مقالة كلاص 752/8.

(2) بنظر القرشلي 10 وتتبع مقالة كلاص 4/132.

99
ويبرز على جعلها بمعنى حقًا أو يحملها على معنى: (ألا ليبذن في الخطة) أن يتبدى بها وهو اختيار أبي حاتم، وإن كان ذلك ليس بانع أن يكون المقام فيها مقام إقسام أو جعلها صلة بينهما كما سبق بيان ذلك، وقد ذكر الرضي في شرحه على القافية، أن (كلًا) تقوم مقام القسم إذا لم يكن رديعاً واستدل على ذلك بالآية الكريمة.

والصداق من ذلك إبطال أن يكون المال خالداً لذاك الذي صار الهمز واللمز ملكة فيه، وإنما استنكه ذلك من الصيغة التي ورد بها (همزة لمزة)، فها - كأ هو بين - وصفان لمحدود تدقيره ومعانة: (وبل لكل شخص همزة لمزة)، فمن حذف موضعه يعلم أن الوصف قائم مقامه ومن ثم أضيف إليه (كل)، وهذا الوصفان هما من أقوم صفات أهل الشرك، واتبعاً بإ (الذي جمع مالاً وعددته) لزيادة تشبيع صفتهين الدميمتين بصفة الخرص على المال، وهذا إليها ينشأ عن بخل النفس والخوف من الفقر..والوجه فيه إدخال أولئك الذين عرفوا بهذه الصفة كما عرفوا بهم المسلمين ولمهم لتعيينهم في هذا الوعيد.

والسر في عدم العطف بالواو في قوله (الذي جمع مالاً.. الهمزة/1) ومريحه في صورة النعت، بيان أن ذكر الأوصاف المتعددة للموصوف الواحد يسمع أن يأتي بدون عطف كجا ففي قوله تعالى (ولأ تعلَّمُ كُلْ حَلَافٍ مَهِينٍ هَمَا مَشَاءٍ يَمِيزُهُ هَمْسَاتٌ للْحَيْثُ يَمِيزُ مَعْتَدٍ أَيْمٍ عَطْلُ بَعْدَ ذَكَرَ زِيْمٍ .. القلم/10-12) ففي الغلب بأن جملة (تحسب أن ماله: أجلته!): في موقع الحال يكون قد استعملت للتدمير على الموصوف بالهمز والخص، لأنه لا يوجد من يحسب أن ماله أخلده فيكون الكلام على سبيل التمثيل أو التشبيه البليغ الذي يشبه فيه حالهم بحال من يحسب أن المال يقيمهم الموت ويجعلهم خالدين.. وعلى القول باستنادهما يكون خيراً من وجه، لأنهم على تقدير همزة استفهام محذوفة بقصد التحريج أو التعجب.

1) ينظر شرح كلاص; 66 ومواد الامتداد ص 174.
2) ينظر شرح الرضي/419 ودراسات عضوية القسم الأول/398-399.
ومهنا يكن من أمر فمجر وتأكيد زيادة في التهكم به وتصويره في صورة الموقن بأن ماله سيخلده لا محالة حتى لكونه قد حصل له ذلك بالفعل وثبت، وهذا أقصى ما يتناول ذلك الغافل، لأنعدام إياه بحياة أخرى خالدة، ومن هنا يجيء القول الحكمي:

(كلًا ليُنْبِدَّنَّ في أُحُضَرَةً)، مُصدّراً بحرف الردع والتأكيد المتعدد كالصدمة له لإبطال ما حسبه ولزجره عن التلبس بالحالة الشنيعة التي جعلته في حال من يطمئن ويؤمن أن المال يخمد صاحبه، أو لإبطال حرصه في جمع المال جمعاً يمنع به حقوق الله فيه، وفي ذلك من الرعيد ما لا يخفى.

*******

(1) ينظر التحرير 30/537 وما بعدها عجلد 15.
المبحث الرابع

أثر البدء بـ (الكاف) الجارة مع مدخولها
والوقف عليها في إثراء المعنى واتساعه
أولاً: الوجوه الإعرابية للكاف المقتترنة باسم الإشارة البعيد
وأوجه دلالتها:

1- (كذلك) بين النحاة وأهل البيان:
في تناولها لما جاء في (كذلك) ولما توافق معها في المعنى والإعراب وجاء على شاكلتها، يقول ابن هشام: "تَّقَع (كِاتِبًا) بعد الجمل كثيرًا، صفة في المعنى فتكون نعتًا ل مصدر أو حال، ويجملها قوله تعالى: (كَمَا بَدَأْتُ أُولُو خَلْقٍ نُّعِيدُهُ) (الأنبياء/ 104) .. فإن قدرته نعتًا ل مصدر فهو إما معمول لـ (نُعِيدُهُ) أو (نعيده) أي (نعيده أول خلق إعادة مثل ما بدأته)، أو لـ (نُعِيدُهُ) أو (نعيده) يفعل هذا الفعل العظيم كفعلنا هذا الفعل .. وإن قدرته حاله فذو الحال مفعول (نُعِيدُهُ) أي (نعيده مماثلاً للذي بدأتنا) .. وتقع كلمة (كَدَّّلَكَ) أيضاً كذلك.

فإن قلت: فكيف اجتمعت مع (مثَّل) في قول الله تعالى: (وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يَكْلِمُنَا اللَّهُ أوْ نَتَّبِعْنَا إِبَابَةً كَذَّبَ لِلْكَتَابَ قَالَ اللَّهُ الَّذِي بِكَ لَمْ تَكُونَ من قَبْلِهِم مَثَّلُ قَوْلِهِمْ) .. البقرة/ 118)، و(مثَّل) في المعنى نعت لمصدر (قال) المحرز، أي كن كذا (كَدَّّلَكَ) نعت له، ولا يتعدي عامل واحد لمتعلقين بمعنى واحد، لا تقول: (ضربت زيداً عمراً، ولا يكون (مثَّل) تأكيداً لـ (كَدَّّلَكَ) لأنه أبين منه، كن لا يكون (زيادة) من قوله: (هذا زيد يفعل كذا) توكيداً لـ (هذا) لذلـك، ولا خبراً لمحدود بتقدير: (الأمر كذا)، مما يؤدي إليه من عدم ارتباط ما بعده بما قبله.

قلت: (مثَّل) بدل من (كَدَّّلَكَ) أو بية، أو نصب بـ (يَعْلَمُونَ)، أي (لا يعلمون اعتقاد اليهود والنصارى)، فـ (مثَّل) بمتلها في (مثَّل) لا يفعل كذا) أو نصب بـ (قالَ)، أو الكاف مبتدأ والعائدة محدود، أي قاله .. ورد ابن الشجيري ذلك على مكي بأن قال: قد استوفى معموله وهو (مثَّل)، وليس
شيء لأن {مثلاً} حينئذ مفعول مطلق أو مفعول به لـ {يعلمنون}، والضمير المقر مفعول به لـ {قال} آ. هـ.

وآية البقرة التي استشهد بها ابن هشام هنا على أوجه الأعراب في (كُذَّبْتَ) معطوفة على قوله: {وَقَالُوا أَخْرَىٰ اللَّهُ وَلَدَهُ سُبْحَانَهُ} البقرة/116، المعروف على قوله: {وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَ الْمُنَصِّرُ عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ الْمُنَصِّرُ لَيْسَ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتَّلُونُ الْكِتَابُ كَذَٰلِكَ قَالُوا أَلَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قُوْلِهِمُ.} البقرة/113، ووجه الارتباط أن الأول كان قدحاً منهم في التوحيد وهذا قدم في النبوة، والمواد من الوصول - على ما نقل عن قنادة والسيدي والحسن وجماعة وعليه أكثر المفسرين - جهالة المشركون ويدل عليه قوله تعالى على لسانهم: {لَا تَوْمِيْنَ كَلَّا حَتَّى تعْفِرَ لَنَا مِنَ الأَرْضِ بِتَوْبَةٍ} البقرة/90، وقولهم: {فَلَا يَتَّبَعُنَا يَقِيمِيْنَ} صلى الله عليه وسلم. 

الأولون.. الأنباء/7، وقولهم: {أَلْوَاءَ أَنْزلَ عَلَيْنَا الْمُلْكَيْنَ أَوْ تَرَى رَبَنَا.} الفرقان/21، وقيل غير ذلك.

وبقديري أن ما ذكرناه هو الأرجح لكون المشبه بهم الوارد ذكرهم في الآيات السابقة على هذه الآية هي أهل الكتاب الذين {قالوا أَخْرَىٰ اللَّهُ وَلَدَهُ}، والذين قالوا متهمين بعضهم البعض: إنه ليسوا على شيء، وقد قدم أهل الكتاب في قوله تبارك اسمه: {وَقَالَتِ الْيَهُودُ} الآية لأنهم الذين ابتدوا بذلك أيام مجدلهم في تفاضل أديانهم، ويومناً لم يكن للمشركون ما يوجب الاستغلال بذلك إلى أن جاء الإسلام فقالوا مثل قول أهل الكتاب، إلا أنه لم يكن فريق من الثلاثة فهنا مقتبسًا من الآخر بل جميع ناشئ من الغفل في تقدير الموجودات الفاضلة، ومنشأه سوء الفهم في العقلية سواء كانت مأخوذة من كتاب توهيم وضعه التشبيهات والمجازات حقائق، كما ورد وصف الصحابين بأهم أبناء الله ووصف الله بأنه أبو عيسى وأبو الأمة على طريقه التشبيه، أم

---

(1) مغني اللبيب/1/178.179.
(2) على نحو ما جاء من ذلك في سفر التثنية الإصحاح 14، وإنجيل متي الإصحاح 5.6. إلخ.
لا يوجد نص يمكن قراءته بشكل طبيعي من الصورة المقدمة.
المفردة على اعتبار التذكير به ولغت الذهن إليه فصار حالاً له، والتعريف في (الكتب) جعله صاحب الكشف تعريفاً للجنس وهو يرمي بذلك إلى أن المقصود أنهم - دون جملة مشركي العرب - أهل علم، كما أنهم أيضاً - دون الأميين - أهل كتاب.

ويدعونا ذكر ملابسة ما استشهد به وله صاحب المغني، لأن أنهو إلى أن مفاد ما ذكره ابن هشام في نص عبارته التي سبق أن ذكرها له، أن الكاف في (كدللك) بمعنى (مثل) وأنها تأتي على عدة أوجه إعرابية كما هو الحال في آية البقرة السالفة الذكر، فقد صح جعلها نعتاً لصدق مخزوف منصوب بـ (قال).

مقدم عليه، والمعنى: قولًا مثل قول اليهود والنصاري (قال: أن الذين لا يعلمون) وتشكل (مثل) في قوله: (قال: الذين من قبليهم مثل قولهم) بدلاً من فعل الكاف في (كدللك) أو عطف بيان، وعلى أي من تلك الأحوال فجملة (كدللك قال الذين من قبليهم مثل قولهم) تأكيده وتقرير للجملة قبلها، ويكون الوقوف على (تأتيتبا) حسن بالغ لتعلمهما بها بعدها تعلقاً لفظياً، وإلى ذلك جاءت الإشارة بقول الآشموني: "تأتيتبا ًءاية″ حسن.

ولبعضهم هنا احتفال تعلق (كدللك) بـ (تأتيتبا)، وحينئذ يكون الوقف على (كدللك) لا على آية، و(مثل) على هذا الوجه يقول القول لـ (قال)

الثانية.

ويصح في (مثل) على وجه ثالث أن تكون منصوبة بـ (يعلمون) المفية سواء على فعل القول على معنى الاعتقاد أم بحمله على حقيقته، فتكون بميزانتها في نحو قولنا: (مثلك لا يخيل ومثلك لا يصدق عنه هذا القول) والتقدير: وقال الذين لا يعلمون مثل اعتقاد اليهود والنصاري ولا مثل قولهم

(1) ينظر التحرير والتنوير 1/76 مجلد 1 والكتشاف 1/305.
(2) أو منصوبة بـ (تعلمون) الثانية في قول الله تعالى: (كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم).
(3) المناصر: 47.
هذا - على الرغم من أهمية وضرورة معرفة بطلانه - قالوا قولاً كذلك الذين قالوا: (لولا يَكُلُّهم اللَّهُ أو تأتيهم عَدَايةٌ) والمعنى: ما كان ينبغي أن يغيب عنهم بطلان مثل هذا المعتقد الفاسد أو أن يقع منهم القول به بعد إقامة الحجة على عدم صحته من باب الأول، فضلًا عن أن يصدر عن كأن أولاهم من غيرهم بعد إقامة الحجة عليهم من قبل أبنائهم، والكاف على هذا الوجه كالأول هي نعت لصدر محدود لـ (قال) مقدم عليه ++ كـى يصح نصب (مثل) - (قال) الأول، ويكون (كذلـِك) على هذا الأخر معلوماً لـ (قال) الثانية فيها يشبه الجملة المترضة.

ولا يعد في وجه خامس أملغ إليه الإمام الألواحي جعل (كذلـِك) منصوبًا على المصدرية بـ (يُعَلَّمُونَ)، أي على تقدير (قال الذين لا يعلمون، مثل قول الذين من قبلهم)، والمقصود - على حد ما ذكر - تشبيه المصدر بالقول في المصدر والمحصول وتشبيه المصدر بالقول في الصدور عن مجرد.

السهمي وال🛁 وعاصبة.

غير أنه لا يوقف على (كذلـِك) ولا 때문이다 على هذا الوجه ولا على اللذين قبله مجد، لاتصال الكلام بعضه بعض.

وأيضاً استنكر ابن الشجري على مكي مما أشار إليه ابن هشام وعده في الآية الكريمة وجهاً سادساً في إعراب (كذلـِك) من إساغة جعل (كذلـِك) مرفع على الابتداء، هو في الحقيقة من الوجهة بمكان، فقد "جوزوا أن تكون الكاف في موضوع رفع بالابتداء والجملة بعده خبر عنه والعادل على المبتدأ محدود تقديره: قاله، (مثل) على هذا صفة مصدر محدود، والمعنى: مثل قول اليهود والنصاري قال الذين لا يعلمون اعتقاد اليهود والنصارية ولا يجوز أن يكون مفعول (قال) الثانية لأنه قد استوقف مفعوله وهو الضمير المحدود.

107

(1) أو مفعول (يعلمون) الثانية في قول الله تعالى: (كذلـِك) قال الذين لا يعلمون مثل قولهم.

(2) روح المعاني 568/58 يُصرف كـى ينظر فيه ص 582 وإملاء مـِــان بـ الــــــــــــ١ـ٨ ص 26.
وقوله (ِْلَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللهُ أو تَأْتِينَا ۡؤَايَةً) على هذا الوجه هو في موقع المعول مقول القول لـ (قَالَ) الأول، ولا يعد مع القول بارتباط هذه الجملة بعدها من ناحية المعنى أن يجعل الوقف عليها من قبلن الوقف الكافي، وإلى ذلك جاءت الإشارة بقول شيخ الإسلام أبو زكريا الأنصاري: "(تَأْتِينَا ۡؤَايَةً) كاف".

والحق أن التشبيه في (كَذَلِكْ) نهج فريد لم يعده في غير التشبيه القرآني، وذلك لأن الناظر في تشبيهات القرآن - يعني التي جاءت على هذا النمط - يرى أداة التشبيه تأتي عقب جمل من الكلام لما معنى قد أدته فتدخل أداة التشبيه على اسم إشارة مشاراً به إلى مجموع تلك الجمل باعتبار المعاني التي أدتها فيكون اسم الإشارة مشابهاً به ملموحاً فيه معاني تلك الجمل، ويأتي بعد ذلك المشبه مؤكراً اسمًا كان أو فعلاً، ومعهود أن المشبه رتبته التقديم على المشبه به وعلى الأداة، ومن ذلك قوله تعالى بعد ذكر أصحاب الجنة - وقد فصل القرآن الحديث فيها - : "كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَلَعْدَةٌ أَخْرَى أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يُعَمَّرُونَ .. القدر / 33، فالشبه (العذاب) - هو هنا - اسم، وقد أخر على المشبه به والأداة لفظاً، لأن رتبته التقديم، إذ هو مبتدأ والكاف وما دخلت عليه خبره والمعنى: (العذاب كذلك).

ولعل السر في التقديم هنا لأن المشبه به لم يستقل بالمعنى لكونه المشور به إلى معاني الجمل التي سبقته فقدم لتقدمهما، ومعنى آخر هو أن البدء بآداء التشبيه هنا وعلياً لها المشبه به مشير باتصال الكلام، أما لو بدأ بـ (العذاب) لنوه زوال ذلك الانتصال.

انتهى من كلام الدكتور المطعني، وأضاف إلى ما ذكره هنا، أن ما رمقه وأصره في هذا الضرب من التشبيه الذي تعود فيه الإشارة إلى التقديم بوصفه مشبهًا به - وإن اشتهر مجيئه على هذا النحو وعلى ما ذكر - إلا أن ذلك ليس

---

المصدر: (1) المقدمة للتفحص ما في المرشد ص 47.
(2) يعني بالعذاب بدلاً على التشبيه.
(3) خصائص التعبير القرآني ٢/٢٩٢٠،٢٩١/٢٩٢٠٧.

1٠٨
بالضرورة ولا بالأمر اللازم، إذ يمكن للإشارة باعتبارها مشابهة به أن تعود كذلك مع اتصال الكلام على ما تأخر.

ويعبر ذلك جلياً ويحذره مما لا يدخل معاً في وقوع المراقبة - أمثال قوله عز من قائل: (وكذَّبَ اللَّكِنَ ۖ إِنَّ هِيَ مَلَکُوتُ الْجَهَنُّ وَأَلْفَآئِرُ).

الأعمال (٧٥)، فقد أجّزى المبترين وأهل التأويل في (كذَّبَ اللَّكِنَ) النصب على إيضار (أريانا)، والمعنى: وكما رأى إبراهيم أبا وقومه من ضلال بين أريانا ما ارتقاء صواباً في ملكونينا بإطلاعنا إياه عليه، فيكون عود الإشارة إلى ما تأخر باعتباره مشابهاً، بماً كما أجازوا أن يكون منفصلاً بـ (ثَوْریَ) التي بعده على أنه صفه لمصدر محدود تقديره: نرب ملكوت السموات والأرض رؤية كرؤيته ضلال أبي وقومه، وللإشارة هذه المرأة إلى ما تقدم باعتباره مشابهاً، ويعبر ما يعد (كذَّبَ اللَّكِنَ) في الآية والذي كان مع الاحترال الأول مشابهاً ببصير مشابهأً.

ونظير ذلك في القرآن لا يحصى، وفيه وبه يصبح كدخيل كاف التشبيه وهو اسم الإشارة المشابه به عائدًا على ما تقدم تارة وعلى ما تأخر أخرى، وذلك ما نريد تحليله والحديث عنه في هذا البحث باعتبار أن ذلك من مظاهر الأنشاع في لغة القرآن، وأراهن أردده مع الظهير ما رصده في عود الإشارة إلى المتأخر عنها وعبر عنه بقوله: "وأحسب أنه من مبتكرات القرآن إذ لم أقف على مثله في كلام العرب قبل القرآن". وأن "ما ذكره الخناجي في سورة البقرة من تنظيره بقول زهير:

كذلك خيمهم ولكل قوم * إذا مستهم الضراء خييم لا يصح لأن بيت زهير مسبوق يا يصح أن يكون مشار إليه".

ولعله قد وضع الآن بالحجة والبرهان صحة ما ذهب إليه بعض من تناولوا مسألة عود اسم الإشارة المقرن بكاف التشبيه إلى ما تأخر عند حُجَّلها

(*) ينظر في ذلك إيلام ما من به الرحمن للعكيربي ص ٢٥٦٢،٣٥٥ وبالبضاوي مع حاشية الشهاب، والبيان عند الشهاب / قريد القلاووي ٤٠٠ وما بعده.
(†) التحرير ٢٥ / ٢٧ مجلد ١٢.

١٠٩
في موقع الخبر لم يعد، أو نعتاً لمصدر (قال) المحدود مقدم عليه ليكون المعنى والتقدير في آتي البقرة (118، 119): قولهَّ مثل قول شاركى العرب قال اليهود والنصارى، وصحة البدء من ثم بـ (كُذِّبَ اللَّهُ). كما وضع أيضاً بالحجابة والبرهان صحة ما ذهب إليه من تناولوا مسألة عودهما إلى ما تقدم في الآتيين باعتبار الإشارة مشابهاً به- وذلك إبان ذكرنا للاختلافات الواقعة في هذا الشأن- وصحة جعل (كُذِّبَ اللَّهُ) في موضع نصب نعتاً لمصدر (قال) مؤخر عنه، ليكون التقدير في الآتيين: (و قال الذين لا يعلمون قولهَّ مثل قول اليهود والنصارى)، أو جعل (كُذِّبَ اللَّهُ) في موضع الحال من فعل قول (قال)، ليكون المعنى والتقدير: (و قال الذين لا يعلمون قولهَّ مثل قول اليهود والنصارى)، وعلى كلا الوجهين فالنقطة على (كُذِّبَ اللَّهُ) هذا حسن بالغ لكون التعلق بها بعده - وهو جملة التأكيد (قال أَلْيَرْبَ اللَّهُ مِن قَبْلِهِمْ مَثْلَ قَوْلِهِمْ) - تعلقاً لفظياً، وليس أدل على ما ذكرناه هنا من اختلاف السياق ومن مجيء بلغة (كُذِّبَ اللَّهُ قال أَلْيَرْبَ اللَّهُ مِن قَبْلِهِمْ مَثْلَ قَوْلِهِمْ)، كذا بورود قول اليهود والنصارى عقب اسم الإشارة تارة، ومجيء بلغة (كُذِّبَ اللَّهُ قال أَلْيَرْبَ اللَّهُ من قَبْلِهِمْ مَثْلَ قَوْلِهِمْ) أعني بورود قول الذين لا يعلمون من مشركي العرب عقب اسم الإشارة تارة أخرى.

على أن الاحتالين الآخرين وما كان على شاكلة ذلك مما استعمل فيه الكاف اسمًا - وإن جوزة الأخفش - إلا أن جماعة خصوه بضرورة الشعر مع أنه قد يؤدّو ما ورد منه فيه.

ولا صحة - حيال ما ذكرنا - لادعو وقول بعض المحققين بأن في توجه الشيشيين الآخرين تكلف وخروج عن الظاهرة، إذ القول بحملها على معنى المئات المفيدة للشبيه لم يمنع جعل (مّثّل قَوْلِهِمْ) في أي من السياقات من أن يكون إعادة لقوله تعالى: (كُذِّبَ اللَّهُ).

كما لم يمنع أن يكون الغرض من تلك الإعادة التأكيد والتقرير، كما في قوله تعالى: (حَرَّمُونَهُ مِّنْ وَجْدٍ فِي رَحْلِهِ، قَذَّرُوهُ يَوْسُفًا 76 و ينفَقُ).
شأن التأكيد حتى مع القول باختلاف السياقين في التشبيه المفاد من (كذلك) والذي فطن إليه جل المسنين وذلك خلافاً لما أغلب فيه الطاهر بن عاشور حين جنح إلى أن التشبيه ليس في قول (لولا يكُّلمنا اللهُ أو تَأْتِينَا ءَايَتَهُ).

٢- كاف (كذلك) وما قد تفيده من المعاني الآخر من غير التشبيه:

وقد يقال إن (كذلك) يجعل الكاف فيها اسيا ليست للتشبيه بل لإفادته أن هذا الأمر عظيم مترّر، وقد نقل الوزير عاصم بن أوه ب في شرح قول زهير:

(كذلك كيهم و بكل قوم * إذا مستهم الضراء خيم)*

عن الإمام الجرجاني إن (كذلك) تأتي للنبيت إما خبر مقدم وإما خبر متأخر وهي نقليس (كل)، مثله قوله تعالى: (كذلك نستمل به في قلوب المجرمين الحجر/12)، وفي شرح المفتاح: "أنه ليس المصوص من التشبيهات هي المعاني الوضعية فقط، إذ تشبيهات البلغاً قلّة تخلو من مجازات وكتابات فقول: إننا أرأيناه يستعملون كذا وكذا للاستمرار أحياناً نحو (عدل زيد في قضية فلان كذا وهكذا) أي عدل مستمر، قال الحسائي:

(هكذا) يذهب الزمن و يفني اند* علم فيه و يدرّس الأثر

نص عليه التبريزي في شرح الحساسة وله شواهد كثيرة، وقال في شرح قول أبي تمام: (كذا فليجل الخطب ولبدع الأمر) إنه للتهويل والنتعظيم، وهو في صدر القصيدة لم يسبق ما يشبه به".

وقد نص في المعالم في غير هذا الموضع على أن "الكاف في (كذلك)" يعنى أن تكون في موضوع رفع على أنها خبر لمبتدأ محدث، والكاف بهذا

(١) بنظر روح المعاني /١٨٨ والمعالم ص ١٨٣.
(٢) المعالم للشيخ الخصري ص ١٨٣.

١١١
للتشبيه، وعلى حمل البعض المعنى في الآية الكريمة موضع الاستشهاد، فقد
حوز صاحب الكشف وحاجة أن لا يكون (مثّل قولهم)، أو قوله
(كَذَّلِكَ) تأكيداً للآخر وأن مرجع التشبيه إلى كيفية القول ومنهجه في
صدوره عن هوى، ومرجع المئات في الملفظ فيكون في كلامه تكرار في التشبيه
من جهتين للدلالة على قوة الشابه.
وإنّا جعل قول أولئك مشهداً به لأنه أقيح، إذ الباطل من العالم أقيم منه
من الجاهل، وبعضهم يجعل التشبيه على حد (إِنَّمَا الْبَيْعَ مَثْلُ أَلْرِبَوْاً ..
البقرة/275).
و فيه من المبالغة والتوجيه على التشبيه بالجاهل ما لا يخفى، وإنها وبخوا-
وقد صدقو إذ الذين بعد النسخ فيها نسخ في شريعة محمد ﷺ ليس بشيء-
لأنهم لم يقصدوا ذلك، وإنها قصد كل فريق إبطال دين الآخر من أصله
والكفر ببنية كتابه.

ثانياً: أثر البدء بالكاف المتكررة باسم الإشارة للبعيد،
والوقف عليها في إثراء المعنى واتساعه:

سبق أن ألمعت إلى أن مرجع التشبيه والمهائل في الآية الكريمة (كَذَّلِكَ)
قَالَ الَّذِي بَيْنَ مِنْ قَبْلِهِمْ مَثَلَ قُولِهِمْ .. البقرة/118، وارد على النحو
الذي ورد في سبقتها (و قَالَ الَّذِي بَيْنَ مِنْ قَبْلِهِمْ لَيْسَ لَهُمْ أَيْتَامُ الأَنْصَرِيَّ عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتْ
الْأَنْصَرِيَّ لَيْسَ لَهُمْ شَيْءٌ وُصَّدُّوْا عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتَّلَوْنَ الْكِتَابَ كَذَّلِكَ قَالَ الَّذِي
لَا يَعْمَلُونَ مِثَلَ قُولِهِمْ فَاللَّهُ عَلَيْهِمْ فَاللَّهُ يَفْتَحُ لَهُمْ الْقَبْضَةَ فِي مَا كَانَوا فِيهِ
تَخْتَلِفُونَ .. البقرة/113)، ومن ثم يكون القول في مرجع هذا التشبيه
كالقول في نظره.

(1) بنظر الكشاف 1/307، 305، 539.
(2) بنظر روح المعاني 569.

112
بيد أن الشبيه المستفاد من الكاف في (كذلَكْ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ) تشبيه في الادعاء على أنهم ليسوا على شيء، لأن دعوى الذين لا يعلمون – وهم أهل الشرك – لم قالوا (ما أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَنِي سَبْيَةٍ) الألمان/ (91) كانت في تكذيب اليهود والنصارى والمسلمين، بينا الشبيه المستفاد من الكاف في (كذلَكْ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يَكَلِّمُنَا اللَّهُ أو تَأْنِيَتْنَا ءَايَةً)، هو تشبيه في مقوله اليهود الفاحرة لموسى عليه السلام (آنَ نَؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَزِّرِي اللَّهَ جَهَرَةً) البقرة/ (55)، وفي سؤال النصارى الباعث على الشك لعيسى عليه السلام (هل يستطيع رَبُّكَ أن يُخَلَّلَ عَلَيْنَا مَا أَيَّدَهَ مِنَ السَّمَاءِ .. المائدة/ (112). وفي توجيه المعنى في النسقين الكريمين إبتلاء على وجه الإعراب سالفة الذكر يكون الوقف على (كذلَكْ) سائعاً عند جعل ما بعدها تقريراً أو تأكيداً لمضمون ما قبلها، وهو تأكيد يشير إلى أن المشابهة بين دعاوى هؤلاء وأولئك إنها مشابهة تامة بين قولهما، ويستوعب الدعاوى على الاستناد سواء على الإبتداء بها أو على جعلها الخبر لم تأخر عنها.

وللآشموني في شأن إساغة الوقف على قوله: (وَهُمُ يَتَّلِونَ الْكِتَابَ .. البقرة/ (13) والبدء من ذم الكاف المقررة باسم الإشارة البعيدة (كذلَكْ) وفي شأن الوقف أيضاً عليها، رأي وإن كان لا يختلف كثيراً عما تقرر إلا أن له الوجاهة ما له، لكونه يمثل إضافة جديدة في إثارة المعنى الذي يمكن حمل الآية عليه والاتساع في معناها، إذ يشير إلى أن الوقف على "يَتَّلِونَ الْكِتَابَ" حسن على أن الكاف في (كذلَكْ) متعلقة بقول أهل الكتاب، أي قال الذين لا يعلمون وهم مشترك العرب مثل قول اليهود والنصارى، فهم في الجهل سواء، ومن وقف على (كذلَكْ) ذهب إلى أن الكاف راجعة إلى تلاوة اليهود، وجعل (وَهُمُ يَتَّلِونَ الْكِتَابَ) راجعاً إلى النصارى، أي والنصارى يتناول الكتاب كتلاوة اليهود، وأن أحد الفريقين يتناول الكتاب كما يتناول الفريق الآخر، فكل الفريقين أهل كتاب وكل فريق أنكر ما عليه الآخر، وهم أنكراً
دين الإسلام إنا الإسلام النصرانية وإنكار النصارى اليهودية من غير برها ولا حجة، وسبيلهم سبيل من لا يعرف الكتاب من مشركي العرب، فكياً لا حجة لأهل الكتاب إنكارهم دين الإسلام، لا حجة لم ليس له كتاب وهم مشركو العرب فاستروا في الجهل.

وفرض علينا لفات الأشموني تلك الجديرة بالاعتبار لان نعول كثيراً-

في معرفة نكتة وسر البدء بـ (كذِّلِكَ للذِّكَرِ) والوقف عليها - على ما قاله وألفت له الانتهاء في كتابه القيم (منار الهدى)، ولاسيما مع ندرة ما قبل وقعة من تعرض لهذا الضرب من التشبيه.. وفي استقاصه لمواضع (كذِّلِكَ للذِّكَرِ) في القرآن الكريم التي بلغ عدد مرات ذكرها فيه ست وعشرين وفترة بين أن سبعة مواضع الموضع الذي ذكرته له، هي جملة ما أوضح فيها الأشموني وجه البدء بـ (كذِّلِكَ للذِّكَرِ) والوقف عليها، يضاف إليها أربعة مواضع عرض لها أبو البقاء العكبري في كتابه الإملاء، وثلاثة مواضع أخرى عرض لها الشيخ المصري في كتابه معالم الهدى.

ويظني أن في هذا القدر - ومنه بالطبع ما تكرر - ما يكفي للموقع وللنأكيد على مدى ما يضيفه الوقف على (كذِّلِكَ للذِّكَرِ) والبدء بها من ثراء في المعنى ومن اتساع في تعبد الوجهة التي يمكن أن تحمل معاني الآيات الكريمة عليها وتوديها في أقصر عبارة وأوجز بيان.

ففي حديث القرآن عن قصة زكرى عليه السلام وتحديداً في قول الله تعالى:

(قال زَبَبَ أَنِّي یَكُونُ لِهُ مَعْلُومٌ وَقَدْ بَلَغَهُ الْمُکَبَّرُ وَأَمْرَتِي عَافَرُ قَالَ كِذَّلِكَ اللَّهُ یَفْعَلُ مَا يَشَاءَ .. آل عمران / 140)، يقول رحمة الله: "(عافر) حسن، ووقف بعضهم على (كِذَّلِكَ اللَّهُ) على أن الإشارة بـ (كِذَّلِكَ اللَّهُ) إلى حال زكرى وحال امرأته، لأنه قال: رب على أي وجه يكون لنا غلام ونحن بحال كذا؟ فقال له: كما أنني يكون لنا غلام، والكلام تم في قوله: (كِذَّلِكَ اللَّهُ) وقاله:

( ) المنار ص 47.
(الله يفعل ما يشاء)، جملة سببية مقررة في النفس وقوع هذا الأمر المستغرب، وعلى هذا يكون (كذلِك) متعلقاً بمصدر، وإلاً (الله يفعل ما يشاء) جملة معقولة من بدأ وخير.. وليس بوقف إن جعلت الكاف في محل نصب حال من ضمير (ذلِك)، أي يفعله حال كونه مثل ذلك، أو جعلته في محل رفع خبر مقدم والجلالة مبدأ مؤخر "، أي هذا الشأن العجيب شأن الله تعالى .. أو كما قدر الزهخشي: على هذه الصفة، الله .. وقدر اِن عطية: كهذه القدرة المستغرقة، هي قدرة الله .. وقدر أبو حيان: صنع الله العجيب مثل هذا الصنع .. فتكون جملة: (يُفعلَ ما يشاء) شراً للإمام في اسم الإشارة، والكلام على هذا جملتان.

وقد حكم أبو البقاء بصحة أن تكون (كَذَلِكْ) في هذا النظم الكريم نتاً منصوبًا ل مصدر محدود من الفعل المذكور، والمعنى: "أي يفعل ما يشاء فعلاً كذلك "، والتقدير: يفعل الله ما يشاء من الأفعال العجيبة مثل ذلك الفعل وهو خلق الولد بين شيخ فان وعجوز عاقر .. وهذا الوجه مما يدعم القول بالوقوف على (عاقر) .. وجعل قوله: (كَذَلِكْ) أنَّ (الله يُفعلَ ما يشاء) مقرراً وقوع هذا الأمر المستغرب حسباً تقتضيه الحكمة الإلهية، وفي هذا المعنى وعلي هذا التقدير الذي يفيد وصل (كَذَلِكْ) بما بعداً يقول الألوسي: "قَالَ: لأي رب، واجملة استناف .. كَذَلِكْ لَدَيْنَا (الله يُفعلَ ما يشاء)، أي يفعل الله ما يشاء من الأفعال العجيبة الخارقة للعادة مثل ذلك الفعل العجيب وصنع البديع، الذي هو خلق الولد مع الحالة التي يستبعد معها الخلق بحسب العادة، فلاكِاف في محل نصب على أنها صنعة مصدر محدود، والإشارة لذلِك المصدر، وقدم الجار لإفاده الفكرة بالنسبة لما هو أدنى من المشار إليه، واعتبرت الكاف متحركة لتأكيد الفخامة المشهر بها اسم الإشارة "، وتقدير أن ذلك هو ما يرجحه السياق ويُبادر إلى الذهن، ولذلك كان عليه أكثر المربعين.

(1) الممارص77 ويبطرق المحرر الوجيز والدر المصون3/133.
(2) ينظر الكشاف /1438 والبحر المحيط /451 والدر المصون3/162.
(3) إملاء ما من به الرحمن ص140 ويبطرق الدر المصون3/162.

١١٥
لكن في إطلاع أخرى لما يتحمله الوقف على (عاقل)، والبدء من ثم بـ
(قالَ كَذَّبَ اللَّهُ)، والوقف أحياناً عليها - أعني من غير لفظ الجلالة الذي
يراقبها - أو عليها معاً أو عليها مع ما بعدها، يذكر صاحب روح المعاني
أوجهاً أخر، وهي وإن كانت في مجملها دون ما سبق في حكم المعنى، إلا أنها
تأتي في إطار الاتساع الذي يتحمله السياق وتتم عن الثراء الذي يكتنف هذا
النظام الكريم جرأة التعبير بـ (كذللك)، وأول هذه الاحتمالات التي ألمح
إليها:
"أن يكون الكاف في موضع الحال من ضمير المصدر المقدر معرفة، أي
يفعل الفعل كائناً مثل ذلك ..
الثالث: أن يكون (كذللك) في موضع الخبر لابتدأ مذود، أي الأمر
كذلك، وتكون جملة (اللهُ يَقْفِعُ مَا يَشَاءُ) بينانًا أيضًا، الرابع: أن يكون ذلك
إشارة إلى المذكور من حال زكريا عليه السلام أو حاله وحال أمراه، كأنه قال:
رب عن أي حال يكون لي أو لنا الغلام ونحن بحال كذاً؟ فقبل له: كأنت أو
كأ أنها يكون الغلام لكيا، وتكون الجملة - (اللهُ يَقْفِعُ مَا يَشَاءُ) - هي نبذ
تعليباً لما قبلها .. وعلى كل تقدير، التعبير بالاسم الجليل روماً
للتعظيم".
وقد مر بنا وفي سياق ذكرنا لما أورده صاحب النار وجه الوقف على
(كذللك)، وليس ثمة ما يدعو للإفاضة فيه ثانية.
وسواء كان الوقف على (كذللك) أو الوقف عليها مع لفظ الجلالة، فقد
عبر عن التكوين في جانب زكريا بالفعل (يَقْفِعُ) ولم يقل (يَقْفُ) كما هو في
جانب تكوين عبدي عليه السلام، لكون التكوين الذي كان يحق زكريا
تكوين قدره الله وأوجد أسبابه إذ لا يعد أن يكون هذا التكوين حصل بكون
زكريا كان قبل هرمه، ذا قوة زائدة لا تستقر بسببها النقطة في الرحم، فليا هرم

(1) وهو قريب مما سبق ذكره من جعله من ضمير (ذلك)، والقول بذلك هو صادق سببواه وينظر في
شأن الكتاب / 116.
(2) روح المعاني / 240 changer le sens du texte.
اعتدلت تلك القوة، أو كان ذلك من أحوال تغيرت في رحم امرأته واستقر أمرها فيها بعد.

وأما هو متضح في إسحاق الوقوف على (سُكَّدّ لَكَ) والبدء بها مع تحقيق ما ذكره، قول الله تعالى: (وَبَسِّلُوهُمْ عَنَّ الْقُرْآنِ الَّذِي سَخَّرَهُ حَاضِرًا لِلنَّاسِ) إلا أن تأتيهم حين تأتيهم آياتهم. (وَبِيَوْمِ لا يُشْتَرَّونَ) (لا تأتيهم سُكَّدّ لَكَ تَبْلُوُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسَقُونَ) الأعراف/33، فقد جاءت هذه الآية الكريمة في سياق الحديث عن قصة أصاب السبب وهم جماعة من بني إسرائيل كانوا يسكنون مدينة ساحلية تسمى (أيلة) المسيا الآن بـ (العقبة).

وكانوا قد طلبا أن يجعل لهم يوماً واحداً يتخذونه عيداً للعبادة ولا يشغلفون فيه بأمور الدنيا ولا يضنون المعاش فجعل لهم السبب، ثم كان الابتلاء ليزكيهم سحابة ويعملهم كيف تقوم إرادتهم على المغريات والأطماع وكيف يهضون بهم حين تفوتهم هذه المغريات والأطماع، وكان ذلك ضرورياً لبني إسرائيل الذين تخلخلت عقائدهم واطعمةهم بسبب العباد الذي جلبوا عليه والذين عاشوا فيه طولَاً حتى تعبت الصمود والثبات، فضلاً عن أنه ضرورى كذلك لكل من يحملون دعوة الله ويوهّلون لأمانة الخلافة في الأرض.

لكن فريقاً من بني إسرائيل لم يصم للابتداء الذي كتب الله عليهم بسبب ما تقرر قبل ذلك واعتادوا عليه من فسوق وانحراف. وقد جعلت الدنيا

(1) ينظر التحرير والتنوير 422/3 مجلد 3

(2) الحيّان: السمك، وقيل ما تعاوّن منه أبرز ما تستخدم العرب الحوت في معنى السمكة، كما نص عليه أهل التفسير وأهل اللغة، وقوله: (شعراء) جمع شعر من شعر على إما دناء وأشرف، وقيل حيّان شعر أي رافية رؤوسها كأنه جعل ذلك إظهاراً وتبنياً وقيل متابعة وقيل ظاهرة.

(3) وهي مدينة على ساحل البحر الأحمر قرب جزيرة سياني بين مدين الطور وهي مبدأ أرض الشام من جهة مصر، كانت من مملكة بني إسرائيل في زمان داو عليه السلام والتقول بذلك مروي عن ابن عباس عن ابن شهاب أن اسم القريّة طريقة وقيل مدين، وخلق أن الأحتفالي في معرفة اسمها- خاصة مع عدم وجود خبر عن رسول الله ﷺ يقطع العذر بأن ذلك كان في أيٍّ - لا يصل إلى علم ما قد كان.
التي نهاهم الله عن اصطيادها يوم السبت تراهيهم في ذات اليوم على الساحل قرية المأوى سهلة الصيد، تأتيهم بضاؤ سنة كأنما المخض تنتمح بتأفيتهم وآبنابههم تظهرها لبطونها، لا يرى الماء من كثيره فإنما السبب وجاهتهم أيام الفحل لم ينفدوا الحيتان قريبة ظاهرة كأنا نجدونا في اليوم الذي حرم الله عليهم فيها الصيد، كنت تنحلت منهم وتغوص بهم لا يقردون عليها، فتفتحون وتناسم من أهدهم فلا يطلقون إليها إلا بعد مشقة وتعب ولا يتحلون عليها إلا بعد عناية وكذ. 

فراح بعضهم يحتال ويقيم الخواجيز على الحيتان وينصب لها الشباك ويتخذ لأجلها الخياض ويسوقنها لكل ذلك يوم السبت فزعب فيها ولا يمكنها الخروج منها لقلة الماء ولوقوعها في تلك الشباك، فتأخذونها يوم الأحد. وراح فريق آخر يقدر - على إثر ما براء من الفريق العاصي - من مغبة احتيائه، ونكسر عليه ما يزاوله من مكرو ودهاء ومن التفاف حول أؤام الله تعلل. بيتا مفضي فريق ثالث يقول للأمرتين بتلبية أؤام الله الانتهاء عن مخالفة: ما فائدة ما تزالونه مع هؤلاء العصاة الذين لا فائدة تذكر من الكلام معهم لكونهم لا يرجعون عاهم سادرون فيه، فاستوجبا لأنفسهم بسبب عناهم ما يستحقونه مما كتبه سببانه عليهم من الهلاك والعذاب؟!

فكان أن أنجي سببان الذين ينهون عن السوء وأخذ الذين ظلموا بها كانوا يسفعون. وأما الفريق الثالث الذي لم يعص ولم يزد فقد اختلف في أمره فقيل: أهلبه الله مع الهالكين عقوله على ترك النهي، وقيل بل نجوا.

(1) يديل على هذا الأخير ما جاء عن ابن عباس - رضي الله عنهما - من قوله حين سول عن ذلك: ما أدرى ما فعل بهم، فحاووهم عكرمة، يقول: قلت لابن عباس إلا أن أرى أنهم تركوهما وما هو عليه، وخلقوه ما قالوا: (لن تعظون قوماً الله مهلكهم أو مهلكهم عذاباً شديداً) فلم أزل به حتى عرفته أنهم قد نجاوا فكسي حلة، وذهب إلى مثل ما ذكرنا للحسين وغيره، كنا يدل علينا تخصيص الدخول للأمة العادلة وذلك في قوله تعالى: (وأخذنا الذين ظلموا بعداء بسباً بها كانوا يسفعون) وقوله: (وقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت فذت فذت قوماً غ.questions marched) ويعتبر في شأن القصة ومصر أصلها تفصيلاً كشاف الزهري 1/3 و 1/2 والرازي 1/2 والفرعاني 1/3 و 1/2 و 1/2 رواج إلى نظماء على حاشية اليوم 1/2 والتحرير 1383/140.947 و 287 والظلزل 2/188 والظله 2/188 وما بعدها.
وهنا يجيء التذليل في عجز الآية باسم الإشارة المصاحب بكاف التشبيه
والصالح لأن يعود على الفعل المنفي السابق عليه والمائل في قوله: (لا
تأتيهم) ليصر المعنى في أحد احتكاره.
وفي سائر أيامهم لا تأتيهم الحيتان شارعة ظاهرة على الماء من كل طرق
وناحية على ما كانت تأتيهم يوم سيتهم ابتلاء وامتحانا.
فلجار المجمر في (سَكَدْكَ لَكَ) متعلق على هذا الوجه بالكلام السابق
عليه وهو الفعل الذي تعلق به الظروف، وتمام الكلام فيه: (وَيَوْمَ لَاتَسْبُعْرُونَ
لا تأتيهم سَكَدْكَ لَكَ) حذراً من صدهم لاعتبارها أحوالهم وأن ذلك كان
لمحض تقدير العزير العلمي، وعبارة السجاوندي "لا تأتيهم إتيانا كأتيها يوم
السبت".

وتعني عبارته أن الكاف في موضع نصب على أنه نعت ل مصدر الفعل
المحدوف قبله، أو في موضع نصب بالإتيان على الحال، و(ما) في قوله (بِمَا
كانوا) مصدرية أي بسبب فسقه، و(كَبُّوُهُم) مستأنف.
ويبدو على وجه ثان أن يكون تعلق شبهة الجملة بالكلام اللاحق
في قوله: (سَكَدْكَ لَكَ نَبْلُوْهُم) جملة مستنثنة استنثاناً بيانياً، ميظة اللثام
عن السؤال عن حكمة اختلاف حال الحيتان بالإتيان وفي وقت معيَّن
تارة وعده بِه في غيره أخرى، فكان الجواب: (سَكَدْكَ لَكَ نَبْلُوْهُم يَمَّا
كانوا يَفْسَقُونَ)، والتقدير على حد ما ذكر الزجاج: مثل هذا الاختبار
الشدد نختبرهم، أو على حد ما ذكر ابن الأثيبار: نبلىهم بما كانوا يفسقون
كذلك البلاد الذي وقع بهم في أمر الحيتان. والمعلَن: كما وصفنا لكم من
الاختبار والابلاء الذي ذكرنا بإظهار الحيتان لهم على ظهر الماء في اليوم المحرم
عليهم صيده وإخناهها عنه في الأيام المحملة لم فيها صيدهم، كذلك
نمشد عليهم في العبادة ونختبرهم بسبب فسقهم المستمر في كل ما يأتون
ويذرون.

(1) علِل الوقف 2/ 020.
الأمر الذي يعني أن الإشارة في الآية الكريمة، متجهة إما إلى الانتهاك السابق وإما إلى الانتهاك المذكور بعد.. وفي عود الإشارة إلى المقدم عليها في الآية أو المؤخر بالاعتبار اللذين سببناهما، أو بعبارة أخرى في تمام الوقف عليها أو البدء بها، وفي مجمل ما قيل في توجيه وبيان المعني في كلٍّ، يقول الأشعري رحمه الله:

"(لا تأتيهم) تمامًا، على القول بعدم الإتيان بالكلية، فإنهم كانوا ينظرون إلى الحدن في البحر يوم السبت فلم يبق حول إلا اجتمع فيه، فإذا نقض السيَّت ذهب فلم تظهر إلى السبب القليل، فوسوس إليهم الشيطان وقال هم: إن الله لم يهتم عن الأخطاء وإننا نؤديهم عن الأكلا فاصطادوا، وقيل قال هم: إننا نهتم عن الأخذ، فأخذوا حياضًا على ساحل البحر فتأتي إليها الحدن يوم السبت فإذا كان يوم أحد أخذوها، ففعلوا ذلك ثم اعتدوا في السبب فاصطادوا فيه وأكلوا وبايعوا فمسح الله شبانهم قردة ومشتتهم خنازيرهم، فمكثوا ثلاثة أيام ثم هلكوا ولم يبق مخوش فوق ثلاثية أيام أبداً.

وأما من قال إن الإتيان في غير يوم السبت كان أقل من يوم السبت أو بطلب ونصب لأن التشبيه من تمام الكلام، فالفوق عندنا يكون على (سَكَّدَ لَكَ) قال معاذ: حرمت عليهم الحدن يوم السبت، فكانوا تأتيهم فيه شرعاً لأمها ولا تأتيهم في غيره إلا أن يطلبوا، فقالوه: (سَكَّدَ لَكَ) أي تأتيهم شرعًا وهنا تم الكلام، و(نَلْبُوهُم مَّسَّاتَنَّ) وخلو الكاف نصب بالإتيان على الحال، أي لا تأتي مثل ذلك الإتيان أو الكاف صفة مصدر بعده. مخذوف، أي نبلوه وراء كذلك، فالفوق على (سَكَّدَ لَكَ) حسن فيها أو تام".

ومفاد ما ذكره أن الوقف على قول الله تعالى: (لا تأتيهم سَكَّدَلِكَ)، تصريح يبني مشابهًا ما كان عليه حال الحدين مثنيه عائدة على وجه الماء طافية على ظهره شارعة في طول البحر وفي عرضه ذاهبة. وآية تغي القوم.

(*) المدار ۱۵۳ وينظر معاين القرآن المزجج ۲/۳۸۵ والإيضاح لابن الأباري والدر المصون ۵/۴۹۴.
باصلابها لشدة دنها منهم في اليوم الذي ن peru عن الاصطباب فيه. لما كان عليه حاوله سائر الأيام إذ لم تكن تأتيهم على هذا النحو.

ويذكرون أيضاً رد على استبعاد الزجاج وأي حبكة لأمير السوق عقل كذلك عقل مستفاه في معاني الطائر 27 وبحب البحر المحيط 302. 441. 441 4/ 71.

(1) بنظر المحرر لبون عطية 187/ 9.
بالكلية - وهو ما جنح إليه الأشموني - لكان في ذلك مندوحة للمعتدين لأن يتذدروا في حجية ما يقومون به، بأنما يفعلون ويعقوون فيهما من خلافة إنها دعت إليه الحاجة الماسة والضرورة القاسية، وهو سبحانه في غني أن يشتق على أمثال هؤلاء إلى ذلك الحد، ولا سيما أنه سبحانه لا يكلف نفسا إلا وسعها.

ونظير ما سبق في بيان مال ومصير أهل الإيّان والأمر بالمعروف والنهي عن المكر، وفي جواز الوقف على (كذّلِكَ) والبدء بها فيما يفيده الوقف والإبداع من ثراء في المعنى والتسارع في فهم المراض، ما جاء في قول الله تعالى:

(فَهَلْ بَالْيَتَابِينَ حَلُوَّاً مِّن قَبْلِهِمْ قَلَّ فَانظِرُوْا إِنِّي مَعَكُمْ مَنۡ أَعۡمَلُونَ إِنَّمَا كَذَّلِكَ حَقٌّ عَلَيۡنَا نُحِيَّ الْمُؤۡمِنِينَ) (يونس/102، 103)، فقد تقرر من خلال هاتين الآيتين الكرمتين سنة من سنن الله في خلقه، وقضي هذه السنة بنجاة المؤمنين من عذاب الله النازل في الدنيا على أهل العصيّة. كما تقضي بإنجابهم المدخر فهم يوم القيامة، إذ ذلك حق أوجبه تعالى على نفسه، يقول ابن جرير الطبري في تأويل ما جاء في هذا النظّم الكريم:

"قل يا محمد هؤلاء المشركين من قومك انظروا مثل أيام الذين خلو من قبلكم من الأمم السالفة الذين هلكوا بعدم الله، فإن ذلك إذا جاء لم يلك به سواه ومن كان على مثل الذي هم عليه من تكذيبك، ثم نجى هناك رسولنا محمد ﷺ ومن أمن منه وصدقه واتبعه على دينه كأفعنا قبل ذلك برسولنا الذين أهلكناهم فأنجيناهم ومن معهم من عذابنا حين حق عليهم. (كذَّلِكَ حَقٌّ عَلَيۡنَا نُحِيَّ الْمُؤۡمِنِينَ،) يقول: كأفعنا بالحاضرين من رسولنا فأنجيناهم والمؤمنين معهم وأهلنا أمة، كذلك نفعل بك يا محمد وبالمؤمنين فنجيك وننجي المؤمنين بك حقاً علينا غير شك"." (1) تفسير الطبري 11/121 بجلد 7.

172
ولقد وضح من سياق الآي ومن خلال تأويل الطبري له أن العطف في قوله: (دممُ نُجِي رَسُلُنا، إنها هو عطف على كلام مخالب يدل عليه قوله:
(إِلَّا مِثْلُ أَيَامِ الْكَافِرِينَ خَلَوْاَ مِنْ قَبْلِهِمْ)، كأنه قيل: هلك الأمم ثم نجى رسولنا والذين آمنوا معهم على حكايَة الأمم الماضية، وما بينها- وهو قوله:
(فَأَنْظُرُوا إِنِّي مَعْمُوكُمْ مَرَّ الْمُنْتَظِرِينِ)، - اعتراض جيء به
مساءلة إلى التهديد وبالغة في تشديد الوعيد، وقد ناسب أن تسبق الإشارة
هذا السياق وفي نفس السورة، بأحوال القرون الحالية وما كان من عقابية
تكذيبهم لرسلهم واستخلاص من عينهم لا يبررون لما ظلموا، وجاءهم رسَّلمهم بالكيان
وما كأن أو كُئِمْوا أَكِدَّ لَكُمْ جَزَى الْقُوْمِ الْمُجَّرِّمِينَ، فَمَّا جَعَلْنَاكُمْ خَلْقَينَ
في الأرض من يعدهم لتنظر كيف تنمِلون. يومنا 141، ثم عقب ذلك جولة تفصيلية أوردت طرفاً من قصة نوح عليه السلام مع قومه وطرفاً
من قصة موسى عليه السلام مع فرعون وملته، ثم جاءت الإلمامة الموجودة
بقصة يونس عليه السلام الذي أمتن به قريته بعد أن كاد يجل عليهم العذاب
فرغ عنها ونجبت منه بالابناء.. وتكلى لمسة قرآنية تزين الإيابان للمكذبين
لعلهم يتلقون العذاب الذي أذنوا به ولا تكون عاقبةهم كعقاب المكذبين من
أقوام الأمم المغارة.. ثم تأتي بعد الكلمة التي كتبها الله على نفسه أن تبقى
البدرة المؤمنة للبث وتنجو بعد كل إبادة وعقب كل خطر وإثر كل تكذيب
ودير كل تعذيب على ما أفاده قوله تعالى: (كُذِّبْنَاكُمْ حَقًا عَلَّيَّا نُجِي
المُؤمنين)، لتكون تنديلاً بعمل عاجل بشرى الله لرسوله وللمؤمنين بدعوته
أن ينجيهما سباحة بقدره من ذلك العذاب وذلك الوعيد الذي يتهدد أهل
الشرك وأرباب المكذبة. كما أنى الرسول من قبله، لا سيما وأنه - جعل
حكمه- جعله حقاً تحقيقاً لتفضيله به والكرامة.

(1) ينظر إلى الكشف 2/ 255 وروح المعاي 7/ 268 والدر الصحراء 6/ 273 والفريد 2/ 546
(2) ينظر إلى الظلال 3/ 4810 وتحرير 11/ 399 مجلد 6.
وقد سأغ في (كَذَّاْ لِكَ) هذا ما سأغ في سابقتها من وقف عليها ومن بدءها، ففي حال الوقف عليها يكون البدء بقوله بعدها (حَقًا عَلَيْنا نَجِي آلِمَوْمِيْنِين)، وفي حال البدء بها مع ما أعقبها يكون الوقف على ما قبلها. وقد أدى الوقوف على كل من المعاني ما لم يؤده الآخر.

وبيان ذلك وآية أن الوقوف على (كَذَّاْ لِكَ) سواء على القول بالاستناد في قوله (وَالَّذِينَ آمَنُوا) أو على القول بطبعهم على (رَسُلَنا)، يصير المعنى والوجه فيه: والذين آمنوا تنجيهم إنجاء كإنجاء من أرسلناهم إلى أمهم، أو كذلك الذي كان للرسولين مع أتباعهم، ففي كلا التقديرين (كَذَّاْ لِكَ) مصوص بـ (ثَنَبَيْنِي) الأول (حَقًا) مصوص بالثاني - أعني الذي في عجز الآية والمائل في قوله: (نَجِي آلِمَوْمِيْنِينِ) - وهذا خلاف ال ظاهر لعدم إدراج المرسلين في آخر الآية وانخراطهم في عداد المؤمنين الناجين على ما هو عليه الحال في آلهما، مما يعني أن المراد بالمؤمنين إما الجنس المتناول للرسول السلام وأتباعهم، وإما الأتباع فقط في حال عدم وجود الرسول بين ظهرانهم، وإذا لم يذكر إنجاء الرسول في العجز أبدانا بعدم الحاجة إليه وليشمل الأزمنة التي انقطع فيها وحي السياج عن الأرض وليشمل كذلك حال المؤمنين بعد ختم الأتبايع عليهم السلام بمحمد صلوات الله وسلامه عليه لكونه آخر المرسلين ورحة الله للعالمين.

ومهما يكن من أمر ففقيه تنبه على أن مدار الإنجاء هو الآبائ، وجيء بجملة (حَقًا عَلَيْنا نَجِي آلِمَوْمِيْنِينِ) تذكيراً لما قبلها مقرراً لضمونه، وقد أفاد الوقوف على (كَذَّاْ لِكَ) دفع ما قد يعلق في صدور أهل التفاؤل وأفًى ضعاف الأبائين من شك في أمر إنجاء الله خاصته، أو من ظل يتراكي لهم ويفضي بهم إلى توهم أن الإنجاء قاصر على الأتبايع فحسب لكونه المرسلين من قَبْلِه تعالى، فليأتي الوقف على الإشارة المصحوبة بكاف التشبيه ليحسن هذا التوهم.

(1) الفريد بعد هذا الموضوع من وقوف التعنان والمراقبة فيها أعلمن صاحب القول المفيد في علم التجويد
(2) ينظر روح المعاني ٢٦٧، ٢٨٧ والاملاة ٣٣٠، والدر الصون ٢٧٣.
ويدفع ظن السوء وقالت السوء من هؤلاء وأولئك، إذ هو أشبه في مشاركة المؤمنين لأنبياتهم في النجاة بقوله في آية أخرى: (إِنَّا نَصْرَرُ رَسُولَنَا وَالذِّيْرِيٕ)، فامتنع في أخيل الدنيا ويتقوه الألوهية، غافر/ (51)، وأدع الناس الطمانينة والسكنية في قلوب أهل الإيمان كما يسعى لهم القيام بواجبهم إزاء ذئبهم على غرار ما جاء في قوله سبحانه: (وَلَمَّا رَأَى الرَّكُومُونَ الْجَرَادِ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرُسُولُهُ وَصَدَقَ اللهُ وَرُسُولُهُ، وَمَا زادُهُم إلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا .. الأحزاب/ 21).

كما أنه دخل في إظهار ما في ضغائن مله النفاق ودخائل من في قلوبهم مرض على نحو ما تلقى به قوله: جلت حكمته: (وَإِذ يَقُولُ الرَّتِيعُونَ وَاللَاذِينَ في قلوبهم مرض ما وعدهن الله ورسوله إلا غزور .. الأحزاب/ 12).

أما على الوقوف عند قوله: (كَذَلِكَ حَقًا عَلَيْنَا نَجِيْنَ الرَّبُّمُونَ) فاعتقى فيه والقدير: تنجيهم كذلك الإنجاء الذي كان من قبلهم، وهذا يعني أن الجار ومجروح متعلق بمقدر وقع صفة لصدور محتوى، ودُروج أن تكون الكاف في مثل نصب بمعنى (مثل) سادة مست المعقول المطلق وتقديره: مثل ذلك الإنجاء الذي نجينا الرسول ومؤمنيهم نتجي من آمن، بك يا محمد.

ويعمل عند البعض أن يكـونـ في موقع الحال من الإنجاء الذي تضمنه (بَنَجِيْنَ) بتؤول، أي: فعلي الإنجاء حـال كونه مثل ذلك الإنجاء.

وجوز صاحب الدر المصون والعكبري أن تكون (كـذَلِكَ) و(حَقًا) منصوبين بـ (بَنَجِيْنَ) الذي بعدهما، لكن يرد عليه أن الفعل الواحد لا يعمل في مصادرتين ولا في حالين ولا في استثناءين ولا في مفعولين معهما، وعند فريق

---

(1) (حَقًا) على هذين الوجهين يدل من الكاف التي هي يعني مثل أو من المحتوى الذي نائب

(2) نظر الدر المصون 6/ 273 والبيان في غريب إعراب القرآن لأبن الأثيري 1/ 421

125
منهم ابن عطية وأبو البقاء هو في موضع رفع خبر مبتدأ مخوذ، أي الأمر كذلك.

وأجاز آخرون جعله في موضع رفع على الابتداء خبره (نةج) فيكون ذلك مبنياً على سؤال من لعل يقول: هل حقوق النجاة مختص بالرسل ومن معهم؟ فقيل: لا بل (كذٍ اً) حقوق (حقاً علماً) على ما لنا من العظمة (نةج المؤمنين) في كل زمان وإن لم يكن بين ظهورهم رسول، لأن العلة الانتصار بالإيان الثابت، و(حقاً) في كل ما سبق ذكره نصب بفعله المقدر، أي حق ذلك حقاً وجعله اعتراض بين العامل والفعل، على تقدير أن يكون (كذٍ اً) معمولاً للفعل المذكور بعد، وفائدة تأكيد الكلام أي حق ذلك حقاً، أو الاهتمام بالإنجاز وبيان أنه كان لا مخالفة.

وذلك هي نكتة التعبير بقوله (حقاً) حتى على القول يجعلها معارضة فهو حق بموجب الوعد والحكم، وليس وعداً بسبب الاستحقاق على ما زعم أهل الاعتراف لن ثبت أن العبد لا يستحق على خالقه شيئاً، ويجوز أن يراد به الواجب ومعنى كون الإنجاء واجباً أنه كالأمر الواجب عليه تعالى تفضلاً منه وكرماً وإلا فلا ووجب حققة عليه، يؤكد حقية ذاك الإنجاء ويوذن بجعله في حقه سببه كالأمر الواجب عليه، قراءة (نةجٍ المؤمنين) بالتشديد وحما لغتان فصيحتان، يقال أنجي إنجاء ونجي ينجي نجية بممكن واحد، والتقدير على كل: "كما حق عليبا إهلال الكافرين هذا الإهلال العظيم، (حقاً)

(1) ينظر المحرر الوجه 9/98 والإملاء ص 320.
(2) وقد صح بأن الجملة اعتراضية غير واحدة من المعرفيين ويفاد من أنه لا يبدأ من ورد الجملة الاعتراضية إذا بقي شيء من متعلقاتها هكذا أفادة الألوسي.
(3) ينظر إلى جانب المصادر السابقة الفريد 262 والكتابي للمدائين ص 512 وروح المقالات 7/287 والإجعاب الفصل 5/123 والهدى المصور 262 والكتاب 2/250.
(4) وآجاز البعض أن يكون خبر (ذاك) الذي هم موضع رفع على الابتداء مخوذ هو ناصب قوله (حقاً) أي مثل ذلك الإنجاء يحق علينا حقنا نجياً دونهم منك، ومن تلك المشركون، والإشارة في كل ذلك إلى الإنجاء.

١٢٦
علىَّا) أي بأوِجِناء علَّ جَانَبَة العظيم (تُنِجَ الْمُؤْمِنِينَ) العربِيَّينَ في الإيَانَ
ولَو كَانُوا بَعْدِ مُوَت رَسُلُهُمْ تنَجِيَة عَظِيمَةٍ وَتَنَجِيَهُمْ إِنَّهُمْ إِنِّيْهُمْ عَظِيمَاً، فَالآياَةُ مِن
الأِحْتِكَاكِ مَا أَشَارَتْ إِلَى الْقَرَاءَتَانِ بالْتَخْمِيَفِ والْتَتْقِيلِ".
واَبْنِاءً عَلَى كَلِّ مَا سَبِقَ، فَإِنَّهُ وَعَلِيَّ شَيْهِ الدِّينَ أَمَّنَى بِالرَّسُولِ فِي الإِنَجِاةِ،
أَوْ تَشْيِهِمْ وَإِنَّ لَمْ يَكِنْ بِأَيْنِهِمْ رَسُولُ بِالرَّسُولِ مَعْأَبَاهُمْ فِي الإِنَجِاةِ،
يَكُونُ الْوَقْفُ عَلَى (كَذَّلِكَ) تَامًا. أَمَّا عَلَى جُلُولَ الكَافِ في مَوْضِعٍ نَصِب
نُعْتَا لِمُصْدَرِ مَخْوُفٍ - عَلَى مَا هُوَ الْمَشْهُرُ لِدُلْيَ الْمُعْتَيْبِيْنَ - يُعْتِيْ فِي حَالِ عُوَد
الْإِشَارَةِ إِلَى مَا تَقْدِمُ بِالْكَعِبَارَ مَشْبُوْهًا بِهِ فَإِنَّهُ يُسَوَّ عُوَةِ الْبَدْءِ بِقَوْلِهِ (كَذَّلِكَ) لَأَن
الْمَعْنَى:
نَنْجِيَ الْمُؤْمِنِينَ حَتَّى لَوْ لَمْ يَكُونَا فِي زَمْنِ الرَّسُولِ إِنَجِاةٌ كَذَّلِكَ الَّذِي كان
لَمْ يَقِلُهُمْ مَعْ رَسُولِهِمْ، كَمَا يُسَوَّ عُوَةٌ لِهِ بِإِذَا جَعِلَتُ الكَافِ فِي مَوْضِعٍ رَفْعٍ-
أَعْنِي عَلَى تَقْدِيرِ: الْأَمَرُ كَذَّلِكَ - لَأَنَّ الْمَعْنَى حَيْنَذَاكَ: مِثْلَ ذَلِكَ الإِنَجِاةِ نَنْجِي
الْمُؤْمِنِينَ مَتْكَنَّ.
وَالْعَلَةِ فِي ذَلِكَ وَالْسَرِّ فِيهِ يُوْضِعُهُ الْأَشْمَوَنِي بِقَوْلِهِ: (وَلَدِيدُ أَمْتَوَا).
تَامَ عَلَى أنَّ الكَافِ فِي مَخْلَ رَفْعٍ، أَيَّ الْأَمَرُ كَذَّلِكَ يَهْجَ عَلَيْنَا نَنْجِي الْمُؤْمِنِينَ . وَعَل
أَنَا فِي مَخْلَ نَصِبَ نُعْتَا لِمُصْدَرِ مَخْوُفٍ أَيَّ إِنَجِاةَ مِثْلَ ذَلِكَ يَهْجَ عَلَيْنَا نَنْجِي
الْمُؤْمِنِينَ فِي وَقْفٍ عَلَى (كَذَّلِكَ)، ثُمَّ يَبْتِزْهُ بِهِ لِتَلْعِيْهُ بَيْ بَعْدِهِ مِنْ جَهَةِ المَعْنَى
فَقْطٍ . وَعَلَى أَنَا مَتَعِلَقَةٌ بِبَا قِلْبِهَا كَأَنَّهُ قَالَ: (نَنْجِي رُسُلُنَا وَلَدِيدُ أَمْتَوَا
كَذَّلِكَ) فَالْتَشْيِبُهِ مِنْ مَثَامِ الكَلَامِ وَالْوَقْفُ عَلَى (كَذَّلِكَ)، لَوْ يَبْتِزْهُ بِهِ لَعَدَم
تَلْعِمُهُ ما بَعْدُهَا بِبَا قِلْبِهَا". وَمَا هُوَ جَدِيرَ بِالْذِّكْرِ وَالْإِشَارَةِ، أَنَّ الْمُوْلِي سَيْحَانِهُ لَمَا أَمَرَ رَسُولَهُ ﷺ فِي الْآيَةِ
السَّابِقَةَ - (قَلَ فَأَنْظِرُوا إِنَّ مَعَكُمْ مِمَّاَ إِلَّاَ الْمُثْنَيَّيْنِ). أَنْ يُوفِقَ
الْكَافِرُ فِي اِنْتَظَارِ الْعَذَّابِ، نَسَبَ أنَّ بَأَيِّ التَّفَصِّيلِ فِي قُوْلِهِ بَعْدُ: (ثُمَّ نَنْجِي)
رسلنا وألتِّرَبَتَ إِنْ تَحْكَىً حَقًا عَلِيْبَا تَنجِح الْمُؤْمِنِينَ على أي من الوجوه سالفة الذكر، وذلك ليبين سبحانه أن العذاب لا ينزل إلا على الكفار، وأما الرسل وأتباع الرسل فهم أهل النجاة. وعلى نحو ما أفادت الآية إنذار أهل الشرك بالإهلاك ومشاركة أهل الإيام بإيام في الانتظار، فقد أفادت تحقق الخوف والرجاء لدى أهل الإيام، وفي ذلك يقول الربيع بن أنس: خوفهم عذابه وقتمه ثم أنجزهم أنه إذا وقع من ذلك أمر أنجي الله رسله والذين آمنوا بهم.

وقد تعدد النظم تأخير حكایة التنجیة عن حكاية الإهلیاك على عكس مما جاء في غير ما منهم ليصل به قوله: (كَذَلِكَ حَقًا عَلِيْبَا تَنجِح الْمُؤْمِنِينَ)، كما جاء التعبیر بالمضا류 في صدر الآية حكایة الحال الماضیة لتهویل أمرها باسحبار صورتها.

وفي قول الله تعالى: (وَقَالَ الْمُؤْمِنُنَّ كَفَرُوا لَوْلَا نُزُلَ عَلَيْهِ الْقُرْءَانَ جَمِيلٌ وَحِدَّةٌ كَذَلِكَ لَبَشَّيْبَ مَا فَوَادَكَ وَذَلِكَ تَزْيَمُوا) الفرقان/32، إذ يراقب قوله: (جَمِيلٌ وَحِدَّةٌ) قوله: (كَذَلِكَ) إِخْرَاجًا "عن كثرة اعتراض الكفار وتعبنهم وكلامهم فيها لا يعنونهم حيث قالوا: (لَوْلَا نُزُلَ عَلَيْهِ الْقُرْءَانَ جَمِيلٌ وَحِدَّةٌ) أي: كما نزلت الكتب قبله جملة واحدة كالتوراة والإنجيل والزبور وغيرها من الكتب السابقة، فأجابه الله تعالى عن ذلك بأنه إنها نزل منجیًا في ثلاث وعشرين سنة بحسب الوقائع والحوادث وما يحتاج إليه من الأحكام ليثبت قلوب المؤمنین به، كقوله: (وَقَرْنَاهُ رَفِيعًا لَنْقِرُوهُ عَلَى الْأَلْدَانِ عَلَى مُكَثِّرَ وَزَالَةَ تَزْيَمًا) الإسراء/106، وهذا قال: (الَّذِيْينَ بِهِ فَوَادَكَ وَذَلِكَ تَزْيَمًا) قال قتادة: بنياه ثيبياً، وقال ابن زيد: وفسرة

(1) ينظر الرأي 8/56 والألوسي 7/87 والنشط من عيون التفاسير لمنصف الخير 2/501.
(2) على نحو ما ورد في الطبعة الباكستانية للمصحف ونص عليه صاحب نهاية القول المفيد ص 173.
تفسيراً : "انتهى من كلام ابن كثير، وفي إجماله ما يغنى عن التوسع والتفصيل في ذكر معنى الآية.

ومن خلال كلام الحافظ يبص الاملاء موضوعي الوقوف في الآية وأنه إذا
على قوله سبحانه على لسان أهل الكفر: (لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْكَ أَلْقَارَةٌ حُمْلةً وَحَدَّةٌ 
حَكَّادَ لِكَ) والآية على قوله في الرد عليهم والتعليم لما ساقوه: (حَكَّادَ لِكَ 
يُنْتِبِئِكَ بِهَا فَوَادَكَ وَرَكَّنْتَهُ تَرْتِبَلاً).

كيا يدرك أنه على جعل التشبيه من تمام الكلام يصير المعنى: هلا نزل
القرآن على محمد جملة واحدة كأنزلت النوره والنجيل والزبور، ومن ثم
يكون الوقوف على قوله: (حَكَّادَ لِكَ) وأنه على جعله في طياته يصير المعنى:
أنزلت مفرقاً كأ ترى تا محمد لتثبت به فوادك ولتحظف، ومن ثم يكون البدء
بقوله: (حَكَّادَ لِكَ يُنْتِبِئِكَ بِهَا فَوَادَكَ) .. وأن (حَكَّادَ لِكَ) على الأول من
تام قول المشركين، والثاني هو من قول الله تعالى ذكره جواباً لهم.

وينظرها ثانية ما أنتهى إليه كلام أهل العلم يلاحظ أن شيء فريقاً يميل إلى
إساغة الوقوف على الإشارة الصالحة بكاف التشبيه حتى عد البعض منهم
ذلك هو الأهجو والمحسن، في حين نفى فريق آخر احتفال عود الإشارة إلى
الكتاب الماطرة أصلاً بحجة أن نرواها هي الأخرى إنها كنت منهجاً، يعني تماماً
كيا نزل القرآن، ومن ثم كان المشركين في دعوهم الادعية وزعمهم الباطل
معادنهم أو جاهلين بحقيقة الأمر، لا يدركون كيفية نزول كتب الله على أبنائه،
ومن انتصر هذه المقوله البقاعي والشوكاني وابن عاشور، وعلى قولهم لا يعد
أن يكون في سياق النظم ما يمثل الرد على دعوهم ومقولتهم بعد أن ساقها
على ألسنتهم.

بأيد أن فيها ذكره نظرًا، وكان يمكن لرأيهم أن يسلم لولا ما أوضحه
السيويتي ومن لف له من أن القول ب: "أن سائر الكتب أنزلت جملة، هو

(1) تفسيره 3/ 226.
(2) ينظر مدار الهدى ص 233 والقرطبي 7/ 459.
(3) ينظر الإيضاح في الوقوف والابتدا 2/ 805 والأملاء ص والقرطبي 7/ 494459.

179
مشهور في كلام العلماء وعلٌ على ألسنتهم حتى كاد يكون إجماعاً، قال رحمه الله
بعد أن ساق من الأحاديث والأثار ما يدعم به رأيه: "فإن قلت: ليس في
القرآن التصريح بذلك - يعني ما يفيد أن الكتب السابقة نزلت جملة واحدة-
وإبانا هو على تقدير تبوته قول الكفار.
قلت: سكونه تعالى عن الرد عليهم في ذلك وعده إلى بيان حكمته دليل
على صحته، ولو كانت الكتب كلها نزلت مفرقة لكان يكفي في الرد عليهم أن
يقول: إنها ستة الله في الكتب التي أُنزلها على الرسل السابقين.
وبعيد أن استكثره - رحمه الله- من جمع الألواح في قول الله تعالى:
(وفقينا الله في الألواح من سُكَّلَت شَيَّات مُوعظةً وصَفِيفًا لِكُل شَيْءٍ)
الأعراف/155)، وقوله: (وللقي الألواح... الأعراف/150)، الدلالة على
نزلها جملة واحدة، أردت يقول: "ويؤخذ من الأثاث الآخر- ويتعين به قول
ثابت بن الحجاج: جاءت التوراة جملة واحدة فكثر عليهم فأولهم فآباؤهم
حتى ظل الله عليهم الجبل فأخذوها عند ذلك- حكمة أخرى لإزالة القرآن
مفروقاً، فإنه ادعى إلى بقبوله إذا نزل على التدريس بخلاف ما لو نزل جملة واحدة
فإن كان ينكر من بقبوله كثير من الناس لكثرة ما فيه من القرائن والمناهي،
ويعتبر ذلك ما أخرجه البخاري عن عاشية قالت: إننا نزل أول ما نزل منه
سورة من الفصل فيما ذكر الجنة والنار حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل
الحلال والحرم، ولو نزل أول شيء (لا تشبهوا الحمر) لقالوا: لا ندع الخمر
أبداً، ولو نزل (لا زنوا) لقالوا: لا ندع الزنا أبداً"، وقد خلص الأئمة بعده
سوء ما ذكره السيوطي في هذا الصدد إلى أن القول بخلاف ذلك "ناشي من
نفقات الأطاع".
وإبانا رمت من هذا التفصيل، بيان إساغة القول بالوقوف على مقولة أهل
الكر (أَلَا يُنَزِّلُ عَلَيْهِمْ قُرْآنًا حُكْمُهُ وَحِجْدَةً صَدَّى بَعْكَ) والبدء حينئذ بقوله:

(1) الإنصاف ص 58.
(2) الإنصاف للسيوطي ص 559 والأثر في البخاري 7407 و البهقي في السنة 7987 و في شعب الإيران ٢٤٣١.
(3) روح الماني ١١١/٢٢.
(لتُنَبَّئَ بِهِ فَوْذاَكِ). أو عل قومهم: (لَوْلَا نُزُّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ جُمُلَةٌ وَحِدَّةٌ)، والبدء من ثم بقوله سبحانه: (صَحِيْحُ الَّذِي لَتَنَبِّئَ بِهِ فَوْذاَكِ)، وكشف أن لكل من المجذدين هذا الوقف أو ذك وجهة هو موليها، وإثبات أنه ما هو من أمر فإنه لا مشاحة في الوقف على (صَحِيْحُ الَّذِي) أو البدء بها طلما أن المعنى يستقيم في الحمل على كل ذلك أن من آخر الوقف على (صَحِيْحُ الَّذِي) أعني من اعتماد جعل الإشارة من تمام كلام المشركين ومن عودهم إلى مقولتهم: أضرع فعلاً وجعل التقدير: هلا نزل القرآن جملة واحدة كما نزلت النروحة بجملة واحدة، فكان الجواب: إنه قرأه على هذا النحو وعلى مثل ما هو عليه الحال لثبت به فوذاك، والقصد من ذلك والوجه فيه هو فضحهم ودحض حجتهم وبيان فاسد تعلهم في الطعن في هذا القرآن الذي لا يأتي الباطل من بين يديه ولا من خلفه، والإيسانز بأن ما أثاروه ما هو إلا "فضول من القول ومماراة بها لا طائل فاته بسم الله الرحمن الرحيم، لأن أمر الإعجاز والاحتجاج به لا يختلف بنزوله جملة واحدة أو مفرقة"، فثبت صحته وأية كونه من عند الله، نظمه المعجز الباقي على مر الدهور.

وإنما يدل على شردهم عن الحق وتجاهفهم عن أتباعه إبرادهم والتعبير عنهم بعنوان الكفر، بقصد ذمهم به وإشعارهم بعلة الحكم: فالكاف على هذا نصب على الحال من القرآن، أو على الصفة لمصدر (بُنُزُل) المذكور أو لجملة)، والإشارة فيه إلى تنزيل الكتيب المتقدم، ولاام (لتُنَبِّئَ) لام التعليل والمعل مخفوف تقديره: ما سمعت أولاً لثبتت أو نزلت مفرقة لثبتت، أو على حد قول السجاوندي: "جملة واحدة كذلك الكتب المنزل (النروحة). فرقانه، لثبت به فوذاك:"

(1) ويُعرَى هذا الوقف إلى القراءة على ما ذكره في معاني القرآن 2/ 267 ونص عليه ابن الأنصاري في الإيضاح 2/ 90 والداني في المكتبي 417.
(2) الكشاف للروحshan 3/ 91.
(4) نظر المعال 2/ 458 وإملاء العبكري ص 459.
وأما من قال بالوقف على قوله (جمالة وحادًة) والبدء من ثُمّ بقوله:

(سُقِّذ لِلَّذِينَ لُبْسُوا فَوْاءَكَ) فقد جعل (سُقِّذ لِلَّذِينَ لُبْسُوا) من كلام الله، وقدر

المعنى: أنزلنا متفرقًا، أو فرقنا إذًا كتلك كيف ترى يا محمد، نثبت به قلب،

والوجه في ذلك أنَّ لم يكن من أهل القراءة والكتابة، فقد فارقت حاله حال

موسى وعيسى وداود عليهم السلام إذ كان آميَّا وهم كانوا قارئين كائنين، فلم

يكن ثمة بدًّ من التلقين، ولو نزل عليه القرآن جملة واحدة لتعا بحفظه وجاز

عليه الغلظ والسهول، فإن من كان الكتاب عده فاربياً اعتمد على الكتاب

وتسلال في الحفظ فكان من حكمته سبحانه أن أنزله عليه متفرقًا ليكون حفظه

له أكمل وليكون أبعد عن المساهلة وقلة التحصيل .. ثم إن مشاهدة النبي

جبريل حاليًا بعد حال، تنظين لقلمه تلك وقوية له على أعنا ما حل وعل

الصر على عوارض النبوة وعلى احتفال أذية قومه وعلى الجهاد

كما أن في نزول القرآن بحسب الحواض وجوانبات السائلين والوقائع

الواقعية هم، ازدادًا لبصيرتهم بمعرفة وبمتابعة الوفي لها وتنبأ أحكامها،

لأنهم بذلك يكونون أعراً ما ينزل بشأن هذه الحواض، لكونهم بحاجة إلى

علم ما في الجوانب فيكثر العمل بها فيها ويكون هو الأوقف في باب

talkative والاستثمار، والأدل على الإخبار عن الحواض في أوقاتها .. وليس

أنزل الكتاب جملة واحدة لنزلت بشرائع بأمرها دفعًا واحدة على الحق ولكان

ذلك أثقل عليهم، والقرآن إنها جاء "البري أمة ويشتى مجتمعاً ويقيم نظامًا،

والترغبة تحتاج إلى زمن وإلى تأثر وانفعال بالكلمة، وإلى حركة تترجم التأثير

والانفعال إلى واقع، والنفس البشرية لا تتحول تحولاً كاملاً شاملًا بين يوم

وايلة بقراءة كتاب كامل شامل للمبهم الجيد، إنها تتأثر يومًا بعد يوم بطرف

من هذا المنهج وتددرج في مراقبه رويدًا رويًا، وتتعاد على حل تكليفه شيئاً

فشيلاً، فلا تجعل منه كأن تجعل لو قدم لها ضخماً شيئاً عسيرًا، وهي تنمو في كل

يوم بالوجبة المعنوية فتصبح به في اليوم التالي أكثر استعدادًا للانتفاع بالوجبة

(1) ومن قال به وعد الأحسى الأخفس سعيد والأشموني في المنارص ٢٣٣ والمكنسي ص ٤١٧

والقطع والانتحاف لابن الماردوكه ٥٠، كنا قال بجوازة ابن الأبلداني في

المكنسي ٤١٧ والنصاري في المقدص ص ٢٧٤ والقرطي ٧/٤٩٠٦ والمرثي للسبيطي ٥/٩٠.
التأويلة وأشد قابلية لها والتذاؤ بها. ولقد حقق القرآن بمنهجه ذاك خوارق في تكيف تلك النقوش التي تلقته مرتلاً متتابعاً وتأثرت به يوماً يوماً وانطعت به أثراً أثراً.

ولا يرد على هذا أن فيه تعريضاً للأمم السابقة أو قدحاً في الكتب التي نزلت جملة واحدة ولم تنزل مناجحة على غرار ما حدث للقرآن لـ "أن شاء الله صحة القرآن إعجازه، وذلك ببلاغته وهي مطابقة لفظي الحال في كل جملة منه ولا ينكر ذلك في نزوله دفعاً واحدة، فلا يقاوم بعض الكتب فإن شاء صحتها ليس الإعجاز".

واسم الإشارة بالحمل على هذا الوجه مشار به إلى مفاق كلامهم، وهو في مما نسب على أنه نائب عن مفعول مطلق جاء بدلًا من الفعل، والتقدير: نزلناه تنزيلاً كذلك أو مثل التنزيل المفرق الذي قدموا واقتراحوا خلافه، ليقوى هذا التنزيل على هذه الصفة فؤاداً، وإن تنزيله مفرقاً على حسب الحوادث أقرب إلى حفظك له فيهما معانه وذلك من أعباس أساس النتيجت، "فإن قيل: (ذلك) في (سَكَّدَ لَكَ) يجب أن تكون إشارة إلى شيء تقدمه، والذي تقدم هو تنزيل جملة واحدة فكيف فسرته بـ (ذلك نزلناه); مفرقاً؟ فالجواب: إن قلتم: (ولو أنْ نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جَمِيعًا) معناه لم أنزل مفرقاً؟ والدليل على فساد هذا الاعتراف أنهم عجزوا عن أن يتأوا ينجم واحد من نجومه وحُذوا بسورة واحدة من أغصفر السور، فأنروها صفحة عجزهم وسجلا به على أنفسهم حين لاأداً بالمناصبة وفزعوا إلى المحاربة، ثم...

(1) الأطلال للأستاذ سيد قطب/5/3/1225 وينير تفسير الإرزي: 42، 43، والتحرير
(2) 20 جملة
(3) روح المعاني/11/22
(4) ينظر روح المعاني/15/22 وإملاء ما من به الرحمن ص/59 وفتح القدير/4/73 والتحرير
(5) عبارة الزهري في الكشف (أنزلنـ) ولعل ما ذكرته هو الأصول لكونه البيني للفعل ولكونه المصادر لقوله سبحانه (نزل) والامتناع الفلسفي في المقال: في الآية، فمصادر الإزالة، وسيأتي أن في اختيار أحلام الشرك للتعبير بالفعل (نزل) ولما كان في إيضاح عن التعبير بـ (نزل) ميّز الواقع استوجب ميّز ذلك، حتى

الحروف

133
قالوا: هل تُنزل جملة واحدة؟ كأنهم قدروا على تفريعه حتى يقرروا على جملته

انتهي من كلام الزمخشري.

وينادى من أن نزول القرآن منجّزاً يوجب التحدي على أبعاضه وأجزائه،
ونزوله جملة يقتضي وقوف التحدي على مجموعه، ولا ريب أن الأول أدخل في
باب الإعجاز، لأن من نحَّلَة ينجم منه فعجز عنه علم أن عجزه عنا هو أكثر
منه أولى، وعلم كذلك أن اعترافهم أن كان من باب الفضول والمجادلة، بما لا
محصلة من ورائه، وأن ما أثاروه هو من ضيق العطان وقيلة الحديثة، كما ينادى منه
أيضاً أن (۹۹۹۴۵۴۳۷) هنا وعلى هذا الرجوع واقعة موقع الاستناد في
المحوارة، وأن الاسم في (۹۹۹۴۵۴۳۷) متعلقة بالفعل المقدر الذي دل عليه
(۹۹۹۴۵۴۳۷) المعنى أنزلوا كذلك التنزل الذي جهلو حكمه وعزوا عن
جارته وعلمهاشتبة بعد شيء، لنقو في تقريبي عزيمة فلقب وقين نفسك،
فإن في تنزيه مفرقاً تيسيراً لحفظ النظم وفهم المعاني.

وفيه إلى جانب ذلك وإلى جانب ما سبق ذكره، ضبط الأحكام والتآتي في
القراءة والوقوف على تفاصيل ما روعي فيه من الحكم والمصالح، وتمتد
إعجاز الطاعنين في كل جملة تقدر بمقدار أقصر سور تنزل منه، كما في معرفة
الناسخ المتأخر من النسخ المخالف حكمه فقد كانوا يجيبون بالشيء إلى وقت
بعينه قد علم الله فيه الصلاح، وفيه أيضاً -ما هو لصق الصلة بها ذكرنا-
انضمام القرآن الحالية إلى الدلالات النفيتية ما يعنٍ على معرفة البلاغة لأنه
بالمثل إلى الحال يتنبه السامع لما يطالبهها ويوافقها، بل إن في نزوله كذلك عن
الطابقة، يقول الجد الوزير فيما نقله عنه الطاهر: "أن القرآن لم ينزل منجّزاً
على حسب الحوادث لما ظهر في كثير من آياته مبتدأها لقضيته الحال ومناسبتها
للمقام، وذلك من تمام إعجازها".

وتظهر براعة السياق في الآية الكريمة وهي تصور شدة تعبت أهل الكافر
في اقتراعهم ودقة ما يיךونه من شبهات بغية التشكيك في كلام الله وفي

(1) الكشاف ۳/۹۱)
(2) ينظر في شاهات التحريبة ۱۹۵/۲۲ مجلد ۱۲ مجلد ۹ على حاشية
الطبري ونظم الدور ۵/۱۰۵ وروح المعاي ۱۱/۲۲ القرطبي ۷/۴۹۰ ولفظ وسلف ۴/۲۰.

١۳۴
حكمة نزوله منجية، فهم لشدة ضعفهم وقوة ريبهم ما كادوا يسمحون لأنفسهم أن يسموا القرآن تنزيلاً فجلاً عن أن يسددوا إنزاله إلى الله تعالى، حتى طفقوا يبنون الفعل للمجهول بل وجعلوا يقولون: (ولَا تَزَلَّ عَلَيْهِ)

ولما عبروا بصيغة التفعيل المشيرة إلى التدريج والتفرقة استجلاباً للسامع
لنا يعرض عليهم، أشاروا إلى أن ذلك غير مراة، فقالوا: (القرآن)، أي المقتضى اسمه للجميع، ثم صرحوا بمراد بقفهم: (جماعة) وأكدوا بقفهم (واحدة) ليتحقق أنه من عند الله ويزول عن ما نتوهمه من أن هو الذي يرتب قليلاً قليلاً، تعبرهم بها يدل على التفرقة أبلغ في مراهم، فإنهم أرغعوا السامع في الإقبال على كلامهم بتوطينه على ما يقارب مسأده ثم أزالوه التدريج أنم إزاله، فكان في التعبير بالفعل (نزول) من المفاجأة والروح والإقناع بما آمَل من المقاربة ما لم يكن في (أنزل)، كذا أفاده الباقعي.

وكلامه يحمل في طياته الرد على ما ذكره صاحب التحرير من أن "نزول"
هنا مرادف (أنزل)، وليس فيه إيحان بما يدل عليه التفعيل من الكبير"، إذ تأتي دقة الأداء فيها اشتمل عليه النظم الحكيم أن يكون الأمر على نحو ما ذكر وبخاصة أن صيغة التفعيل لا تعني بالضرورة الدلالة على الكبير إذ قد تدل على التدريج والتفرقة استجلاباً كقابل للسامع، لذا يعرض عن مقوله المتقولين على الله بغير علم على حد ما ذكر الباقعي رحمه الله.

وفي إشارة للفتية لما عليه (سُكُنَّكَ لَكَ) الباردة في قول الله تعالى: (حَرَّ كُرْمَةً * عَسَّقَ ذَيَّكَ الْبَيْنَ وَلَيۡكَ الْدِّينَ مِنۡ قَبْلِ أَلِيٍّ الْعَزِيزِ الْأَكۡمِلِيمَ ..
الشورى/1 - 3)، من وجه للبدء بالإشارة للمرتونة بكاف الخطاب يقول صاحب روح المعاني:

(1) ينظر نظام الدور 5/315
(2) 19/19 مجلد 9

١٣٥
قوله تعالى: (كُذِبْتُكَ يَوَحَيْنَا .. الآية)، كلام مستأنف وارد لتحقيق أن مضمون السورة مواءم لما في تضايقات الكتب المنزلة على سائر الرسل المتقدمين في الدعوة إلى التوحيد والإرشاد إلى الحق، أو أن إيجاهها بعد تنويعها بذكر اسمها والتثبيب على فخامة شأنها، وفي عني ما ذكر يقول ابن عاشور:

"جملة: (كَذُّبْتُكَ يُوحَيْنَا إِلَيْكَ) إلى آخرها ابتدائية، وتقدير المجروض من قوله: (كَذُّبْتُكَ) على (يُوحَيْنَا إِلَيْكَ)، للهتام بالمشار إليه والتشويق بتبنيه الأذى إلى إليه":

وإنها سوغ جمل المعنى على الاستنفاذ أو الابتداء - على ما أفاده غير واحد - كون الكاف اسماً - على ما هو مذهب الأخفش - وكونه مع ذلك مفعولاً لـ (يُوحَيْنَا) على القول بأن (الله يُوحِيْنَا إِلَيْكَ) اسماً للسورة خبران لمبتداً محفوف، أي يوحي إليك مثل ما في هذه السورة من المعاني - أو حالاً من ضمير أو نعتاً مصدح محفوف ومؤكد و(إِلَيْكَ) قائم مقام الفاعل، على القول بأنها معنا اسم واحد وآية واحدة خياراً لمبتداً محفوف وحقهما أن ترسم متصلاً، المعنى:

يوجي إيجاه مثل إيجاه هذه الحروف إليك وإلى الرسول أي بواسطة الملك .. أو هو على اعتبار حرف جر مع مجريه متعلقاً بمحتوى وقع نعتاً، أو في موقع المفعول المطلق لفعل محفوف دل عليه (يُوحِيْنَا) والتقدير إيجاه كذلك الإيجاء العجيب.

والعدول عن صيغة الماضي إلى صيغة المضارع في قوله (يُوحِيْنَا) للدلالة على أن إيجاه إتجاه متجدد لا ينقطع في مدة حيائه لِئِنْ أَشْرَكَوْا مَنْ أَمْرَتْهُ .. الشورى/ ٥٢، قوله: (وَكَذَا لَكَ أُوحِيَانَا إِلَيْكَ رَفَعَنَا عَرَبًةً .. التوقيت) فإذ لا غرض في إفاده معنى التجدد ثمانة .. ولا يبعد أن يكون المضارع (يُوحِيْنَا) قد

(1) روح المعاني ١٧/ ٢٥ مجلد ١٤.
(2) التحرير ٢٥/ ٢٧ مجلد ١٢.
نظر فيه إلى متعلق الإجابة وهو (إليك) ويلى (الذين من قبلك) فيكون المضارع لاستحضار الصورة من الإجابة إلى الرسال فقد استبعد المشركون وقوعه، فجعل كاً مهماً على الطريق قوله تعالى: (وَأَيَّهَ الَّذَينَ أَرْسَلْنَ أَرْمَيْنَهُ قُتُّيْبُرُ صَبَاحًاً فَأَطَرَّ / 9، وقاله: (وَبَيْضَعَ أَنْفُلُكَ هُودً / 38).

هذى وقد وجد فريق من أهل اللغة والقواف، منهم أبو البقاء والأشعري على الله شابيب الرحمة والرضوان - كون (كذ لك) مبدأ (يحيى) الخبر والعادان مهدوف، أي مثل ذلك الكتاب أو مثل ذلك الوجيه يوجيه إليك وإلى الذين من قبلك من الرسل، وحدد مثله - وإن كان خلاف الظاهرة - شائع في الفصيح، (وَاللهُ) فاعل لفعل مهدوف كأنت قيل: من يوجي؟ فقال: الله، وما بعده نعت له.

والموقف - بذاء - في كل ذلك يكون على الحروف المقطعة والبدء من ثم ب(كذ لك) والإشارة هي - على نحو ما بوقع - إلى ما في السورة أو إلى الإجابة الأخوين من فعل (يحيى)، والدلالة على البدا لتبعد المنزل المشار إليه في الفضل، وصيغة المضارع على حكايته الحال الماضية للدلالة على استمراره في الأزمنة الماضية وإن إجابة مثله عادته عز وجل، وفي جعل مضمر السورة أو إيجادها مشابهاً به من تفخيماً ما لا يخشى.

وقوله: (وَإِلَيْكَ الَّذِينَ مِن قِبْلَكَ) "إدراج، والتشبيه بالنسبة إليه على أصله أي مثل وحى إليك وحيه إلى الذين من قبلك، فالتشبيه مستعمل في كلتا طريقته كاً يستعمل المشروع في معنئيه، والعرض من التشبيه إثبات التسوية، أي ليس وحى الله إليك إلا على سنة وحية إلى الرسول من قبلك، فليس وحية

(1) يضمن التحرير والتنوير للمظاهر بن عاشور 28098 fod 5073/9
(2) ينظر الإمالة 516 والناصص 345.
(3) إذ الإدراج هو أن يدمج التكلم غرضاً له في ضمن معنى قد نحاه من جملة المعني لبهم السامع أنه لم يقصده، وإنما عرض في كلامه لتمة معناه الذي قصد إليه (كذا ذكره ابن أي الأشعري في تحرير التحيري ص ۴۴۴۹).
إلى الرسول من قبلك بأوضح من وحي إليك، وهذا كقوله: (إِنَّا أُوحِيَ إِلَيْكَ كَمَا أُوحِيَ إِلَى نُوحٍ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِ مِن بَعْدِهِ). النساء/132، أي ما جاء به من الوحي إن هو إلا مثل ما جاءت به الرسول السابقون، ففраخ قومه عنه إلا كعذاب الأمم السابقة عواجت به رسولهم، ففصل هذا المعنى الثاني بغاية الإيجاز مع حسن موقع الاستطراد، وإجراة وصفي (الظفر) العظيم على اسم الجلالية دون غيرها لأن هاتين الصفتين مزية اختصاص بالعرض المقصود من أن الله يصطفي من يشاء لرسالته، ف(الظفر) المتصور بها يزيد لا يصده أحد، و(الظفر) يجعل كلامه معاني لا يبلغ إلى مثلها غيره، وهذا من متيمات الغرض الذي افتتحته السورة، وهو الإشارة إلى تجعي المعاندين بأن يأتوا بسورة مثل سورة القرآن.

والوقف على (كَذَا لَكَ) يسوم مع الفعل بجعل الكاف مع جذورها في موقع المعول لفعل مخوذ أو بجعلها تعب متعلقاً بمذودف، ويكون البدء بالنفع (بَوْحِي). وادعاء المخشرى بعدم جواز الابتداء بالفعل بعده، وتقدير مبتدأ في جميع ما يقع فيه الفعل الابتداء كلام وهو ما يفيده كلامه، غير مسلم به .. ولعل هذا ما قصد إليه صاحب المتأ بقوله:

"وقف بعضهم على (كَذَا لَكَ)، ثم ابتدأ (بُوْحِي) بكسر الحاء، أي بويحي الله إتباع مثل الإتباع السابق الذي كفر به هؤلاء، (بُوْحِي) بمعنى الفاعل والجلالية فاعل".

وفي سياق الحديث عا امتتن الله به على بني إسرائيل من نجاتهم مع نبي الله موسى عليه السلام وإهالك عدوهم فرعون ومملته يقول رب العزة سبحانه:

(كَذَا تَرَكْتَ مِن جَنَّاتٍ وَعَطْبُونٍ، وَزُرْوَعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ، وَنِعْمَةٌ كَأَنْوَا فِيهَا)

(التحرير 25/26 مجلد 12).

(1) الكشاف 3/459.

(2) المناجر 345.
فيكشينَ، كـُذـُّ لـَكَ وَأَوْرَنـَـتٰـهـَا فَوْمًا أَخَرِينَ (6-25). وفي تعلق المعنى وتوقفه على البدء بـ (كـُذـُّ لـَكَ) أو الوقف عليها يقول الأشموني:

"في محل الكاف من (كـُذـُّ لـَكَ)، الحركات الثلاث الرفع والنصب والجز، فالرفع علـى أنها خبر محدود: أي الأمر كذلك، أو في محل نصب: أي أخرجاً آل رقمن من منازلهم كما وعدنا إيرانها قومًا أخرين، أو في محل جز صفة لـ (مقام): أي مقام كريم مثل ذلك المقام الذي كان لهم، فإن كانت الكاف في محل رفع كان الوقف على (فيكشين) تاماً، لعدم تعلق ما بعده بـ قبله والتشبيه أول الكلام، وإن كانت في محل نصب أو جر كانت متصلة بها قبلها، من جهة المعنى فقط، فتوقف على (كـُذـُّ لـَكَ) ويتبنتها لتتعلق ما بعدها بـ قبلها وكذلك الوقف على (كـُذـُّ لـَكَ) كافيًا دون (كريم) و (فيكشين) والتشبيه من تمام الكلام، ثم يبتدي بـ (كـُذـُّ لـَكَ) أو يقوله: (وَأَوْرَنـَـتٰـهـَا فَوْمًا أَخَرِينَ).

وإعراب (كـُذـُّ لـَكَ) على أنها خبر لمبدأ محدود تقديره: (الأمر كذلك) قال به الزجاج، والمراد التأكيد والتقرير، فيتوقف على (ذلك) سواء قدرت الكاف بمعنى الاسم - على ما هو مذهب الأخفش - أو اعتبر فيها الجار والمجرور معاً، لكونه مع المبتدأ المقدرة في حكم الجملة المستقلة، وهذا مراد الأشموني يقوله:

"فإن كانت الكاف في محل رفع كان الوقف على (فيكشين) تاماً، لعدم تعلق ما بعده بـ قبله والتشبيه أول الكلام".

ولا يمنع مع احتال النصب الذي ألغ إلى الأشموني وقدر المعنى على أساس، أن يكون التقدير فيه: (تفضلًا كذا كذا لمن نريد إهلاكه)، وقال الحوفي (أهلكنا إهلناكًا وانتقمنا انتقامًا)، وكذا قول الكليبي: أي (كذاك أفعل بمن عصاني) ظاهر في ذلك، علماً بأفاده الألوسي ونص عليه، كأن أسأغ العكبري جعل (كـُذـُّ لـَكَ) نعتًا لصدر محدود من الترك ليكون التقدير: تركًا كذلك أو مثل ذلك الترك، وإشارة إلى مقدر دل عليه الكلام ومعنى الكاف.
والوقف على هذه الأوجه يكون على (فَكِيَحٍ)، وعلى الجار والمجرور أيضاً لتأم الكلام عندهما وحمل ما بعدهما على الاستئناف، وهو حسن بالغ تعلقه بها بعده تعلقاً لطيفاً.

وينحو ما قد قدر الأشموني على احتال النصب في محل (كَذَّبَ لَكَ)، قدره صاحب الكشف على معنى: مثل ذلك الإخراج - أي المفهوم مما تقدم - أخرجاهم منها، غير أنه زاد: (وَأَوْرَثَنَا قَوْمَاهُ أَحَرَّينَ) ليسوا منهم، فحمل (وَأَوْرَثَنَا) على العطف على تلك الجملة الناصية للكافف فلا يكون الوقف حينذاك على (كَذَّبَ لَكَ) بل يكون البدء بها مع ما بعدها.

أما إذا يبدو الوقف على (كَذَّبَ لَكَ) والبدء بها، مغالباً حسب التقدير، والغريب أن جميع هذه الاحتالات والتقديرات واردة ويمكن حمل النظم في الآية الكريم عليها وفي ذلك من الأنساء وإثراء المعنى ما لا يخفى.

والآيات هنا في محلها استئناف بيان مسوق للعبارة بعواقب الظالمين المغرورين بها هم في النعمة والقوة، وقد جاء هذا الاستئناف واقعاً موقع النتيجة من الدليل أو البيان من الأجال لما في قوله: (وَلَقَدْ فَعَلْنَا قُرْوَمُ فِرْعَوْبَت... الدخان / ٦٧)، والترك في قوله: (كَمْ تَرَكْتُوا) حمولاً على المجاز إذ حقيقته: وهو إلقا الشيء في مكان منتقل عنه إلقا اختيارياً غير مراد، وإنما أريد منه هذا المعنى المجازي الذي يطلق على مفارقة المكان وعلى إلقا الشيء الذي في مكان غلبة دون اختيار، وهو مجاز مشهور يقال: ترك الميت مثلاً، ومنه سمي مخلف الميت (تركة) .. والفعل (ترَكْتُوا) الوارد هنا في حق فرعون وجنته، مؤذن بأنهم أغرقوا وهلكوا، ومقتضي ذلك أن ما أمر الله به موسي عليه السلام من الإسراء بني إسرائيل وما صحب ذلك من إتباع فرعون إياهم وانفلاق البحر وإزلاف بني إسرائيل واقتحام فرعون بجنبه البحر وانضمامه عليهم، قد تم.

(1) ينظر الإمام للفكري ٣٣٦ وروح المعاني ٢٥ / ١٨٩ ومعاني القرآن للزجاج ٤/ ٤٢٦.
(2) ينظر الكشف ٣/ ٥٠٣ والدر المصون ٩/ ٢٤٤.
ففي الكلام إيجاز بالحنذف إذ حذفت جمل كثيرة دل عليها قوله: (كَرُكْوَاتُنا) كما ناسب الفعل (تركَوْا) قوله بعد: (تَعَمَّمَوا) المصوم على وزنة المرة والذي أريد به مطلق المصدر، وذلك لأن جميع أحوال الكلام الذي صار كالشيء الواحد هو أبلغ وأجمع في تصوير معنى المصدر، كما ناسب مجيء (فَكَوَّنُوْا) بصورة اسم الفاعل الذي يعني أنهما متصنوفان بالفاكهة وهو اللعب والمرح وموسومون بها على سبيل الدوام والاستمرار، وهذا أبلغ في إظهار كم هم مجمورون في النعم ملتذدون بها.

ثالثًا: أثر البدء بالكاف المقننة بغير اسم الإشارة البعيد والوقف عليها في إثارة المعنى:

وثمة نمط آخر يدق مجيءه في النسق القرآني يأتي على غرار ما سبق من تعلق الجار والمجاور بكلام سابق تارة ومن تعلقه بكلام لاحق أخرى باعتبارين مختلفين، غير أن الشبيه هذه المرة لا يكون مصحوبًا باسم الإشارة، وكما يستبين في هذا الضرب من الكلام، أعراض لنزاج عادة ذكر بعض أهل الاختصاص أن الوقف فيها يفري على المواجهة التي تأتي بالضرورة الوقف على أي من الموضعين بحيث إذا تم الوقف على أحدهما لا يسوع الوقف على الآخر، ولا أدعى لنفسه في اصطلاح ما أذكى من نزاج هنَا، الخصر أو الاستقصاء إذا ذاك أمر يحتاج لدراسة تكون أكثر حصرًا وأوسع استقصاء، لكن حسب أن ألقت الانتباه هذا الضرر الغني بالمعاني، الممتلئ بالوجوه المحتملة، المثير لظاهرة الاتساع موضوع بحثنا.

في آية البقرة المسأة بآية الدين والمشيرة - في معرض الحديث عن التعاملات المالية المشروعة لدى معاشر المسلمين - إلى ضوابط الفرض الحسن، والمفصولة عن شروطه التي ينبغي توافرها حفاظًا على حقوق الدينين وتخفيضاً

(1) بنظر التحرير 25/302 مجلد 12.
هم للإطلاع بدورهم في إقناع المحتاجين وفي سد خلة المعززين وللمسير في درب ذاك كرب المكررين حتى لا تلجِّهم صروف الحياة وظروفها القاسية إلى التعامل بالربا، يقول سبحانه:

(يتابعوا آلذين، إما أن تداينتم بدينين إلى أجل مصير فأصحابكم)

ولَيَكُبْ لِيَكِبَ لَكُمُ سِكِّيْمًا بِالْعَدْلِ، وَلَا يَأْبَ كَانَ أن يَكْبُرَ سِكِّمَةٌ عَلَّمَهُ ﷺ فَلْيُمْكِنْ لِيُمْكِنْ أَلْلَهُ لَمْ يَعِلْ دَرْيَ الْحَقِّ، وَلَمْ يَسْتَطِعْ أَلْلَهُ أَنْ يَعْلَمَ ﷺ فَإِنَّ كَانَ دَرْيَ الْحَقِّ سُفِهَا، أُوْلَٰئِكَ أَلْلَهُ لَمْ يَعِلْهُ فَلْيُعِلْهُ. (أعراف: 282).

وقد رافق قوله تعالى في صدر الآية (ولَا يَأْبَ كَانَ أن يَكْبُرَ)، قوله

بعدها: (سَمَّاهُ عَلَّمَهُ ﷺ)، ونص على موضوع المراقبة هنا صاحب كتابي: النشر في القراءات العشر، ونهاية القول المفيد في علم التجويد، ومؤدي قوله: أن التمام إذا كان على قوله: (ولَا يَأْبَ كَانَ أن يَكْبُرَ)، كان البعد بالجملة المشبهة (سَمَّاهُ عَلَّمَهُ ﷺ فَلْيُمْكِنْ)).

ولَيَكُبْ لِيَكِبَ لَكُمُ سِكِّيْمًا بِالْعَدْلِ) ﷺ فَلْيُمْكِنْ أَلْلَهُ لَمْ يَعِلْ دَرْيَ الْحَقِّ، وَلَمْ يَسْتَطِعْ أَلْلَهُ أَنْ يَعْلَمَ ﷺ فَإِنَّ كَانَ دَرْيَ الْحَقِّ سُفِهَا، أُوْلَٰئِكَ أَلْلَهُ لَمْ يَعِلْهُ فَلْيُعِلْهُ. (أعراف: 282).

والله الذي لا شريك له، بما أنى إليه و تعالى به، فهذا ما كتب للكثيرين من الذين أتىهم الشهادتين و أعطىهم المجد و أنَّ الله الذي لا شريك له.

(1) وتلك هي حقيقة الدين، قالوا: هو عبادة عن كل معاوية كان أحد عوسيم فيها نقداً والأخر في الذمة نسباً، فإن العين عند العرب ما كان حاضراً، والدين ما كان غانياً. بنيت القرطبي 3/1257 و 1258.

(2) ينظر النشر لابن الجزري ص 76 و ياباسة الفول المفيد للشيخ محمد مكي نصر ص 37.

142
وفي إرشاد العقل السليم ما نشبه: "(ولأ يَأْبَب كاتبٌ) أي .. لا يَأْبَب أن يَنْتَفَع الناس بكتابته كما يَنْتَفَع الله تعالى بتعلم الكتابة، فهو كقوله: (وَأَخْيَسَنَّ الْحَبَّةُ إِلَّاَّ الشَّاهِدُ ..) (القصص/ ٧٧)، (فَلَيْسَ كَذَٰلِكَ) تلك الكتابة المعفومة، أمر بها بعد النهي عن إثباتها تأكيدًا لها"، وهذا هو الوجه في تعلق الكاف بالنهي السابق عليه والوقوف عليه قوله: (كَذَٰلِكَ عَلَمَهُ اللهَ) والبدء حينئذ بالأمر ..والحق أن جعل الكاف متعلقة بالفعل المنفي ليكون المعنى: كأَنَّهِم الله عليه بعلم الكتابة فلا يَأْبَب هو وليَّفضَل كأَفضل عليه - وهو ما أورده السمين في الدور - هو - على ما قال أبو حيان - خلاف الظاهر، وإنما جاء كذلك ليوافق ما جاء عليه مدخول حرف الجر من إثبات، ولربما ساغ لأجل ذلك أن يجعل المعنى: "ولأ يَأْبَب أحد مِن الكُتابِ (كَذَٰلِكَ) كَاتِبِ الْعَدْنَى عَلَمَهُ اللهَ) على طريقته ما علّمَهُ من كِتَاب الْوَثَائِقِ أو كَاَيْبِهِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: (بِالْعَدْنَى)".

والآثام تعلق الكاف ومدخوله يقوله قبل: "(كَذَٰلِكَ) على أنه نعت لمصدر مَخْذَوفٍ أو حال من ضمير المصدر على رأي سبคม، والتقدير: أن يكتب كتابة مثل ما علمه الله، أو أن يكتب كَذَٰلِكَ كَاتِبٌ مثل ما علمه الله".. ذلك أن المشابهة في الجملة التشبيهية إن أريد بها الطابعية على ما هو عليه الحال في قوله: (فَإِنْ قَامَتْنَا بِمَثْلِهَا، فَقُدْ أَهْتَدِيَنا ..) (فاطمة/ ١٣٧)، فالكاف في موضع المعول المطلق على اعتبار أنها صفة مصدر مَخْذَوفٍ (كَذَٰلِكَ) موصولة، والتقدير ومعنى فيه: لا يَأْبَب كاتب أن يَكْتِب كَاتِبًا يَشَابه الذي علمه الله إياه، وذلك بأن يكتب ما يعتقد فَلا يَغْيِر أو يَبِدِل ولا يَحْفَظ أو يَوَارَب، لأن الله ما علم إلا الحق

---
(١) تفسير أبي السعود ١/ ٢٦٩.  
(٢) تفسير أبي السعود ١/ ٢٦٩.  
(٣) تفسير أبي السعود ١/ ٢٦٩.  
(٤) تفسير أبو السعود ١/ ٢٦٩.  
(٥) تفسير أبي السعود ١/ ٢٦٩.  
(٦) تفسير أبي السعود ١/ ٢٦٩.
وهو المستقر في فطرة الإنسان وإنما ينصرف الناس عنه بالهواء فيبدو
ويغيرون، وليس ذلك التبديل الذي علمهم الله تعالى، وهذا يشير إلى قول
النبي ﷺ: (أَنَّكُمْ تَكُونُونَ مَعِيُّ عِلْمِيْ، وَإِنَّ هَذَا لَا يَشْغَلْكُمْ عَنْ مَا تَذَكَّرُونَ).
ويظهر في تعليق الكاف بقوله: (أَنَّكُمْ تَكُونُونَ) جعل الكاف على ما سبق
الإشارة إليه - في موضع الحال "من ضمير المصدر على رأي سيبويه، والتقدير:
وألا يأب أن يكتب كتابة مثل ما علمه الله، أو أن يكتب أي الكتب مثلًا علمه
الله وبهله له بقوله سبحانه: (بِالْعَدْلِ).
وموقع (أَنَّكُمْ تَكُونُونَ) على أيّ، نصب على المفعول به أي لا يأب الكتابة كما
علمه الله، وإنها أراد أبو السعد يقوله: "وألا يأب أن يتفعل الناس بكتابته كما
تفعل تعليمه الكتابة"، بيان أن اللام في قوله تعالى: (قَلْبُكُمْ تَكُونُونَ) للتعليم,
والحق أنه حتى في حال تعلق الكاف غير الفعل المنفي (لا يأب)، فإن اللام
أيضاً يفاد منها - كسابقه - التعليم، إذ المعنى في حال تعلق الكاف بـ
(أَنَّكُمْ تَكُونُونَ):

لأجل ما علمه الله تعالى من كتابة الوثائق وتفصل به عليه، لا يأب كتابة
كتابه ما يمل عليه، وهو - أعني المعنى - في حال تعلق الكاف بـ (لا يأب).
وجعل (أَنَّكُمْ تَكُونُونَ) مفعوله: ولا يأب كتاب كتابة ما علمه الله وذلك بأن
يتفعل على الناس بكتابة التذكير على الطريقة التي علمه الله إياه ويعبر في
ذلك العدال لأجل أن الله تفصل عليه وميزه، وذلك بأن يكتب كتابة تكافئ
تعليم الله إياه بأن يتفعل الناس بها شكرًا على تيسير الله له أسباب علمها، وإنما
يحصل هذا الشكر بأن يكتب ما فيه حفظ الحق ولا يقصر ولا يدليس.
وعن هذا المعنى وسابقه ينشأ من التشبيه بيان علة النهي عن الامتناع عن الكتابة على غرار ما في قوله تعالى: (وَأَحْسِنْ ۖ سَخَّارًا أَحْسَنَ اللهَ إِلَيْكَ) القصص/٧٧ وقوله: (وَأَدْخِلْهُمْ كَمَا هَدَنَّاهُمْ) البقرة/١٩٨)، أي لأجل إحسان الله وهدايته، فالفкал والتشبيه على هذا لقابلة الشيء بكمائه والعرض بمعوضه، وهي عليه إما نافية عن المفعول المطلق - على ما سبق ذكره- أو صفة لمفعول به محدد على تأويل مصدر فعل (آن يكتب) بالكتوب و(مَا) على هذا مصدراً.

وقوله: (فَقَلَبَتْ) على أساس الوقف على الجملة التشبيهية وتتعلق الكاف بها قبله، جملة في محل جزم جواب شرط مقدر، أي: إن استكتب الكاتب فليكتب، وهي تريفع على قوله: (وَلَا يَلْبِبَ ۖ كَانِيَةً)، وتصريحا بمقتضى النهي وتكرير للأمر في قوله: (فَأَصْبَحَوْهُ)، أو بعبارة أخرى تأكيد للأمر وتأكيد للنهي أيضاً، وإنها أعيدت لرتب عليه قوله: (وَلِيُلْبِبَ اللَّهُ الَّذِينَ عَلِيَّهُ) بعد الأمر الأول يا وليه، ومثله قوله تعالى: (أَصْبَحَوْهُ) بعد قوله: (وَأَخْذَ قَوْمٍ مُّوسَى مِنْ بَعْدِهِمْ عِجْلًا جَسَدًا) .. الأعراف/١٤٨.

ويجوز أن تتعلق الكاف بالأمر بالكتابة بعده على أن يكون النهي عن الامتناع منها مطلقاً ثم الأمر بعدها مقيد بجاج ومجرو، والسنين الحلي بين الوقف عن النهي من يحفظ على القول بتعلق الكاف بها بعدها وسوقه ل الكلام أي حال الذي سنورده له بعد قليل، إلا أنه أسان أن تكون اللام على هذا الوجه للتعليل أيضاً، ليكون المعنى:

فلا أجل ما علمه الله فليكتب، ومن ثم يكون الوقف على قوله: (آن يكتب)، وقد قال بجواز تعلق الكاف بالأمر بالكتابة بعده صاحب الكشاف.

(1) ينظر في تفصيل ما أجمل هذا التحرير ٣/١٣٠٥ والقرطب/٢ والبحر المحيط ٢/٣٤٤ والبحر الوطير ٢/٣٦٠ ونظم الدور/١٩٩ ونظم الدور/٥٤٦ والإصلاح ١٩٩ والقرطب/١٣٠ وجداول في عراب القرآن للصافي/٢١٤.
وقال بقوله كثيرون، اتخاذه على أن الفاء غير مانعة من تعلق الجار والمجروح في الفعل المتروك بها فهو أشبه بي في قوله تعالى: (وَزَيَّكَ كَقَرْبٍ). لأجهل المتعين. 

ووهذا التحريج لحقيقة إساحة الوقوف على أي من الموضعين يتجلى لنا أن البدء بالجملة التشبيهية، ليس من قبيل الممتنع أو غير الجائز على ما زعم صاحب منار الهذى فقد صرح بأن "من وقف على (ولا يَبْذَل كَتِبٌ أن يَكْبَرُ) ثم بتدئ (صَمْحًا عَلَمَهُ اللهُ فَلِيَكْبَتْ) فقد تعسف"، وعلى ما زعم أبو جعفري إذ قال: - بعد أن ذكر أن ثمة رأي بقاء بوقف عند قوله: (أَن يَكْبَرُ) ويتبعه الكاف على قوله بعد: (فَلِيَكْبَتْ) - قال ما نصه: "وهو فالق لأجل الفاء ولأجل أنه لو كان متعلقاً بقوله: (فَلِيَكْبَتْ) لكان النظم (فِي كِتَابٍ كَعْلَمَهُ اللهُ) ولا يحتاج إلى تقديم ما هو متأخر في المعنى"... إذ لا وجه لما جنحا إليه البية.

والن ما يقتضي دعوى هذا التعسف الذي زعمه الأشموني وذكر الفقه الذي ادعاه أبو جعفر، خواص حل هلته عن الامتثال عن مطلق الكتابة المقدمة على نحو ما جعل الأمر بمطلق الكتابة في الوجه الأول على الكتابة المقدمة، ولا سيما أن التعلق في الحالين واحد لكون التعلق فيها بالكتابة أو بالأنموذج بها فلا فرق بينه يذكر في التأكيد على الدلالات في حمل الكتابة المطلقة على الكتابة المقدمة، الملهم إلا في تقديم هذا أو تأخير ذلك.

وفي بيان ذلك يقول الزمخشي: بعد أن ذكر تعلق الكاف ومدرحها بفعل الكتابة السابق واللاحق: "إن قلت: أي فرق بين الوجوهين؟ قلت: إن علقت به: (أَن يَكْبَرُ) فقد نهى عن الامتثال عن الكتابة المقدمة، ثم殓 في: (فَلِيَكْبَتْ) يعني فليكتب تلك الكتابة لا يعدل عنها للتوكيد، وإن علقت بقوله:

(*) ينظر الدر المصون/3 والكتشاف/1 والكسوسي/3 وغرائب القرآن/3/88 على حاشية الطبري والتحرير/310 والإملاء ص125. 
(*) مسار الهذى للأشموني ص51.
(*) البحر المحيط لأبي جعفر/3244 وينظر الدر المصون للسيب المحيط/2/652.

146
(فِلۡيَّصِبُتُ) فقد نهى عن الامتناع بالكتابة من الكتابة على سبيل الإطلاق ثم أمر بها مقيدة"، وهو صريح بوجود احتيالين في الجملة التشبيهية (صَكَّمَا عَلَمَهُ اللَّهَ).

أولهما: أن تكون متعلقة بما قبلها، والتقدير: ولا يَأْبِن كاتب عن الكتابة التي علمه الله إياها ولا ينبغي أن يكتب غيرها.

ثانيها: أن يكون متعلقاً بما بعده، ويكون الوقف عند قوله: (وَلَا يَأَبِن كَاتِبٍ أن يَكُتَبَ)، ولهذا كمال الكلام، ثم قال بعده: (صَكَّمَا عَلَمَهُ اللَّهَ فِلۡيَّصِبُتُ)، فيكون الأول أمرًا بالكتابة مطلقًا ثم أرده بالأمر بالكتابة التي علمها الله إياها، والوجهان ذكرهما الزجاج ونقلهما عنه الفخر الرازي، وبعبارة القرطي في ذلك: "الكاف في (صَكَّمَا) متعلقة بقوله: (أَن يَكُتَبَ)

والمعنى: كتبًا كا علمه الله، ويحتم أن تكون متعلقة بما في قوله: (وَلَا يَأَبِن) من المعنى، أي كا أنعم الله عليه بعلم الكتابة فلا يَأَب هو ويَفْضِل كا أفضل الله عليه، ويحتم أن يكون الكلام على هذا المعنى تاماً عند قوله: (أَن يَكُتَبَ) ثم يَكُون (صَكَّمَا عَلَمَهُ اللَّهَ) إبادة كلام وتكون الكاف متعلقة بقوله: (فِلۡيَّصِبُتُ).

وانتِبِتاً على ما سبق فالأمر بالكتابة بعد النهي عن الأداء منها على الأول: أغني الوقف على الجملة التشبيهية والبدء بقوله: (فِلۡيَّصِبُتُ) - والوجه فيه: التأكيد، واحتجج إليه لأن النهي عن الشيء ليس أمرًا بضده صريحاً على الأصح، فأدركه بذلك صريحاً اعتناه بشأن الكتابة، ومن هذا ذهب بعضهم إلى أن الأمر للموجوب، وحجتهم أن الله يريد للازمة من خلال ذلك قطع أسباب

---

(1) الكشف للزهري ۱/۱۵۳، ۴۰۲، ۴۱۵.
(2) ينظر معاني القرآن وإعرابه للزجاج ۱/۳۶۲ وتفسير الرازي ۴/۱۲.
(3) تفسير القرطي ۲/۱۳۰۵.
(4) وهذا منهج علماء ابن جرير والخني وأهل الظاهر وهو اختيار الطبري وابن عباس.
التهارج والمؤذن، ومن ثم أوجب عليهم التوقيع في مقامات المصالحة لتلا
يشاهدوا ابتداء ثم يفضوا إلى المنازع في العلقة، كأن في القول بالوجب
نفي الحرج عن الدائن إذا طلب من مدينه الكتب حتى لا يعد المدين ذلك من
سوء الظن به، وإن كان الجمهور على استجواب ذلك لقوله سبحةه: (فإن
أشترهم بعضكم بعضًا فليومًا الذي أؤتي من أمنيته... البقرة / 283) وحجتهم
في هذا ما على جهير المسلمين في جميع ديار الإسلام إذ يبيعون بالأتيان المؤجلة
من غير كتاب ولا إثنا ولا أن يبيعوا تشميد والتبي في لغة الحنفية
السماحة، وأمر آخر هو أن للمرأة أن يجب هذا الحق ويتركه بإعجاب، فكيف يجب
عليه أن يكتب وأنها هو ندب للاحتيال.

وإنها جاء الندب بكتابته في صورة الأمر، لأن ذلك أوقت في الطالبية به عند
المطالبة، وأدفع للنزاع وأمن من النسبان وأبعد عن الجعود، وفي قوله:
(وليكب كتب سكتاب بالعدل)، بيان للكيفر الكتابة المأمور بها وتعيين
من ينالها إثر الأمر بها إجمالًا، و(كتاب) نكرة في سياق النهائي تعم،
ومفعول (كتب) معروف، ثقة بانفهاده أو للفقد إلى إيقاع نفس الفعل أي
ليفعل الكتابة، والطيب بالظروف لالإذان بأنه ينبغي للكتاب أن لا ينفرد به أحد
المعاملين دفعًا للتهمة، والجائز هنا متعلق بمhudوف ووقع صفحة للكتاب، أي
وليس الكتابة موصوفًا بالعدل فيكون من شأنه التسوية وعدم الميل إلى أحد
الجانبين زيادة أو نقص، وضابط ذلك - على ما ذكره القفال فيها نقله عنه أبو
حيان - أن يكون ما يكتب متفقا عليه بين أهل العلم لا يرفع إلى قاض فيجد
سبيلاً إلى إيطاله بأنلفظ لا يسع فيها التأويل فيحتاج الحاكم إلى
التوقف.

فالكلام - كما قال الطبيبي - مسوق لمعنى ومدح في آخر بإشارة النفي
وهو اشترطة الفقه في الكتب حتى يجيء مكتوب منه معدلًا بالشرع، لأنهـ

---

(1) ينظر المبحر الوجيزة 2/379 وينظر التحريز 3/100 والماريزي 4/371.

(2) ويجوز أن يكون حالًا أي متيسناً بالعدل، أو متعلقًا بالنفع أي ليكتب بالحق.

(3) البحر المحيط 5/444.

148
لا يقدر على التسوية في الأمور الخطرة إلا من كان فقيها، وهـذا استدلال بعضهم بالآية على أنه لا يكتب الوثائق إلا عرف بها عـبد مـأمون، ومن لم يكن كذلك يجب على الإمام أو نائبـه منعه لئلا يقع الفساد ويكشر النزاع.

وقد أعقب ذلك كله قوله: (ولا يَبْتَ كَأَيْبًا أَن يَكْتَبْ)، ليرسخ حكماً

جديداً له ارتباط سابقه ينـهى بمقتضاء من تطلب منه الكتابة بين المتداعين عن الاشتراك فيها إذا دُعى إليها كي لا يتأخـر ولا يُبِـ عِلاً ولا يتأخـر، فهـو تكليف بنص الآية وجـهوبة فيها على الله، وـهـي إلى جانب ذلك وفاء لفضل الله عليه إذا علـمـه كيف يكتب، عـلـى أن النهـي أـيضاً قد أخـتـلف فيه كـي اختلاف في الأمر، فقيل هو نـي تحريـم ويلزم مـن وجوب الإمام وحـوبيـة عـنـباً عـنـباً إـن لم يكن في الموضوع إلا كـان واحـد، وقيل يـب عـليه في حـال فراره، وانتصر للقول بالوجوب ابن جرير وـلذكـا أثناء رده على حـم الأمر والنهـي على مجرد الندب والإرشاد.

وبـأي ضمن ما تورـحـي به آـية من نـكـات وما تضـفيه من وقـع وظالـل البدء

بالنداء المحب لاهل الإسلام والمقصود منه خصوص المتداعين، وذلك بغرض أن تترقب فيهم روح الإذاعة والاتباع وتركي فيهم جانب المراقبة والإحساس بالمسؤولية نجاه الآخرين، والوجه البلاـغي من التعبير بقوله:

(يَدَّيْنِ) عقب جملة (إِذَا تَدَايِنُتُمْ) هـما- على ما يبدو في الظاهر- بمعنى واحد، هو تخصيص المشترك ودفع الإبهام نصاً، لأن (تَدَايِنُتُمْ) تكون بمعنى تعاملهم بالدين وكون بمعنى تجاوزهم، وقيل ذكر ليرجع إليه الضرير، إذ لولاه لقيل: (فَأَكْبِرْنَا الْدُّنِيَا) فلـم يكن النظـم بذلك الحـسن عند ذي الذوق العارف بأساليب الكلام، وقيل ذكر لأنه أبين لتبني الدين إلى صغير وكبير.

١٤٩

(١) ينظر السباق والآلوسي ٣/٩٠-٧٥ ابن السعودية ١٩٧٩ والكشف فيها ١٩٧٣ والرازي ٤/٩.

(٢) ينظر الإمتلاك والتكطيـف ١٩٦٣ والبحوث ١٩٦٩.

(٣) ينظر جامع البيان ٤٨٧ والتحرير ٤٨٧.

(٤) قال ابن الأباري: التدابير يكون لغرض أحدهما التدابير بالمال، والآخر التدابير بالمجازاة من قومهم.

كـان تدابير ندان، فذكر الله تعالى الدين لتخصيص أحد المعينين. ينظر الرادي ٤/٩ وجرائده التدابير لأبي بكر الرادي ٣٦/٣٦٩.
وإلى مؤجل وحال، وإنها يلحق بالتدانين جميع المعاملات التي يطلب فيها التوقيع بالكتابة والإشهاد، وفي هذا وفي معنى الآية يقول الامامي: "يا أيها الذين قصدوا الله ورسوله إذا تبعتم بدين أو أشرتم به أو تعاطيت أو أخذتم به إلى وقت وقتموه بينكم، وبدخل في ذلك الفرض والسلم في كل ما جاز فاكتبوه".

وفي الأمر بالإملاء: بعد الكتابة في قوله: (ولِيّمَلِ الفَتْحَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ) وقوله: (فَلِيّمَلِ وَلَيْلعَدُ)، إبداع بأن "لا يكن الميل إلا من وجب عليه الحق، لأنه هو المشهود على ثباته في ذمته وإقراره به".

وفي عبارة المشهود لأن منهم من يكتبون ما لم يملله عليهم المشهود عليهم، وفي الجمع بين الاسم الجميل والوصف الجميل في حق الميل في قوله: (ولِيّمَلِ أَلْلَهُ رَبَّهُمْ)، مبالغة في التحذير وحث على الخوف من الله بذكر ما يشعر بالجلال والجلال.

وإن المقضي ليعجب وهو يستصر هذا النظام التشريعي في القرآن، إذ تتجلى الدقة المنادية بالألفاظ في الصياغة حتى ما تبدل للفظة بلفظة ولا تقدم فقرة عن موضعها أو تأخر، وحيث لا تطفى هذه الدقة في صياغة الأحكام المتعلقة بأمور التجارة والدين على جمال التعبير وطلاوته، وحيث يربط التشريع بالأحاديث دون الإخلال بتراث النص، وحيث يلحد كل المؤثرات المحتملة في موقف طريقة التعاقد والشهود والكتاب، فتبني تلك المؤثرات ويشتاق لكل احتفال من احتفالاتها، وحيث لا يبق من نقطة إلى نقطة إلا وقد استوفي سابقتها بحيث لا يعود إليها إلا حيث يقع ارتباط بينها وبين نقطة جديدة تقتضي الإشارة إلى الرابط بينها، وسبحان من هذا الكلام.

(1) الطبري جامع البيان 3/76 بنصر.
(2) الإمالة والإملاء لغتان نطق بها القرآن، الأولى لغة أهل الحجاز وبنى أسد وعلَّمهما الآية، والثانية لغة نبي قائم وقيلها قوله: (فهي ملف عليه .. القرآن/5).
(3) الكنانة 1/430.
(4) دينار الظلال 1/324.
وفي طبيعة النشر لابن الجزري وكذا في نهاية القول المفيد للشيخ محمد مكي نصر التصريح بالتعاليم في قول الله تعالى: (إن الله يُذْهِبَ الْأَمْوَالَ وَلَا أَلَدْهُمْ مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأَوْلَيْكُمْ هُمْ وَقُوْدُ النَّارِ) كَذَٰلِكَ أَلَيْتَهُمْ فَأَخْذُهُمُ اللَّهُ بِذَٰلِكَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعَقَابِ. آل عمران (10، 11)، إذ يراقب قوله: (وقود النار، قوله: كَذَٰلِكَ أَلَيْتَهُمْ فَأَخْذُهُمُ اللَّهُ بِذَٰلِكَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعَقَابِ).

وهذا يعني أن الوقوف على رأس الآية والبدء بالكاف ومدخوته لا يصح معه الوقوف على (نَّارِ) وإنما يلزم عطف لما بعد هذا الأخير عليه، كي يلزم وصل رأس الآية بما يصفه الوقوف على (كَذَٰلِكَ أَلَيْتَهُمْ فَأَخْذُهُمُ اللَّهُ بِذَٰلِكَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعَقَابِ) ليكون ما بعدها جملة مستأنفة مستقلة بذاتها. ويعني كذلك أن البدء بالكاف الجارة مع مدخوته ووصلها بما بعدهما يفيد معنى ويمثل درجة من درجات الوقوف، كما يفيد وصلها بها قبلها معنى آخر ويمثل درجة أخرى. وهذا ما عناه صاحب منار الهدى بقوله: "كَذَٰلِكَ أَلَيْتَهُمْ فَأَخْذُهُمُ اللَّهُ بِذَٰلِكَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعَقَابِ".

والأمر بهذا وتحديد وجهة إعرابه يحتاج إلى تفصيل، ويلاحظ أن محور ذلك التفصيل ومحط وجهه يكمن في إعراب قوله تعالى: (وَلَا أَلَدْهُمْ مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا) إذ هي إما على العطف على ما قبلها، وإما عليه وعلى الاستنفاذ، وإما على الأخير فحسب.

1- فعل عطفهما على ما قبلها وهو ما يقتضيه البدء بكاف التشبيه ومدخوته والوقوف على رأس الآية التي قبلها وجعل (كَذَٰلِكَ أَلَيْتَهُمْ فَأَخْذُهُمُ اللَّهُ بِذَٰلِكَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعَقَابِ) في موضع الحال و(قد) معه مراده، يجوز أن تكون الكاف في محل نصب نعت لمصدر محدود دل عليه (كَذَٰلِكَ أَلَيْتَهُمْ فَأَخْذُهُمُ اللَّهُ بِذَٰلِكَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعَقَابِ) التي هي صلة، وتقديره: كفروا كفراً كعادة آل فرعون. أو

(*) المنار ص 71 وينظر على حاشيته المنشد لأبي زكريا الأنصاري.
تكون في محل نصب نعت لمصدر محدود دل عليه قوله: (أُولئكِ هُمُ وَقُودُ آلِلَادَارِ)، وتقديره: يوقد بهم كعادة آل فرعون، ويعود الشبه في نفس الاحتراف، وهذا قابل ابنا عطية في المحرر الوجيز. أو يكون الناسب له (البذرية) المدلول عليه من السياق، والتقدير: يعذبون عذاباً كنذر آل فرعون، أو تكون في محل نصب نعت لمصدر محدود مدلول عليه قوله: (أن تُغَيِّبَ) تقديره: بطل اتفاقيهم بالأموال والأولاد كعادة آل فرعون.

أو تكون في محل نصب نعت لمصدر محدود للفعل (كَذَبَوا) تقديره كذبوا تكذيباً كذب آل فرعون في ذلك التكذيب، ونها يكون الضمير في قوله: (كَذَبَوا) لكونه مكة وغيرهم من معاصرتي رسول الله ﷺ، وفي ذلك من التخويف هم - لعلمهم بما حكى بآله فرعون - ما فيه، وكون الضمير في (أَحَدُهُمُ) للفرعون، ويحمل مع هذا约翰 أدلة أن تكون الجملة (كَذَبَوا) حالاً لكونها متعلقة للجار والمحرور. أو يكون عامل النصب قوله: (فَأَخْذَهُمُ اللَّهُ) أي فأخذهم الله أخذًا كأخذه آل فرعون، وهذا مردود - إلا عند الكوفيين - لأن ما بعد ألفاً العاطفة لا يعمل فيها قبلها إلا فيما أجازه الكوفيون في نحو قوله: (زيداً فاضرب) وعليه فيجوز، كما ذكره السمين في الدر.

أو تكون الكاف ومدخولة في موضوع رفع خبر لمبدأ محدود تقديره: دأب أولئك الكافرين في الكفر كذب آل فرعون وحالمهم في استحاق العذاب كحالمهم، وهذا الوجه يبدأ به الزمخشري كلامه فيما يسوغ حل الكاف عليها. وعلى أي من هذا الأوجه فشبه الجملة (كَذَبَبَ) في كل ما ذكر، متفصلة عنا قبلها ومستأنفة استناثناً بيانياً بتقدير: ما سبب هذا؟ على ما قاله بعض المحققين.

2- يجوز في الوجه الآخر - الذي عد في قوله: (كَذَبَبَ عَالِ فَرْعَوْن) مستناثف في موضوع الخبر لمبدأ محدود، و(وَأَلَدِينٌ مِّنْ قَبْلِهِمْ) معطوفًا على (زَالَ فَرْعَوْن) في محل جر، و(كَذَبَوا) في موضوع الحال - أن تجعل الواو في (وَأَلَدِينٌ مِّنْ قَبْلِهِمْ) على الاستئناف أيضًا فتكون بمبدأ خبره.
(كُدْبُوا)، ولا موضع لهذه الجملة الاستثنائية من الأعراب لكونها إنها ذكرت لشرح حاصل، وبذا يكون الكلام قد تم على (فَرَغَوا) الذي هو مدخل الكاف.

3- كَفْرِوا (الذي في صدر الآية، فتكون هو عامل التصب فيه، والتقدير: دَأَبُ الَّذِين كَفَرُوا كَدَأَبَ آل فَرْغُون أي كعادتهم في الكثير، فلا يوقف والخال هكذا على رأس الآية، وإنما يُعين الوقف على مدخل الكاف في حال ما إذا كان ما بعدها وهو قوله: (وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَفَرُوا)، محمول على الاستثناء.

كَفْرُوا تَعْلَمُوا بِهِ (أَلَّا تَغْنُوْسُونَ أي لن تغنين عن أولئك، وقد تَعْلَمُوا هذين الوجهين - الذي مال إلى أولئك الغراء - وأجاز ثانهما الزَّخْشَرِي - من قَبْلَ أَي حيام للفصل بين العامل والممول بجملة (وَأَلْتَزَمْتُ هُمْ وَقَوْدُ أَنْثَار) وللإلحاح عن الوصول قبل تمام صلته، إذا قدرت جملة (وَأَلْتَزَمْتُ إِلَّا) مغطوفة .. فإن قدرت استثنائية أو اعتراضية - وهو بعيد - جاز.

وأجاز الزَّخْشَرِي في خطوة ربما لتفادي ما يُتَعَبًّب به على الوجهين الآخرين أن "يَنَصِبُ مَعْلَ الكاف - يعني في (كَدْبُوا) - بالوقود، أي: تَوَقُّدُ بِهِمَّ النَّارُ كَأَنْ يَتَوَقَّدَ بِهِمَّ فَرْغُونَ، تقول: (إِنَّ لِلنَّاسِ كَذَٰلِكَ أَبْكَاء) تريد كَذَٰلِكَ أَبْكَاء ومثل ما كان ينظمهم "، وفيه - على حد ما أشار الألودسي فيما تقلبه عنه الحلي - نظر للوقود، (الوقود) على القراءة المشهورة الأظهر فيما أنه اسم لما يوقد به، وإذا كان اسيا فلا عمل له، فإن قيل: إنه مصدر أو على قراءته الحسین، صح .. غير أن هذا الوجه لا يحمل معه الوقف لا على رأس الآية ولا على مدخل (كَدْبُوا) ولا على ما عطف به عليه.

(1) نظر الإملاء للمعجمي ص 132، 134 ومعاني القرآن للشراب/191 والكشف للفعلين/1214 والبحر المحيط لأبي حسان/289 والبحر اللغويز/37 والدر المصون للسمين الخليبي/37/329
(2) تفسير الكشاف/1 414 بصرف بيّر.
ولك أن تتأملُ - يا راعاك الله - كم هي تلك المعايَن التي أفادها الوقف على الكاف ومدخوته وأفادها كذلك البدء بها في تلك الوجه العشرة ... وفيها يشبه التلخيص لما فصل هنا والآجال لما بسط في البدء بكاف الجر مع مدخوته والوقف عليها يقول أبو زكريا الأنصاري: "(وَقُدْ أَلَّا) جائز، إن علق به وب (كَفَّرُوا) (كَفَّدَأْبَ) وكالف إن علق به (كِبْرُوا) بعدها، أو جعل (كَفَّدَأْبَ اَلْفَرْعُونَ) خبر لمبدها محدود ... (كَفَّدَأْبَ اَلْفَرْعُونَ) تام.

إن جعل ما بعده مبتدأ وخير، وليس بوقف إن علق ذلك عليه.

ومفاد ما ذكره في هذا الصدد أن البدء بالكاف ومحرومه إن يجوز إذا تعلقا بها قبلها، ويصل إلى درجة الكافي إن تعلقا بها بعدها ... وأن الوقف عليها يصل إلى درجة التهام إن كان ما بعدهما على الاستنفاذ ويمتعن إن حل ما بعدهما على الطرف.

ولا يفوتنا بعد الإمام والتعرف بها تيسر على هذه الأوجه من الوقف والإعراب وما أسده هذه وتلك من معايي، أن نبه إلى أن السر البلاغي في إثارة الجملة الأسمية في قوله تعالى: (وَأَؤْلَىْكُمْ هُمُ وَقُدْ أَلَّا) هو الدلالة على تحقيق الأمر وتقرره، أو الإذان بأن ذلك هو حققة حاضر وأنهم في حال كونهم في الدنيا وقود النار بأعياهم ... كأن الأصل في كلمة (دَأَبُ) الكذبح، وتكرره وإطالة في النظم الكريم على العادة ومعنى الشان - حتى صارا حقيقة فيه - هو على وثيرة ما جاء في لغة القوم ودرجت عليه ألسنتهم كما في قول النابغة: (كَدَأَبَ إِنَّ أَرَاكَ اصْطَنِعْنِي) أي عادتك، وكوني أمرئ القيس: (كَدَأَبَ إِنَّ أَرَاكَ اصْطَنِعْنِي) أي شانك، ومرأمه في الآية ضرب المثل للكفار لأيهم إذا استقرأوا الأمام التي أصابا العذاذ وجدوا جميعهم قد تمتلءوا في الكفر بالله وبرسله وآياته، وكيفي هذا الاستقراء موعظة لأمثال مشركي العرب.

وخصوص آل فرعون بالذكر - من بين بقية الأمم - وجهة أن هلاكم معلوم عند أهل الكتاب بخلاف هلاك شمود وعاد فهو عند العرب أشهر.

(*) المقصده في المرشد ص 71 وينظر روح المعاي 3/152 مجلد 3.
ولأن تحدي موسى إياهم كان بآيات عظيمة فا أعتهم شيئاً تجاه ضلالهم، ولأنهم كانوا أقرب الأمم عبداً بزمان النبي ﷺ، فهو كقول شعيب: (وما قومُ لَوْ تُصَلِّمُوا بِيَبِيعٍ هَوَىٰ؟) (وإنهم ليسَ سبيل مُقيِمْ...) الحجر/27، وقاله: (وإنْكُ لْتَمْثُرُوا عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ) 48:

أَفَلا تَعَقُّلُونَ... الصافات/138، (1)

ثم إنه - جدته حكمته وتعلتها عظمهما- لما ذكر في سورة الدخان على وجه الإجمال فريقاً مرجونين، قاله واتبعه بالمفتي الثاني فريق أهل التيار وهم المشركين، ووصف بعض أصناف عذابهم وهو مأكلهم وإهاناتهم وتحريتهم فقال مؤكداً لما يكتبون: (إِنَّ الْيَوْمِ الْآخِرِ تُقَدِّبُونَ) طعام الآثيم. قال الله تعالى: يُعَلِّقُونَ في الْيَوْمِ الْآخِرِ 44-46، والسر في مارقة: قوله: (طَعَامُ الْآثِمِ) لقوله: (كَالْمُهْلَكِ) - على ما ورد في طبعنا الصحف العراقي والباكستاني ونص عليه مكي في (نهاية القول المفيد). جواب أن يكون الجار والمجرور في قوله: (كَالْمُهْلَكِ) في محل رفع خبر مبدأ محذوف، والجملة استناداً لي بيان حال الطعام، أي هو كالمهل أو مثل المهل، وجملة: (يَعْلَقُونَ في الْيَوْمِ الْآخِرِ) خبر ثان لذلك المبدأ المحذوف، والفاعل ضمير يعود على طعام أو على المهل نفسه أو على حد ما ذهب أبو البقاء على الزقوم، وقيل: الجملة حال من الضمير المستتر في الكاف فيكون وصفاً للطعام أيضاً أي مشبه المهل غالباً، قال أبو عبيد: هي حال من المهل، وقيل صفة له لأن (أَلِ) في للجنس نحو: ولقد أمر على اللحم مسبباً - يعتبر داخلاً في التشبيه - وجواب أن يكون - أعني الجار والمجرور (كَالْمُهْلَكِ) - خيراً ثانياً لـ (إِرْبَدُ) وجملة (يَعْلَقُونَ في... (2)

(1) ينظر روح المعاني 3/175 وندرود 3/153 وتحرير 3/175 مكتذب. (2) روي في نزول هذه الآيات أنه لما نزل (أَلِ) خير أم شجرة الزقوم. الآيات، دعا أبو جهل وقيل الوليد بن مزون وقيل قائل: تزعموا فإن هذا ما يُفْتَوِّكُم بحمد، فنزل: (إِن شجَرَةُ الزَّقُومُ... الآيات)، وقد كان أهل اليمن يدعون أكل الزبد والتمر: الزقوم، لكن ضعف هذه الرواية وما جاء على شاكلتها، ليس كثيراً والأثري وثانيها.
 آلْبَطُونٍ، حال من الزقوم أو من الطعام أو من ضمير الشجرة المستقر فيه، والتذكر باعتبار كونها طعام الأئم لصدق الاتهام بين المضاف والمضاف إليه، أو لاكتسابها إياه مما أضيف إليه .. وجواز أن تكون جملة (يُغَلِيِّفِیَ فِی آلْبَطُونٍ) مستأثفة خبر مبتدأ مذكور هو ضمير الطعام والزقوم.

وعلى الأول يتم الوقف على قوله: (طَعَامُ الآلِيَّمِيْمِ)، وعلى الثالث يكون الوقف على الجمجر، وعلى الثاني "لَا وَقْفٌ مِن قُوْلِهِ: (إِبْنُ شَجَرَتِ). إلى قوله: (كَاْلْمُهَلٍْ)، فلا يوقف على (الزقوم) لأن خبر (إِبْنُ شَجَرَتِ) لم يأت، ولا على (الآلِيَّمِيْمِ) لأن أحدث كاف التشبيه، يعني التي هي في محل الخبر الثاني، يقول الإمام السجاواني في كتابه علل الوقوف: "(الأليهيم) .. (ج): لأن الجمجر يصلح خبر مبتدأ مذكور، أي (هي كالمهل) عندي الزقوم، لأن (شجرة) هي اسم (إِبْنُ شَجَرَتِ) .. ويثبت أن يكون حالاً عامة معنى التحقيق في (إِبْنُ شَجَرَتِ)، (كَاْلْمُهَلٍْ) (ج) لأن الجملة تصلح خبر مبتدأ أي هي تغلي أو هو يغلي، فيوقف على (المهل) إذا لم يقف على (الأليهيم)."

يبد أن الذي يجب التنبيه له أيا كان موطن الوقفة، أن تشبيه الطعام بعمل يغلي في البطون لا يفيد في وصف شدة الغذاء ما يفيده نسبة الغليان إلى الطعام ذاته.

ذلك "أن غليان الطعام في البطن، فيه مبالغة، أما التشبيه بعمل يغلي في البطن فلا"، يضاف إلى ذلك "أن المهل إنها ذكر لتشبيه في الذوب لا في الغليان، وإنما يغلي ما يشبه به، والمعنى أن ما يأكله أهل النار يتحرك في أجواهم من شدة حارته وتوقفه".

(1) ينظر روح المعاني لللاطفي 1438/1420 وينظر الإملاء للعكيري ص 276 والعدد المصور للحليبي
(2) منار الهذية ص 288
(3) علل القرونا 3/930 بقليه من التصرف
(4) روح المعاني 1438/202
(5) منار الهذية ص 288 وينظر الرازي 146/156
يؤيد هذا ويؤكد كلاً عنهما في معنى المهل:
 умеء ما هو أذيب من ذهب أو فضة أو حديد أو رصاص، يعني ما أذيب منها ومن كل ما في معناء من المعنات كالحديد والنحاس والرصاص وغير ذلك مما يذاب في النحاس عامة إذا أذيب وأزين وإتباع فناءه حرارته وشدت حمه في مشاهدة السود، وفي الحدث أي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم.

كذلك قوله (كَالْمُحْلِي) قال:
(عكر الزيت) ففما يقرب من وجهها سقطت قروة رأسه فيه، وقيل إنه عكر الزيت وأنما ما كان من الذهب والفضة وإنما أذيب منها ومن كل ما في معناء من المعنات كالحديد والنحاس والرصاص وأنه الصديد، وكلها معاي قابلة مدوية لمعنى الذوبان. كاً يؤده أيضاً ما روى عن ابن مسعود من أن ابن عباس أذيب فضة ثم قال: من أراد أن ينظر إلى المهل فلينظر إلى هذا، وقيل سمي مهلاً لأنه يمهد في النار حتى يذوب فيه من المهل بمعنى السكون.

وهذا هو الوجه في جعل قوله: (يَغْلِي فِي الْبَطُونِ) على الاستناد خبراً عن بيئة جذوب يعود على الطعام أو الزقوم، وإنما ينتمي القول بهذا في الوقف على قوله (كَالْمُحْلِي)، فإنه ينتمي بالوقف مع ذلك فيها يشبه جعل (كَالْمُحْلِي) اعتراض - على قوله (مَطْعَامُ الْأَثِيمِ)، لأن في الإخبار عن الزقوم يقوله (يَغْلِي) وهو أمر محقق في كلا الوقفين كما بينا - تحقيقاً لمعنى أن يكون التشبيه بالمهل في الذوبان في الغالب، وإنها يحسم الوقف على قوله (كَالْمُحْلِي) من قراءة (تغل) بالمنة الفوقية لأنهم أمعن في إرجاع الضرير في الفعل إلى الشجرة، والجميلة على هذا خبر يبدا مضمّر أي هي تغلية، في إرجاعه.

1) أخرجه الترمذي(2) 178 في سبعة، والحسن 20، وقال ابن حبان 747، وقال ابن حبان 747، وقال ابن حبان 747.
2) وهو مختصر في المهل وتنوع وقراءة الفنح وتعني النزوة والرق وتمه قوله (كَالْمُحْلِي) رواية، الكلش 123، والحاكم 39، والموضوع 14، وال وخالد المصنون 268، والصرح 8، و 748، و 748.
3) ينظر مدار الهدى للأشموني ص 78، والإملاء للتكبيري 579، وأبو ال سعود 8، والصرح المصنون 78، والصرح المصنون 78.
إليها تفاهم لتشیبیة الطعام بالملح، تحقیق لمعنی المبالغة التي سبق الإشارة إليها،
وإن كان إسناد الغلیان إلى الشجرة محول على المجاز لآن السَّدی يغلي
ثمرها.
وإذا سابق يقول الأشمونی: "(کَأَلْمُمِهِل)" حسن، لم قرأ (تغیی) بالثناء
الفوقیة، وليس بوقف من قرأ (یغیی) بالباء التحتیة لأنه جعل الغلیان للملح،
وإذا هو نظر، لأن المخل إنها ذكر للتشیبیه في الذوب لا في الغلیان وإنها يغلي ما
شبه به .. ".
وإذا ذكره صاحب المنار - وإن ترجح - نظر، لأن التأثیث وإن مثلا قريبة
لعود الضمیر على الشجرة إلا أنه حتى على قراءة الیاه يمكن إرجاع الضمیر إلى
لفظ (الشجرة) الذي اكتسب التذکیر - على ما ذكرنا آنفأ - مما نضيف إليه وهو
الطعام أو الزقوم.
وإنها غر الأشمونی كي يذهب إلى القول بما قال به، أن التذکیر حنی راجع
إلى المخل وهذا ليس بلازرم حتى عند من وقف على (کَأَلْمُمِهِل)، أو ابتدأ بها مع
وقفه عليها، وقل من قال به أو أرجعه إليه .. إذ الغلیان - كا هو معلوم - شدة
تأثیر الشیء بحرارة النار، يقال: على الماء وغلته القدر: إذا فارت وطفحت
بقوة الحرارة، وابتدأ عل ما سبق فوجه الشبه في قوله: (کَأَلْمُمِهِل) في الذوبان
الناشئ من الغلیان، وقيل في سواد لنوه وقیل في بشاعة طعمه، كا أن الوجه في
قوله: (طَعَعْهَا كَأَنَّهَا رَؤُوس أَلْشِيَطِينْ .. الصافات/ ۶۵) كراهیة منظوره، وهو
في قوله: (کَعِلَّ أَلْحَمِیم) في هيئة غلیانها، لكون الحمیم هو الماء الشديد
الحرارة الذي أنتهى غلیانه.
أما الأثیر الیاه ذكره في صورة المشبه، فهو الفاجر المبالغ في اكتساب
الأثیر حتى مرن عليها فصارت به إلى الكفر، والمراذ أن يضطر إلى أكث الزقوم
وإلى شرب الغسین، كما يضطر أهل الدنيا إدخال الطعام والشراب لسد
حاجة الجمیر لديهم، وناھیك عن اضطرار لأکث زقوم أعد لم يستحقه من
أهل النار تستعیر به البطون وتنقطع ممن الأمعاء وتغلي بسیلـه

( ) المنار ص ۲٨٨.
۱۵۸
الأجـهـاف عـليـان الـقـدـر بالطـعـام وـالرجل بـالماء المطاـبـر من شـدة الغليـان.

وفي الخبر عن ابن عباس: (لو أن قـطـرـة من زـقـوم جـهـنـم أـنـزـلـت إـلـى الـدنيا لأفسدت عـلـى الناس معايـشـهـم) .. وـإـنـها عـدلت الأـيـات هـنا إـلـى الإـخـبار عـن شـجـرـة الزـقـوم، وـالظـاهـر يـقـتـضـي الـبـدـع بـمـن يـسـتـأـهـلوـهـا وـيـجـازوـن بـأـكـل ثـاـرـها كـأنـهـا في قوله: (ثـمَّ إِنَّكُمْ أَيُّبَنَيَّ الْمَكْرُونَ) لَكِنْ مِن شَجَرَة مِن زَقُومٍ .. الواقعة/ 51) .. اهتماماً بالإعلام بحال هذه الشجرة بـغـيـة أن تكون حاضرة في أسباب المخاطبين مثيلة شاخصة لأ بصارهم، والنكته في الإخبار عنها بطريقة تعريف الإضافة، هو ما سبق من ذكرها في سورة الواقعة التي نزلت قبل سورة الدخان .. والله تعالى أعلم بمراده.
المبحث الخامس

أثر البدء أو الوقف على الباء و(على)
و(من) و(في) ومدخلاتها في إثراء المعنى
أولاً: البدء بالباء مع مدخوتها والوقف عليها وأثر ذلك في

اتساع المعنى:

تستعمل الباء فيها تستعمل للسبب وتسمى بـ (باء الاتفاق)، كما تستعمل
للاستعانة والقسم.. في دلالة تلك الأداة على تيك المعاني يقول ابن هشام في
المغني: تكون الباء لـ"الاستعانة وهي الداخلة على آلة الفعل نحو: (كتب
بالقالم) (نحرت بالقدوم)،قيل ومنه باء البسملة لأن الفعل لا يتأتى على
الوجه الأكمل إلا بها، و.. السببية نحو: (إِنَّكَمُ ظَلَمْتُمْ أَنفَسَتُكُمْ باِحْيَازِكُمْ
الآجل.. البقرة/ 94)، (فُكِّنَا أَحْدَثَنَا يَدُنَاهُ) .. العنكبوت/ 40، ومنه:
(لقيت بزيد الأسد)، أي بسبب لقائي إياه، وقوله:

قد سُقِيتُ آباهُم بالنار ـ وال NULL
أي أنها بسبب ما وسمته من أسباب أصابها يُحَل بينها وبين الماء، و..
القسم، وهو أصل حرره، ولذلك خصت بجواز ذكر الفعل معه، نحو (أقسم
بِالله لتفعلن)، ودخوتها على الضمير نحو (بك لافعل)، واستعمالها في القسم
الاستحقيقي نحو (بَاللهُ هَل قَامَ زَيدُ) أي أسألك الله مستحلفاً".

وعلى ذلك المعاني جميعها حملت الباء في (بِيَاءَتِينَا) من قول الله تعالى في حق
موسى عليه السلام: (فَالَّذِينَ سَتَّشُدُّونَ عَضْدَكَ مَا يَحْبَسُهُ وَجَعَلُوهُ لَكُمْ سَلَطَنًا
فَلَا يَصُولُ إِلَيْهِمَا بِيَاءَتِينَا أَشَمَّا وَمَمْ أَتِبَعَكُمَا الْخَلِيْفُونَ .. القصص/ 35)، وفي بيان ذلك يقول ابن عاشور:

"قوله: (بِيَاءَتِينَا أَشَمَّا وَمَمْ أَتِبَعَكُمَا الْخَلِيْفُونَ)، بجوز أن يكون
(بِيَاءَتِينَا) متعلقاً بمحدود دل عليه قوله: (إِلَى فَرْعَوْنَ وَمَلِئِيْهِ ..
القصص/ 32) تقدره: اذهبا بآياتنا، على نحو ما قدر في قوله تعالى: (فَيَسْعِى
إِلَى فَرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ ..)، بعد قوله: (وَأَذَّهَّلْ بِذَلِكَ جَبَلَ ..

(المغني لابن هشام/ 106،103 وينظر الصاحبي ص 30 وما بعدهما والبرهان/ 4/ 256.))
بَيْضَاءٍ مِنْ غَيْبٍ سُوَّىٰ... النمل/ ١٢، أي اذهبها في سعى آيات، وقد صرح بذلك في قوله في سورة الشعراء: (قَالُواْ كَلَّاَ فَأَذَهَبْنَا يَقِينًا إِنَّا مَعْكُمْ مُسْتَجِبُونَ... الشعراء/ ١٥) .. ويجوز أن يتعلق بـ (يَجِبُّ لَكُمْ)، أو بـ (سُلَطْنِيَّ) أي سلطانا عليهم بيأيتنا فنسلطنا عليهم بها حتى تكون رهبتهم منكراً من آياتنا لما في ذلك من معنى التسلط والغبرة، ويجوز أن يتعلق بـ (لَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمْ) أي يصرفون عن أذكآم بيآياتتنا ومنعون منهم بها كقول النبي ﷺ: (نصرت بالرعب)."

وكلامه وكذا كلام الآلوي الشهي الذي هو في معنى ما ذكره، واضحان في أنه بحمل البناء على المعاني سالفة الذكر وهي الاستعانة أو السببية يكون الوقف على قوله: (يَقِينًا) .. وإليه الإشارة بقول الآشموني في المتن: "(يَقِينًا) تام، إن علقت (يَقِينًا) بـ (يَصِلُونَ) .. وقيل متعلقة بـ (يَجِبُّ لَكُمْ)، أي ونجل لكما سلطانًا بيآيتنا، وقيل متعلقة بـ (يَصِلُونَ) وهو الشهر .. وضفت قول من قال: إن في الآية تقديباً وتأخراً، وإن التقدير ونجل لكما سلطانًا بيآيتنا فلا يصلون إليكم، لأن ذلك لا يقع في كتاب الله إلا بتوفيق أو بدائل قطعية.

ويوسغ في الجار والجمر في قوله: (يَقِينًا) وعلي حمل ذلك الجار على معنى السببية أيضاً، "أن يكون متعلقاً بقوله: (أَلْغِيَّبُونَ) أي على أن (أَلْ) ليست موصولة، أو موصولة واتسع فيه ما لا يسع في غيره، والمعنى تغلبهم وتقهرهم بيآيتنا التي نؤديها بها، وتقديم الجمر في متعلقه في هذا الوجه للاهتمام بعظمة الآيات التي سيعطفها";

وإذَا يكون البدء بشبه الجملة.

(التحرير/ ٢٠ مجلد/ ٨٠١ بتصريف وينظر روح المعاني/ ٢٠/ ١١٦/ ١١٦/ ١١٥/ ١١٢) (التحرير/ ٢٠ مجلد/ ١١٦ بتصريف وينظر روح المعاني/ ٢٠/ ١١٦/ ١١٥/ ١١٢)
والحق أن إضافة الغلبة إلى الآيات أولى من إضافة عدم الوصول إليها، لأن المراد بالأيات العصا وصفاتها وقد غلبت بها السحرة ولم تنفع عنه رفعون، ومن ثم يكون من الأحسن الوقوف على (ابْلِيْكَمَا) والبدء بالتأتِي ب (بابينيَّتُنا)، كذا ذكره السيوطي ناقلاً إياه عن الشيخ عز الدين وعلمه بها ذكرنا لكن على أن (من) - في قوله (وَمَن أَتَبَعْكُمَا) - ليست موصولة، أو موصولة واسع فيه، والممعن: أنها ومن اتبعها الغالبون بآياتنا، ف (بابينيَّتُنا) داخل في الصلة تبيناً، غير أن هذا غير سديد، لأن النحاة يمنعون التفريق بين الصلة والموصول، لكون الصلة تمام الاسم فكان ك ذلك قدمت بعض الاسم وأنت تبنى التأخير وهذا - على ما أفاده الأعشش وحميد بن جرير - لا يجوز، ومن ثم كان إضافة الغلبة إلى الآيات أولى من إضافة عدم الوصول إليها، وإننا يجوز ما قاله لو كان (بابينيَّتُنا) غير داخل في الصلة.

وأما حذف الوصول وإيقاف صلته عوضًا عنه ودليلًا عليه، نحو (إنَّ اَلْمُصَدِّقَينَ وَالْمُصَدَّقَتَ وَأَفْرَضَوا ٱللَّهَ .. الحديدي /۱۸)، أي والذين أفرضوا الله، فهو سائح كقول الشاعر:

فمن يهجو رسول الله مئَّكَمِ - ويمدح وينصره سواء يريد ومن يمدحه".

أيضاً يجوز الوقوف على (ابْلِيْكَمَا) ثم يبتديئ (بابينيَّتُنا) إن جعل (بابينيَّتُنا) قسية وجوابه (فَلَأَ يَصِلُونَ) مقدماً عليه- نص على ذلك الزمخشري- ورده أبو حيان وقال جواب القسم لا يتقمه ولا تدخله إلا في آية أيضاً، وإن جعل جوابه معذوفاً والتقدير فيه: وحق آياتنا لغلبين، أو من القسم الذي يتوسط الكلام ويقحم فيه لمجر التأكيد لما بأنها الغالبون تثبتُ لغلبهم، فلا يحتاج إلى جواب أصلاً.. جازً.
فيا لعظمته هذا الكتاب الحائز المعجز، الكلام واحد هو لا يتغير ولا يتبدل ولا يزد ولا ينقص، ومع ذلك ويسبب مباديه ووقفاته تعدد وجوهه وتنوع عطائه.

وعلى الوجه كلها فالآيات تشتمل خوارق العادات المشاهدة مثل الآيات التسع، وتشمل المعجزات الخفية كصرف قوم رفعون عن الإقامة على أذاها مع ما لديه من القوة وما هم عليه من العداوة، بحيث لولا الصفة من الله لأهلكوا موسى وأحى.

وحل العبرة من هذا الجزء من القصة، التنبيه إلى أن الرسالة فيض من الله على من اصطفاه من عباده، وأن رسالة محمد ﷺ رسالة موسى جاءته بغتة فنودي محمد في جبل حراء كناودي موسى في جبل الطور، وأنه اعتراه من الخوف مثل ما اعتري موسى وأن الله ثبته كثب موسى، وأن الله يكفيه أعداءه كا كفى موسى أعداءه.

وإذا أراد بشد عضده الرطب والتقوية له بأخيه، ذلك أن من شأن العامل بعض إذا أراد أن يعمل به عملًا متعبًا للعضو، أن يربط عليه لنلا يتفكك أو يعتريه كسر، وما هو على العكس من ذلك قولهم: فَتَ فِي عضده فجعل الأخ هنا بمثله الرباط الذي يشد به، والمراد: أنه يؤديه بفصاحته، فتعليقه بالشد ملفحم باب المجاز العقلي.

ويجوز أن يخرج على المجاز المرسل فيكون من إطلاق السبب على النسبب بأن يكون الأصل مستفويك به ثم تقويك وشد عضدك سببه، أو هو كتابة تلوجية عن تقويته لأن اليد تشد بشدة العضد وهو ما بين المرفق إلى الكتف والجملة تشد بشدة اليد على مزاولة الأمور، أو هو خارج مخرج الاستعارة التمثيلة فقد يشده حال موسى عليه السلام في تقويته بأيما في حال اليد في تقويتهها بشد شديد ولا يبعد أن يكون ذلك تمثيلًا خال إيضاح حجمه بحال من يزيد تقوية من يزيد عملاً عظيماً أن يشد على يده وهو التأييد الذي شاع فيمعنى الإعانة والإمداد، إلا فالتآييد أيضًا مشتق من اليد.

(1) التحرير 20/118 مجلد 10.
(2) ينظر التحرير 20/117 مجلد 11 وروح المعاني 20/116 مجلد 11.

٤٦١
وأما هو لتصب الصلة في استعمال حرف اليم للقسم وإساغة البدء بها مع مدحها، غير أن فيه شيئاً من التكلف.. ما ذكره أهل العلم في قول الله تعالى:

(وأَذَىَ قَالُ لَقَمْنِ لاَ بِهِ، وَهُوَ يَعْطِهِ، بِنِعْمَتِهِ لاَ تَشْرَكُ بَيْنَا إِرْبَ الأَشْرَكِ لَتَظْلِمَ عَظِيمً) لقان/۱۳۳، فقد "أُغْرِبَ مِنْ وَقْفٍ عَلَىٰ (لاَ تَشْرَكُ) وَجَعِلَ (بِاللَّهِ) قَسِيًّا وَجِوَابِ (إِرْبَ الأَشْرَكِ).

ووجه الغرابة في ذلك أنهم قالوا إن الأقسام في القرآن المحذوفة الفعل لا تكون إلا بالواو، فإن ذكرت اليم أي بالفعل.. قاله في الإتفاق، ونص عبارته: "قال ابن الجزري: ليس كل ما يتعصف بعض المعرين أو يتكلف بعض القراء أو يتناول بعض أهل الأهواء مما يقتضي وقفاً أو إبداء، ينفي أن يُعمَّد الوقف عليه، بل ينغي تعري المعنى الأثم والوقف الأوجر وذلك نحو الوقف على .. (نَمَ لَجَابُوكَ مِثْلَ فُؤَدٍ)، ويتبدئ (بِاللَّهِ إِرْبَ الأَشْرَكِ لَتَظْلِمَ عَظِيمً) لقان/۱۱۳ على معنى القسم .. ونحو: (فَلَأَ جُنُحَ)، ويتبدئ (عَلَيْهِ أن يُضَوَّكَ .. البقرة/۱۵۸) فكلا تعصف وتحمل وتخريج لكلمة عن مواضع أهـ.

وفي بيان ما يحمله الوقف على النحو السابق في آية النساء من معاني التعصف والتكلم، يؤكَّد الأشموني على عدم تحديد الوقف يقول: "لا وقف على (مَثْلَ فُؤَدٍ)، وتعصف ووقف على (مَثْلَ فُؤَدٍ) وجعل بالله قسياً .. و(إِرْبَ الأَشْرَكِ) جواب القسم و(إِنْ) نافية بمعنى (ما)، أي ما أردنا في العدول عنك عند التحكك إلا إحساناً وتوفيقاً، وليس شيء لشدة تعلقه بها بعده، ولأن الأقسام المحذوفة في القرآن لا تكون إلا بالواو، فإذا ذكرت اليم أتي بالفعل كقوله: (وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ .. الأعام/۱۰۹، النحل/۳۸، النور/۵۳، فاطر/۴۲) أي يُقِلَوْن بِاللَّهِ، ولا تقدر الباء مع حذف الفعل أبداً، ومعتمد أن الباء متعلقة بـ (مَثْلَ فُؤَدٍ) وليس باء القسم".

(1) الإتفاق ص ۱۱۳ والمدار ص ۲۰۳.
(2) المدار ص ۱۰۲.
وما هو من هذا يسبب ولا يخلو كذلك من تكلف أو من حمل على وجه بعيد، ما جاء في قول الله تعالى: (وَإِذْ قَالَ اِلَّاهُ يَعُبُّدُونَ ابْنَ مَرْيَمَ ۚ أَنْ تَقُلُّ لِلنَّاسِ أَخْرَجُونَ وَأَمْيَثُ إِلَهَيْنِ ۛ مِنْ دُونِ اللَّهِ ۛ قَالَ سَيْحَنَّا كَمَا يُكُونُ لَنَ أُقْوِلُ مَا لَيْسَ لِي بَيْحَقُ إِنْ كَتَبْ قُلْتُهُ ۗ فَقَدْ عَلِمَتْهُ ۗ ۙ المائدة/۱۴۱)، وما قبل من مراقبة قوله تعالى: (ۗ مَا يُكُونُ لِي أَنْ أُقْوِلُ مَا لَيْسَ لِي) لقوله: (بَيْحَقُ)...

وهذا هو وجه بعد في البداية بقوله: (بَيْحَقُ) - لا يستعمل كأga صح سنده عن أي همزة قال: (لَن يُعْلَى عَلَى الظَّلَةِ وَالسَّلَامِ حَجِتهُ) ۖ وقَالَ اللَّهُ ۗ قَالَ: (بَيْعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ۚ أَنْ تَقُلُّ لِلنَّاسِ أَخْرَجُونَ وَأَمْيَثُ إِلَهَيْنِ ۛ مِنْ دُونِ اللَّهِ ۛ) ۚ قَالَ أَبُو هَمْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: (سَيْحَنَّا كَمَا يُكُونُ لِي أَنْ أُقْوِلُ مَا لَيْسَ لِي بَيْحَقُ) ۖ سِبَحَانَكُمُ اسْتَنْبِي لَكُمْ أَن يَقَالُ هَذَا أَوْ يُنْتَقِهَا)...
(بِحَقِّكُو) ويبدتون بـ (إن كنت فلتنه)، وهذا مروي عن رسول الله ﷺ فوجب اتباعه.

فإنك واجب ما اكتشف البدء بقوله: (بِحَقِّكُو) من تكلف ومن تقدر بعد لا يخلو من كدر وإن لم يكن مخلًا في حقية الأمر بالمعنى، وهذا بالطبع يتبع معه أن يكون قوله (لَيْسَ) خبرًا لـ (لَيْسَ) .. وإلا وعلى ما اشتهر من أمر الوقف على (بِحَقِّكُو)، فيصح فيها أن تكون "في موضع الحال من الضمير في الجار - لـ - والعامل فيه الجار، ويُجوز أن يكون (بِحَقِّكُو) مفعولاً به تقديره: ما ليس يثبت لي بسبب حق، لتعلق الباء بالفعل المحدود لا بنفس الجار لأن المعاني لا تعمل في المفعول به، ويُجوز أن يجعل (بِحَقِّكُو) خبر (لَيْسَ) ، (لَيْسَ) صفة (بِحَقِّكُو) خبر (لَيْسَ) - (لَيْسَ) - (لَيْسَ) - (لَيْسَ) بين كي في قولهم: سقاؤه ورعيًا، ويُجوز أن يكون (بِحَقِّكُو) خبر (لَيْسَ) - (لَيْسَ) - (لَيْسَ) - (لَيْسَ) كله عليه فصار حالًا، وهذا يخرج على قول من أجل تقديم حال المجرور عليه"، كما يصح الوقف على (بِحَقِّكُو) ويسوغ، إن جعلت الباء فيها زائدة، وتعلقت (لِي) بنفس (بِحَقِّكُو) لكونها والحال هذا بمعنى مستحق، والمعنى: ما يكون لي أن أقول ما ليس مستحقًا لي؟

ونظيره في التخريج على وجه، لكن - وعلى نحو ما أفادته كلمة أهل العلم - أقل في البدا، ما جاء في قول الله تعالى في حق بني إسرائيل: (وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرَّجُوٰحُ قَالُواُ يَمْتَمُسْيَ أَدْعَوُنَّ لَنَا رَبُّكَ بِمَا عَهَدَ عَهْدَكَ لَيْسَ كَشَفَتْ عَنْهَا الرَّجُوٰحُ الَّذِينَ لَمْ يُرِدْنَ مَعَكَ نَبِيًّا إِمَّامًا) الأعراف (134). .. ذلك أن ما استنكره ابن الجزري والأشموني بشدة من مراقبة قوله تعالى: (أَذَاعَ لَنَا رَبُّكَ) لقوله على جهة الإقسام: (بِمَا عَهَدَ عَهْدَكَ)، أجزاه - ربا على وجه بعيد - كل من الآلوسي والعكبري وجعله وكذا من لف لفهما وجهًا...

---

(1) الدر المصون للسمين 4/ 513.
(2) الإبلاغ للعكبري ص 240 ونظير روح المعاني 7/ 95 ، ودر المصون 4/ 513.
(3) نظير الدر المصون للسمين 4/ 513.
آخر يمكن حِلِ المعنى عليه .. وَيْدًا يَكُونُنَّ وَمِن قَبْلِهَا الزَّهْجِرِيَّ وَمِن قَالِ بِكُلِّهِدَةٍ جَدِيدًا أَسْبِغَ عَلَى المعنى ثَرَا وَأَمَّكَهُ مِنِّّ الحَلِ النُّظَمِ في الآيَةِ عَلَى الالتِّسَاعِ.

فَبَعْدَ أن ذَكَرَ الْأَلْوَسِيُّ ما أَشْتِرَ مِن تَعُلُقِ الجَارِ وَالْمَجِرُورِ بِالْفَعْلِ (أَذَاعُ،)
وجَعَلِ التَّقْدِيرَ فِي الآيَةِ عَلَى معْنِيٍّ: (اَذَاعَ الله تعالى مَتَوْسِلًا بِهِ عَهْدُ عِنْدَكَ،) أَوْ
على حد ما جاء في عبارة أيّ البقاء (اَذَاعَ الله تعالى مَتَوْسِلًا بِهِ عَهْدُ عِنْدَكَ،) أَوْ
لحَيَاكَتْ. رَاح يَقُولُ: "وَبِحَيَاكَتِكَ إِنْ كَذَا، فَلَمْ يَذْكُرُ بِعِلَامَةٍ عَلَى السَّلَامِ لَن يَدْعُو، وَأَنَّهَا يَبْعَثُ أَيْ الْبَاءَ-
لَلْقَسْمِ الحَقِيْقِيَّ وَجَوَابَهُ، وَيَنْبِهُ وَلَى ذَكِر فَعْلِ الْعَكْبَرِيَّ، كَيْ عَرَجَ الزَّهْجِرِيَّ
عَلَى هَذِينَ الْوَجُوهَينَ بِقَوْلِهِ:
"وَالْبَاءَ إِنْ أَنْ تَعْلِقَ بِقَوْلِهِ (أَذَاعَ لَّتَأْ رَكِّعَ) عَلَى وَجْهِهِنَّ: أَحْدَهَا أَسْفُغْنَا
إِلَى مَا نُظَلِّبٌ إِلَىٰ مِن الدَّعَاءِ لَنَا بِحَقٍّ مَا عِنْدَكَ مِن عِهْدِ اللهِ وَكَراَتِهِ بِالْبَنْوَةٍ، أَوْ
أَذَاعُ لَّهَا مَتَوْسِلًا إِلَى بِعِهْدِ عِنْدَكَ، وَإِنَّما هوَ قَبْسٌ مَّجَابًا بِهِ (أَذَاعُ لَّتَأْ رَكِّعَ،) أَيَّ
أَقْسَمْنَا بِعِهْدِ اللهِ عِنْدَكَ لَنْ نَكِفْتُ عَلَى الرَّجُزِ لَنْ تَمُّنُنَّ لَكَ" .. وَيَفْدِكَ كَلَّامَهُ
جَوَازِ الْوَقْفِ عَلَى (بَحْقِ) عَلَى وَجَهٍ وَمَعْنِيَ، وَجَوَازِ الْبَدِّ بَا عَلَى وَجَهٍ وَمَعْنِيَ
مَغَابِر.

وَفِي خِيَ بَيْنِهِ أَعْنَى الْأَلْوَسِيُّ أَوْبَا الْبَقَاءْ جَرِيْأً عَلَى مَا ذَكَرَهُ مِن سَبِيبِهَا
مِن أَهْلِ الْعَلَمِ ذَلِكَ الْأَخْرَجُ وَجَهَةٌ سَائِغٌ مِنْ دُونِ بَاسُ، نَلْحَظُ فِي مَقْوَلَةِ
الْآشَمْوَيْنَيْ مَا يَثْمِنُ عَنْ شَدَّةِ الْإِنكارِ إِذْ تَقُولُ عِبَارَتِهِ: "مَنْ وَقَفَ عَلَى (أَذَاعُ لَّتَأْ رَكِّعَ،)
وَابْتَداً (بِمَا عَهْدُ عِنْدَكَ) وَجَعَلَ الْبَاءَ حَرَفَ قَسْمٍ، فَقَدْ تَعْسَفَ وَأَخْلَطَا، لَنَّ يَبْعَثُ الْبَاءَ قَسْمًا لَا يُحَذِّفُ مَعَهَا الفَعْلُ، بَلْ مَتِّى ذَكَرَت الْبَاءَ لا بدٌ مِنْ
الْإِنْيَانِ بَنَفْعِهَا بَنَفْعِ الْوَاٰلِ.".

---

(1) روح المعاني للألوسي 9/54 مكتبة 6 وينظر إملاء ما من به الرحمن للعكبري ص 290 والدر المصنف 5/435
(2) الكشف 109/108
(3) الكشف 150/109
(4) مناهج الأدب للألوسي 171/168
ويتقدرني أن الأمر أهون من ذلك بكثر - ولاسيما مع وجود فعل الشرط وصحة المعنى في عد جمله جواباً على ما أفادته عبارة الزمخشري - وإن كان من الأفضل حيل معنى القرآن على أحسن الوجه وأبلغها.

ثانيا: البدء بـ (علي) مع مدخوله والوقف عليها وآخر ذلك

في اتساع المعنى:

سبق أن أحثت إلى ما جاء في عبارتي السيوطي والأسموني من تمل يصل لحد تحرير الكلم عن مواضيعه، يكتشف الوقوف على كلمة (جناح) من قول الله تعالى في سورة البقرة: (إِنَّ الْقَصَّةَ وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَارَيْنِ اللَّهُ قَمَّحَ حَجُّ الْبَيْتِ أَوْ أَعْتَمَّ فَلَا جُناحٌ) والابتداء من ثم بقوله: (عليه أن يطوفوك .. البقرة/58)، والتأمل في سياق النظم يلبس نفسه صداق ذلك، وفي تجلية ما شاب هذا الوقف من تكلف .. وفي بيان ما اتباع من تعسف جراء البدء بـ (عليه) في الآية الكريمة، يكشف صاحب المدارس الحق عن وجه ذلك ويوضح أن "من وقف على (جَناح) وابتدأ (عليه أن يطوفوك بهمًا) لبدل على أن السعي بين الصفاء والروعة واجب، فـ (عليه)، إغراء! أي: يلزم المتوفر، وإقراء الغائبين ضعيف والفصل إغراء المخاطب"، "والجد - على ما ارتأه أبو البقاء هنا وفي محاولة منه للبعد عن هذا الحمل الضعيف ومن ثم إساغة البدء بشبه الجملة - أن يكون (عليه) في هذا الوجه خيراً، وأن (يَطَوَّفَكَ) متبذاً، وخير (لا) على أي من هذين الوجهين المرجحين محدود قدره أبو البقاء بقوله: لا جناح في الحج.

وفي محاولة منه للبعد عن هذا الحمل الضعيف ومن ثم إساغة البدء بشبه الجملة، مع الاستناد - فيها ترجح من الوقوف على (يهمه) - بمناسبة

---

(1) ف (إن يطوفك) في ملح نصب كقولك: (عليك زياد) أي الزمن، وحكى سفويه وضعه (عليه رجلاً ليس) قال: وهو شاذ .. ينظر الدر المصنون 2/189 والكتاب لسبيويه 1/126 والإملاء للعكسري ص 77.
(2) الإملاء ص 77 والمنار ص 52 بصرف يسير، وينظر الدر المصنون 2/189.
النزول، يُقول الأشموني: "يروي أن المسلمين امتعنا من الطواف بالبيت لأجل الأصنام التي كانت حوله للمشركين، فأنزل الله هذه الآية: أي فلا إثم عليه في الطواف في هذه الحالة، وقيل: إن الصفا والمروة كanes آدميين فزينا في جوف الكعبة فمسخا، فكَّر المسلمون الطواف بها، فأنزل الله الرخصة في ذلك.

وقد أصاب الأشموني بها ذكره كبد الحقيقة، وبخاصة أن كلمة (جُنَاح) ما جاءت في آي القرآن إلا مرونة بالنفي ووصوله بحرف الجر (على) ومرتبطة بها، وأن الظاهر في شبه الجملة (عليه) أن يكون خبرا لـ (6)، و(أن يطفوّفوا) في تأويل مصدر مرفوع بالبنداء، والمعنى: فمن حج البيت أو اعترض طوافه بها لا جناح عليه.. وعلى جعل المعنى: فلا جناح عليه في أن يطوف بها، فجملة (أن يطفوّفوا): في موضوع الجر بـ (في)، أو النصب على تقدير حذفها، أي فليلزم طوافه بها، ولعل هذا ما عناه الخليبي بقوله: "أصله: (في أن يطوفوا)، فحذف حرف الجر، فيه، في محلها:قوله: النصب أو الجر، والوقف على هذا الوجه على قوله:

(يهيم)".

لكن فات صاحب المنار القول بأن الصنيق اللذين مسخا بعد فعلتها تلك الشعاع وتخرج المسلمين بسبيلها، واجلها من الطواف بين الصفا والمروة كانا - على ما ترجح لدى بعض المفسرين - أساساً ونائلة، وقد وضعها المشركون على أعلى جبل الصفا والمروة للتعظيم بدلاً من أن يجعلوها عرفة من يعتبر، يقول الشعبي في تفصيل ذلك: "كان أساف على الصفا وكانت نائلة على المروة، وكانوا يستلمونها فتجدروا بعد الإسلام من الطواف بينها فنزلت هذه الآية)، وكان محمد بن إسحاق قد ذكر في كتاب السيرة أن أساف ونائلة كانا شريكين، فزينا داخل الكعبة فمسخا حجرين فنصبتها قيال جنابة الكعبة ليعتبر بها الناس، فلما طال عهدهما عيداً ثم حولا إلى الصفا والمروة

((النار ص 52.
(الدر الصون للسنين الحليبي 2/185.
170
فنصبا هنالك، فكان من طاف بالصفا والمروة يستلمها"، والله في خلقه شنو؟!!

وأما ينبغي، فلا يفوتنا هو التنويه إلى أن ما أبصروا من تعسف في البدء بالحرف (علي) مع ما بعده في آية الفقرة، لا يستلزم أن يكون كذلك دوماً وفيما يصح الحمل عليه، إذا العمرة في ذلك باستقامة المعنى وإفادة السياق.

ومما جاء في شأن قصة فتاتي شعيب الورد ذكرها في سورة القصص وتحديدًا في قول الله تعالى: (فَجَاءَهُ عِندَ نُوحًا) تَمْسِكَ عَلَى أَسْتَحْيَاءٍ قَالَتْ إِبْنُ أَبِي يَدْعُوُكَ لِيِتَّجَزَّكَ أَجْرًا مَا سَقِيتْ لَنَا. العنصص (25)، خبر شاهد على هذا، إذ المعروف والمشهر هو تعلق شبة الجملة: (على استحيا بالفعل (تمثلي) الذي هو حال من فاعل (ياءات)، أو تعلقه بمحدود هو حال من ضمير (تمثلي) والمعنى والتقدير: جاءته مشابهة كائنة على استحيا، وهذا يعني أنها كانت على استحيا حاليته المشي والمليء معاً لا عند المحيط فقط، وأفاد التكرار (استحيا) التفخيم، وقد أفاد هذا التكرار في حد ذاته أنها كانت في مشيها وجبتها متحفزة وغير متكلفة في شدة حياتها، أو على ما ورد عن عمرو ابن الخطاب رضي الله عنه: (ستترة بكم درعا علها ووجهها)، وهذا كله يستلزم الوقف على شبه الجملة والبدء - من ثم - بقوله تعالى على لسانها.

(قالت) إنَّ أَبِي يَدْعُوُكَ لِيِتَّجَزَّكَ أَجْرًا مَا سَقِيتْ لَنَا، والأخيرة بهذا استثناف بياني يطلق عليه علها البلاغة شبه كايا الاتصال لكون جملة القول مبنية على سؤال نشأ من حكايتهما إياً عليه السلام، كأنه قيل: فإذا قالت له عليه السلام؟ فقيل: (قالت) إنَّ أَبِي يَدْعُوُكَ لِيِتَّجَزَّكَ أَجْرًا مَا سَقِيتْ لَنَا، وهذا كلام لا يعبث شيء.

لكن ما الذي يمنع معه أن يتعلق الجار والمجرور (على استحيا) بالفعل بعدها: (قالت) ليكون البدء بها والوقف - من ثم - على ما قبلها أعني على

(1) تفسير ابن كثير 1993
(2) طريق إلى 1970-11-12
171
قوله تعالى: (جهلته إحداهما تسمى)، ولتكون المعنى: بعد مجيئها ووصوله إليه عليه السلام، قالت له على استحيا (إِنِّي أَبْيَدُ عَوْكَ لِيْجِرْعُ بُكَ أَجْرُ ما سَقِيتَ لنا)، ولايشمل حاولها - بذلك - القول، إضافة إلى المشي والمجيء، فتكون بهذا قد حازت الفضل بكامله والأدب بتناه، وليس ثمة تعارض بين المعنیين على ما زعم، إذ النهي في جميع شرائع الأنباء يشمل إلى جوار التبخير والفتح في مشي النساء بخاصة، على ما أفاده قول الله تعالى: (ولَا يَضْرِبِنَّ يَأْرُجُّهُنَّ لِيَعْلَمُوا مَا خَفَّفْنِي مِن زِينَتِهِنَّ .. النور/31) الخنوع والخضوع بالقول أيضاً، على ما أفاده كذلك يقول الله تعالى: (فَلا تَخْضَعِنَّ لِلْقُولِ فِي ذَلِكَ الْمَيْلِ، فَوَلَّى فَوْلاً مُّعَرِّفًا). (الاجزاء/32) وهذا "نقله السجاوندي من بعضهم، ولهه جعل قوله: (على استحيا) حالاً مقدماً من (قالت)، أي قالت مستحبة لأنها كانت تدعوه لضيافتها، وما كانت تدرِّي أنيبها أم لا؟، وهو وقف جيد"، كما قاله الأشموني وإبن عده غربياً.

وفي صحة البدء بحرف الاستعلاء الدال على المصاحبة في قول الله تعالى: (وَلْتُقْدِرْ أَرْسِلْنَا مِن قَبْلِكَ رَسُولاً إِلَى قُوَّمِهِمْ فَجَاهَوْهُمْ بِلَيْسَتْ فَأَلْبِينَت فَأَلْبِينْتُمَا) من الذين أجرموا، (وَكَانَ حَقَّاً عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ .. الروم/47)، يشير الأشموني إلى أن الرقم على المدة (خفأ) جائر، إذ المعنى مع ذلك: "وكان الانتقام منهم حناء، فاسم (كَانَ) مضموراً (خفأ) خبره، ثم تبديء (عليهما نصر المؤمنين) ف (نصير) مبتدأ (عليهما) خبره". ولازم قوله، إساحة البدء بشبه الجملة (عليهما) وجواز حمل المعنى في الآية على ذلك، ورجع اسم (كَانَ) إلى ضمير الانتقام هو علي حد قول الله تعالى: (آَعْدَلْتَ هُوَ أَقْرَبُ).

(1) معلام١، ١٣٠ مبتدأ، ٣٠ مبتدأ مع الروح والإبدل للتيح خلل المهم، ١٨٢ - ربي ص. ٢٨٣.
(2) المدار ص. ٣٠١.
هُوَ تَعْمَلَ وَإِنْ كَانَ لَهُ وَجَاهَتُ وَلِيْسُ فِي مَحْذُورٍ مِنْ حَيْثُ الْمَعْنَى بِلِِّجَب
الْعَوْلَ عَلَيْهِ أَحْيَانًا فَبِرَدِ عَدْاَيٍ أَهْلِ الْاعْتِزَالِ، إِلَّا أَنْ غَيْرَ لَا وَلَاءٌ وَلَا مَانِعٌ مِن
الْقُولُ بَأَنَّ الأُوْلِيِّ عَلَى الْجَارِ وَمُدْخُولُهُ بِتَحْقِيقُهُ جَرِيَّانًا عَلَى الْبَارِيِّ الْمُؤْدِي
بَلْ لِبِنَ آبِي حَاتِمِ وَالْطَّرَابِيَّ، وَأَبِي مَرْدُوُهُ عَنْ آبِي الْدَرْدَاء قَالَ: سَمَعْتُ رُسُولَ اللَّهُ ﷺ
قَالَ: (مَا مِنْ أَمْرِ مَسْلِمٍ يُرْدَ عِنْ عَرْضِ أَخِي إِلَّا كَانَ حَقًا عَلَى اللَّهِ تَعَالَ أَنْ يُرْدَ عَنْهُ نَارَ جَهْنٍ بِعَمَّ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ تَلاَ عَلَى الصَّلَاةِ وَالْسَلَامَ قَوْلِ اللَّهِ ﷺ تَعَالَ: (وَكَأَرْبَى حَقًا عَلَى أَصْحَابِ الْمُؤْمِنِينَ)، فِي هَذِه
إِشْعَارُ بَأَنَّ (حَقًا) خَبَرَ (كَأَرْبَى) وَ(تَصَادُرُ الْمُؤْمِنِينَ) الْإِسْمُ كَا هُوَ الْبَارِيُّ، وَإِنْ أُخَرُ الْإِسْمُ لَكَوْنَ ما تَعْلَى بِفَاصِلَةٍ وَلَلاَهْتَاِم بِبَالْخِرِ إِذْ هُوَ مُحَّطَّ الْفَائِدَةِ
عَلَى مَا فِي الْبَحْرِ، وَمَا ذُكِرَ ثَمَّ فِي هَذَا الصَّدِيدِ هُوَ مَا يَسْتَنَازُهُ عَدْمُ الْوَقْفِ عَلَى
(حَقًا) وَلَا الْبَدْءِ حِينَ ذَاكِ بِشِيْبِ الْجَمِلَةِ.
وَفِي شَانِ ذَلِكُ يُقُولُ صَاحِبُ الْمَنَارِ: "لَوْسِيَ بَوْقَةٌ إِنْ جُعِلَ (تَصَادُرُ) اسْمُ
(كَأَرْبَى) وَ(حَقًا) خَبَرًا وَ(عَلِينًا) مُتَعْلِقُ بِتَحْقِيقِهِ، وَالْتَقْدِيرُ: وَكَانَ نَصْرُ
الْمُؤْمِنِينَ حَقًا عَلَيْنَا، قَالَ آبِي حَاتِمٍ: وَهَذَا أَوْجَهُ مِنْ الأُولِيِّ لَوْجِهِنَّ، أَحْدَهُمَا:
أَنْ لَهُ نَجَاحٌ إِلَى تَقْدِيرِ مَحْذُوفٍ، وَالثَّانِي: مِنْ حَيْثُ الْمَعْنَى، وَذَلِكَ أَنْ الْوَقْفِ عَلَى
(حَقًا) يُوجِبُ الْإِنْتِقَامَ وَيُوجِبُ نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ" وَهُوَ كَلاً لَهُ دَلَالَةً، بِعَضْدُ
من شأنه ما ذكره ابن عطية في تفسيره لـهل ينفه وقف ضعيف، "ولأنه لم يذكر قلما عرضا في نظم الآية"، في إشارة إلى ضرورة أن يكون للضمير في اسم (كان) المقدر مرجع واضح يعود إليه.

ثالثًا: البدء بـ (من) مع مدخوته والوقف عليها وأثر ذلك.

في أتساع المعنى:
وتؤتي (من) فيها تأي للتحليل، ولا تحجم أن ذكر المفعول بالفاعل من ذكره بلا علة وذلك لوجهين:
أولهما: أن العلة المنسوب عليها فاضية بعموم المفعول، وهذا اعترضت الظاهرة بالقياس في العلة المنسوبة.
ثانيهما: أن النموذج يتعبث إلى نقل الأحكام المعبرة بخلاف غيرها.

وأما هو بين في ذلك ما جاء في قول الله تعالى في شأن قابيل: (فجعل ابن الله: نفسه، فقتل أخيه فقتله، فاصبح من أحسن وينبجع في الأرض قبره). فإذ يوجر سوته أخرى قال يناله أحبزته أن يكون مثلاً فهذا الغراب فأورى سوته أخرى فاصبح من أشود. من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل أنهم من قتل نفساً يغتير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً ومئة أحياء فكأنما أحياء أئمة الناس جميعاً (المائدة: 30: 32)، وقد ذهب فريق إلى أن الوقف على من أجل ذلك والبدء بها هو من قبيل المراقة على التضاد، وفي بيان ذلك يقول صاحب منار الهداي: "من أشود (ومن أجل ذلك) وقفاً جائزان.

１٧٤(１) المحرر الوحيض ١٢٨/ ٩١
(٢) بنظر البرهان ٣/ ٩١
والوقوف إذا تقارب يوقف على أصحابه ولا يجمع بينها، وتعلق (من أجل ذلِك) يصلح بقوله: (فاصِبِينَ) ويصلح بقوله: (مَكَتِبَانِ) وأصحابها (الإنّديميين)، وإن تعلق (من أجل ذلِك) بـ (مَكَتِبَانِ) أي من أجل قض قابل أخاه كتبنا على بني إسرائيل، فلا يوقف على الصلاة دون الفصل، قال أبو البقاء:

لأنه لا يحسن الابتداء بـ (مَكَتِبَانِ) هنا، ويجوه تعلقة به قبل أن فأصبح نادماً يسب قتله أخاه وهو الأولى، أو يسبب حله لأنه لم قتله ووضعه في جراب وحمله أربعين يوماً حتى أروح، فبعث الله غرابين فاقتلاً فقتل أحدها الآخر ثم حفر بمقتله ورجله مكاناً ولقاه فيه وقابل ينظر، فندمه من أجل أنه لم يواره، أظهر .. لكن يعارضه خبر (الندم توبة)؛ إذ لم ندم على قتله لكان توبة (والتي من الذنب كمن لا ذنب له)، فندمه إنها كان على حله لا على قتله، كذا أجاب الحسين بن الفضل لما سأله عبد الله بن طاهر والي خراسان ..

وحتئذ فالوقف على (الإنّديميين) هو المختار، والوقف على (الإنّديميين) تام، وذلك "بناء على أن المشهور من جعل (من أجل ذلِك) متعلقاً بـ (مَكَتِبَانِ)."

كما لا يفوتنا التذكير بأن (الإنّديميين) رأس آية، وربما كان هذا سبيلاً في جعل تعليق (من أجل ذلِك) يا بعده هو المختار أو على الأقل - إضافة لما ذكرت - أحد أسبابه، "فإن علق به قتله- وهو ظاهر ما روي عن نافع فالوقف عليه، أي فأصبح نادماً من أجل قضه أخاه".

(1) آخر جرح ابن ماجة: 254، وإياب، حيدر، 414، 123، 377، 378، 413، 428، 438، 439، 440، 441.
(2) آخر جرح ابن ماجة بسنده ضيف 254، والبيهقي في الشعب 5/389، 438، والطبراني في الكبير 10/22، 426، 427.
(3) مسأله مهدى ص 119 وينظر إملاء ما من به الرحمن ص 221.
(4) المقصد لنأخذ ما في المرشد لأبي زكريا الأنصاري ص 119.

175
وكلامها- أعني الأشموني وأبا البقاء- واضح في إساغة الوقف على (من أجل ذلٍّ ذلك) وفي البدء به، يبد أن المرجح لديهما هو البدء به ليكون علة لما بعده مقدما عليه، وذلك خلافاً لما جنح إليه الزركشي الندي أوجب السوقف على (الأنديميين) وخطأً من قال بخلاف ذلك.. فقد جزم بأن قوله (من أجل) "تلبيع الكتب، وعلى هذا فيجب الوقف على (من الأنديميين)، يقول:

"وظن قوم أنه تطيل لقوله: (من الأنديميين) أي من أجل قضائه لأخيه، وهو غلط لأنه يشفص صحة النظم وينقل بالفائدة".. والحق أن الأمر لا يصل إلى هذا الحد، وأنه أيا كان البعد أو الوقف على الجار والمحروم أفاد معنى غير الذي فيضده الآخر، وفي ذلك - بتكذيري - من الشراء والانساع حمل الأمر في الآية على أكثر من وجه ما لا يخفى، وإلا فلا الذي جمله على أن يبحث ويجهده في أن يواري سوءه ابنه إلا شعوره بالحسرة والندم؟!

وأما ترجح لدي جهور أهل العلم يفرض سؤالاً مسؤداً، كيف يكون قتل أحد إبني آدم للآخر علة للحكم على أمة أخرى بذلك الحكم؟ وإذا كان علة فكيف كان قتل نفس واحدة بمثلة قاتل الناس كله؟"، والجاب: "إن الله سبعه يفعل أفظيته وأقدره علما لأسبابه الشرعية وأمره، فجعل - هنا- حكمه الكوني القدر على حكمته أمره الدنيي، لأن القتل لم كان من أجل أنواع الظلم والفساد فعجم أمره وعظم شأنه وجعل إلهه أعظم من إله غيره، ونزل قاتل النفس الواحدة منزلة قاتل الأنفس كلها في أصل العذاب لا في وصفه".

وفي توضيح ما ذكروا يقول الطاهر ابن عاشور: "المقصود من ذلك التشبيه تهويل القتل، وليس المقصود أنه قد قتل الناس جميعاً، ألا ترى أنه قابل للعفو من خصوص أولئك الدم دون بقية الناس".

( ) البرهان 3/ 98
( ) السابق.
( ) التحرير 4/187 مجلد 4

176
على أن قوله (فَأَصْحَبَ مِنَ الْبَيْنِينَ) أدل على تمكن الندامة من نفسه، من أن يقال (نادمًا) الذي يقتضيه الظاهر، لدلالة الفعل النمس في مثل هذا الاستعمال على رسخ معنى الخبر في اسمه، وذلك كا في قوله تعالى عن إبليس: (وَكَانَ مِنَ الْكَفَّارِينَ .. البقرة/ ٣٤)، وقوله عن أبي البشرية إثر نبه تعالى لها عن الأكل من الشجرة: (فَنَكُونَا مِنَ الْظَّائِمِينَ .. البقرة/ ٣٥) .. والابتداء الذي استعملت له (مـ) على ترجيح القول بالبدء بها، مجازي .. إذ شبه سبب الشيء بابتداء صدوره، وهو مثار قولهم: إن من معاني (مـ)

التعليم، فإن كثرة دخولها على كلمة (أَجْل) أحدث فيها هذا المعنى، وإنما اختبرت هنا بدلًا عن اللمام لكونها الأقوى في الدلالة على أن هذه الواقعة كانت هي السبب في تهويل أمر القتل وإظهار مثالبه .. وفي ذكر اسم الإشارة (ذاً إِلَّا)، قصد استيعاب جميع المذكور.

وإذا " خص بني إسرائيل بالذكرى - وقد قدمتهم أمم قبلهم كان قتل النفس فيه محظورًا - لأنهم أول أمة نزل الوعد عليهم في قتل النفس مكتوًباً وكان قبل ذلك قولاً مطلقاً، فغُلظ الأمر على بني إسرائيل بالكتاب بحسب طغيانهم وسفكهم الدماء"، كما ذكره القرطبي في تأويله للآية.

ومهما يكن من أمر فالمقصود من الأخبار بما كتب على بني إسرائيل بيان للمسلمين أن حكم القصاص شرع سالف ومراد الله قديم، إذ في معرفة تاريخ الشرائع تبصره للمتفقين وتطمئن لمنسوخ المخاطبين وإزالة لما عسي أن يعترض من الشبه في أحكام خفيت مصالحها كمشروعة القصاص، فإنما قد يبدو لأنظار القاضية أنه مداواة لمثل البداء المتداوي منه، حتى دعا ذلك الاشتباك بعض الأمم إلى إيطال حكم القصاص وهي غلة دقة سلكها، فقد جلبت النفس على حب البقاء وعلى حب إرضاء القوة الغليظة، فإذا علم عند الغضب أنه إذا قتل فجراها القتل ارتدع، وإذا طمع في أن يكون الجراء دون القتل أقدم على إرضاء قوته الغليظة ثم علل نفسه بأن ما دون القصاص يمكن الصبر عليه والتفادي منه، وقد كثر ذلك عند العرب وشعاب في أقوامهم

(1) تفسير القرطبي ٣/٢٤٤٢ وينظر في التحرير للطاره ٦/١٧٦ مجلد ٤، ١٧٧
وأعماهم، لذا جاء قوله تعالى: (ولكم في أهلِ الخاصَّة حيْوةً يَتَأَوَّلي...
الآثابُ... البقرة/١٧٩).

ومعنى التشبيه في قوله (فَصَاءَما قُتِلَ أئِناسَ جُمِيعًا)، حيث جميع الأئمة على تعقب قاتل النفس وأخذه أيضًا ثغث والانتعاش عن إيوائه أو السُّتر عليه كل حسب مقتدرته ويقدر بسطة يده في الأرض.

ولك أن تجعل المقصود من التشبيه، توجيه حكم القصاص وحقيقة أنه منظر فيه لحق المقتول بحيث لو تمكن لما رضي إلا بجزء قاتله لمثل جرحه، فلا يعجِب أحد حينذاك من حكم القصاص قائلًا: كيف نصلح العالم بمثل ما فقد به وكيف نداوي الداء بداء آخر، فبين لم أن قاتل النفس عند ولي المقتول كأن أُقَتِل الناس جميعًا، ومن الهم بالاستنذاف والذب عنها فكأنها أَحْيَا الناس جميعًا.

وعلن غرار ما صح من تتعلق الجار والمجروح يكفيه ويا بعده في قوله فيها مضى (من أجل ذلك). فقد صح تعلقه في قوله تعالى: (من أَذِلالٍ) من الآية الكريم في حق المشركين: (وكأنهم يُعَرْضُون علَيهم خَنشيعين) منْ أَذِلالْ يَنْظُرُونَ من طَرفِ خفَى... (الشورى/٤٥) بوا سبقها وبا حلقها، فقد "اختلف في قوله: (من أَذِلال) إذا أُعَلَقْ، فإن عُلِق بـ (خَنشيعين) كأنى قلت: (من الذل خاشعين)، كان الوزف على (من أَذِلال) وإن علته بـ (يَنْظُرُونَ) كأنى قلت: من الذل ينظرون، كان الوزف على (خَنشيعين) ثم بدئ (من أَذِلال يَنْظُرُونَ)، "وهو على التقديرين كاف".

بِدِينَ الأول - على حد ما ذكر الألوسي- أظهر، وتعلقه بها ظهر وترجم
يُغَيَّ ن وتعلقه بـ (يَنْظُرُونَ) ويفيد ما لا يفده تعليقه به، و(من) في قوله:
ينظرون شرّاً إلى من جاء عن غرْضٍ، وأوجوه منكريات الرقّ أحراً.
وقول جرير:

فغض الطرف إنك من نمير، فلا كعبا يبلغ ولا كلاماً.
ويطلق الطرف ويراد به عل ما هو الأصل فيه، تحريك جفني العين، ويطلق
وبراد به العضو وهو العين كا هنا فيكون من باب تسمية الشيء بفعله، ولذا لا
يثنى ولا يجمع، ومنه قوله تعالى: (لا يزدادون إلاهم طرفهم) (إبراهيم/ 43).

وصفه في هذه الآية بـ (خفی) بمعنى أن إذا أريده هنا حركة العين، فهو من
هول ما يكون من العذاب ينظرون نظراً حفياً أشبه ما يكون بمسارقة النظر لا
حدها فيه، كما أنهم للروع الذي يصيبهم من هذا العذاب يجمعون عن
مشاهدته، ويعثثهم ما في الإنسان من حب الاطلاع على أن يتطوعوا لما يساقون
إلي كحال الحارث الخائف من يتبعة، فتراه يمنع في الجري ويلتفت وراوه
العينة بعد الينفة ليتفرّح هل اقترب منه الذي يجري وراءه، وهو في النتائج إلى
تلك المكانه ولكونه منكس الرأس لا يقدر أن يفتح أجناه عليهم ويملأ
عينيه منها كما يفعل من نظره إلى المحاب، لكن حب الاطلاع مع كل ذلك
يغالبه

(1) والمقصود من ذكر هذه الحالة في الآية الكريمة تصوير مآهم وحالاتهم الفظيعة وعلى هذا الأخير لا
وقف على أيّ حمل الكلام بعضاً يغرض.
وصحِف مفعول (يَ تخَرُونَ) للتعيم لصحة كل المعنى على (ينظرون
العذاب) و (ينظرون أهوال الحشر) و (ينظرون نعيم المؤمنين)، فيهم ينظرون إلى
كل ذلك نظراً منبئاً من حركة الجفن الخفية، ف (من) مع قوله (من طرَف
حرقي) للإيذاء المجازي، أو هي ومعنى البناء والتقدير: ينظرون بطرف ضعيف
منكسر من الذل والخوف.

والنكتة في بناء الفعل (يُعرَضُونَ) في صدر الآية للمجهول، الإيدان بأن
المقصود حصول الفعل لا تعيين فاعله، والذين يعربون الكافرين على النار
هم الملائكة كما دلت عليه آيات أخرى، والضمير في (علَّهَ) عائد إلى
الأعداب بتأويل أنه النار لكونها عذابهم، أو جهنم المعلومة من المقام. ولا يرد
أن الخنوع محمود فكيف يكون مظهراً من مظاهر الذل والهانية، لأنه يطلق
ويراد به النظام وآثار انكسار النفس من استسلام واستكانة، فيكون للمخافة
والهانية والطاعة ولهجرة عن المقاومة، ومراده في هذه الآية ما يبدو عليهم
من أثر المذلة والمخافة. وإنها افاده ودل عليه قوله بعد: (من الّذِّي)،
احتراراً - كأن لمحتنا - عن الخنوع المحمود و "لأنهم عرفوا إذ ذلك ذئبوهم
واكتشفوا لهم عظمة من عصوه".

رابعًا: البدء بـ (في) مع مدحها والوقوف عليها وأثر ذلك

في إتباع المعنى:

وفي قول الله تعالى: (كُلُّ نَفْسٍ يَكْسِبُ رَهْيَةً * إلَّا أَصْحَبُ الْيَلِيمِينِ
في جَنَّتِي نَضْسَأَلُونَ عَنِ الْمُجَرَّمِينَ * مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقْرٍ .. المدثَر

(1) نظر التحرير 25/127 و 25/78 مجلد 12 و روح العلاوي
(2) نظم الدرر 6/42
(3) في أول سورة البقرة: (ذئ قبل الكتاب لا ريب فيه) حيث رأقب قول الله تعالى: (لا ريب) قوله بعد:
(فيه) كان نسما صولة وجولة بعيد الوقوف على بعض أسرار هذا الموضوع من وقوع التفعيل، وذلك في
بحث لنا آخر بعنوان (من بلاغة الوقوف في القرآن الكريم)، والوضع - كما هو موضح - له دخل في هذا

180
ولازم ذلك جواز الوقف على قوله: (في جَنْتٍ) والبدء من ثم بـ (يَتَسَاءَلُونَ)، والبدء كذلك بشبه الجملة والوقف على رأس الآية قبلها، وفي إشارة لافتة لما يحمله ذلك من معان ثرية يقول أبو البقاء العكربي: "قوله تعالى: (في جَنْتٍ) يجوز أن يكون حالاً من (أُصْحَبَ الْيَمِينِ)، وأن يكون حالاً من الضمير في (يَتَسَاءَلُونَ)".

وتعني عبارته تلك المرحة أنه حيث ساغ الوقف على (في جَنْتٍ) حسن جعلها حالاً من (أُصْحَبَ الْيَمِينِ) ليتم وصل الحال بصاحبه الذي تقدم، و حيث ساغ البدء بقوله: (في جَنْتٍ) يحسن لنفس العلة السابقة أن يكون شبه الجملة حالاً من الضمير في قوله (يَتَسَاءَلُونَ) الذي تأخر عليه، حيث التعلق اللغظي.

وفي إملاءة لترجمه هذا الأخير يقول الأشموني: "(زهينة) الأولى وصله بها بعده، (أُصْحَبَ الْيَمِينِ) تام ورأس آية أيضاً، ثم تبدئ (في جَنْتٍ)، فالاستثناء متصل إذ المراد به المسلمون المخلصون، أو منقطع والمراد بهم الأطفال أو المليئة".

وبيفاد ما ذكره أن الذي حدا بجل أهل العلم لأن يقولوا بترجمة البدء بـ (في جَنْتٍ) ويجعلونه الأولى لديهم، ما بين المستثنى والمستثنى منه أيضاً من تعلق لفظي أيضاً ما كان نوع الاستثناء، وكذا كون ما قبله رأس آية، إذ ذلك - على نحو ما سبق ذكره - ما أطلق عليه علاء الوقف وأسموه بوقف السنة.

البند، لكن نظراً لعالجته سلفاً فقد وجب التنويه إلى أن ذكره في البحث المشار إليه آنفاً يغني عن تكرار القول فيه ثانية.

(1) إمارة ما من يه الرحمن ص ٥٦٩.
(2) المثار ص ٤٠٩.
ولا يخفى ما في هذا وذاك من بلاغة يتسع لها المعنى ويوظفها السياق.
ويتناغم معها نظام الذكر الحكيم، ولتفصيل ذلك نقول: لن جاز عند البدء بـ (يَبْسَأَئُونَ) أن يكون التفاعل من الجانبين، بل لا يكون المراد بالتساؤل أن يسأل أصحاب اليمين بعضهم بعضاً عما كان عليه كل واحد منهم سائلاً ومستوراً عنه، فتخرج من ثم صيغة التفاعل عا ووضعت له في الأصل من دلالة على صدور الفعل عن المبتدئ ووقوعه عليه معاً بحيث يكون كل واحد من ذلك فاعلاً مفعولاً معاً كما في قولك: (تشائم القوم) أي شتم كل واحد منهم الآخر، فيكون معنى الآية على ذلك: يسألون المجربين عن أحوالهم وعن سبب حصولهم في سقر، فغير إلى ما في النظم الخليل وقيل (يَبْسَأَئُونَ). ففي البدء يا تراجع صبح أن يجعل شبه الجملة (في جنَّتِهِ) خبر مبدأ مذود، وأن يكون التدوين للتعظيم، والجملة استئناف بيان لمضمون جملة الاستثناء وقع جواباً عن سؤال أمله ما سبقه من استثناء أصحاب اليمين، كأنه قيل: ما بالهم؟ فقيل: هم في جنات لا يكتمن كنهها ولا يدرك وصفها، وهذا وجه آخر يمكن حمل المعنى عليه إضافة لما سبق ذكره من جعل شبه الجملة حالاً من الضمير المتاخر عنه في (يَبْسَأَئُونَ) وإنا قد جملت هذه للاعتناء وأيضاً لرعاية الفاصلة، وجوز بعضهم أن يكون شبه الجملة على ما ترجع من هذا الوقف نظرًا للتساؤل، (يَبْسَأَئُونَ) هي الحال من (أَكْحَبَ أَلِيمِيْنِ) .. غير أن الوقف حينذاك - حيث التعلق اللفظي - يكون حسناً.

والقول بـ "الوقف على قوله: (وَهوَ أَلِيمٌ فِي الْسَمُوَاتِ)، والابتداء (وًفِي
الْأَرْضِ يَعْلَمُ أَنَّكَ وَجَهَرْكَ) .. الأعماج/ 3) .. تعني وتفسف لا فائدة فيه
فينيغي تجبه لأنه محض تقليد، وعلم العقل لا يعمل به إلا إذا وافق النقل" - وهو ما ذكره ابن الجزري في النشر ونقله عنه صاحب التغر الباسم وصاحب نهاية القول المفيد .. وكذا التعليل لذلك بـ "أنه سبحانه معجز في السماوات

(1) بنظر الكشف/ 943 وروح المكي/ 247 مجلد 16 والدر الصوتي/ 105/ 55
(2) بنظر نهاية القول المفيد لشيخ محمد مكي ص 172 171.
وفي الأرض وعلم ما في السماوات والأرض فلا اختصاص لإحدى الصفتين
بأحد الظروف"، فيه نظر.
ذلك أن العلة المذكورة التي نص عليها أبو البقاء العكربي والتي يسوغ
معها حمل قوله تعالى:

(بعلتمي يزكركم وجزركم) على الاستثناء، والوقوف من ثمّ على قوله: (وفي
الأرض) لكونه سبحانه المعبود فيها، أو لأن الجسر والمجروح فيها
"متعتقل بالكون المستفاد من جملة القصص - أو بما في (أفحذة
ليله) من معنى الانفراد بالله، كما يقول من تريد جوادا ثمّ يقول: هو حاتم
في العرب، وهذا لقصد التنصيص على أنه لا يشاركه أحد في صفاته في
الكائنات كلها". ليست بآنسة من جواز الوقوف على قوله (في سماوته)
لكون ذلك الوقوف تفق مع القواعد الكلية للقرآن والحديث ولتعد أهل
السنة والجماعة وليس كا ادعى ابن الجزي من اصتدامه مع عقل أو نقل،
فقد تضافرت كلمة سلف الأمة الصالح على أن تعالى بذاته في السموات،
وبعده فيها.
وأما جاء من أقوافهم المعضة لهذا قول شيخ الحنبلاة الإمام الراهم أبو عبد
الله بن بطة في كتابه (الإباني) تحت عنوان: (باب الإيابان بأن الله على عرشه بائن
من خلقه وعلمه نحيه بخلقته) فيها نصه:

"أجمع المسلمون من الصحابة والتابعين أن الله على عرشه فوق سماواته
بائن من خلقه، فأما قوله: (وهو مطلكة.. الحديث/5) فهو كا قالت العلماء:
علمه".

---
(1) إملاء ما من به الرحمن للعكربي ص ٢٤٢.
(2) والكلام حينئذ من التشبيه البليغ أو كتابة على رأي من لا يشترط جواز المعنى الأصلي أو استعارة
تمثيلية بأن شهيت الحالة التي حصلت من إحاطة علمه سبحانه وتعالى بالسموات والأرض وبا فيها
بحالة قصر فكان في مكان نظره وما فيه، والجائز بينهما حضور ذلك عهد، وجوز أن يكون مجازا مرسلاً
باستعماله في لازم معناه" كما ذكره الألؤسي.
(3) التحرير/٧٢/١٣٣ جلد 4 وينظر وجه الماني/٧ /١٢٩ جلد ٥.
(4) الإباني لأبن بطة ٢٠٥ وينظر ٢٣٨ كا ينظر العلم للذهبي ص ١٧٠.
وهذا ما حفز الإمام الحافظ شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي تُ ٧٤٨ هـ وذلك في كتابه (العلم للعلي الغفار) وفي معرض نقله لما ورد عن أبي الحسن على بن مهدي تلميذ الإمام أبي الحسن الأشعري، لأن يقول: "إن قيل: فما تقولون في قوله: (وَأَمْيَلُونَ ۖ مِنْ فِي ٱلسَّمَآءِ.. الملک/١٦)?قيل له: معنى ذلك أنه فوق السماة على العرش كأن قال: (فَسِيمْحَا ۖ فِي ٱلْأَرْضِ.. التوبة/٢) أي على الأرض، وقال: (وَلَا صِيِّبَتْ ۖ مِنْ ٱلْجَوْعِ ٱلْنَّخِلٍ طَه/٧١). فإن قيل:

فإذا تقولن في قوله: (وَهُوَ ٱللهُ ۖ فِي ٱلسَّمَآءِ وَفِي ٱلْأَرْضِ؟)قيل له: إن بعض القراء يجعل الوقف في (ٱلسَّمَآءِ) ثم يبتدئ (فِي ٱلْأَرْضِ ۖ يَعْلَمُ)، وكيفما كان فلو أن قاتلا قال: فلان بالشام والعراق ملك، لدل على أن ملكه بالشام والعراق، لا أن ذاته فيها.

فقد وضح من خلال ما نقلناه عن خيرة أهل العلم، صحة قول القائلين بجوز الوقف قوله: (وَفِي ٱلْأَرْضِ) وصحة البداء بها، بل وأن في البدء بها ترسخ لما انعقد عليه إجماع الأمة وانعقدت عليه قلوبهم. هذا وفي إعراب السباق الكريم في هذه الآية المحكمة أقوال عديدة لم يتعلق بإعراب شبه الجملة فيها، وقد اقتصرنا من ذلك على ما اخترته الحديث هنا وحقق منه المراد من إساغة البدء بما قوله عز من قائل: (وَفِي ٱلْأَرْضِ) والوقف عليه، ووقفنا ما أضيفه ذلك من مثاب في المعني بل واتساع في إجماع الفائدة.

وقد أغرب الأشموني حين ذكر أن ضمن ما يمكن عمل المعني عليه يدخل في أوجه الإعراوة ويسجنه معه الوقف عل (وَهُوَ ٱللهُ) ضمير عائد على (الله) وما بعده خبره، وجعل قوله: (فِي ٱلسَّمَآءِ وَفِي ٱلْأَرْضِ) متعلقا بـ (يَعْلَمُ)، أي يعلم سركم وجه كرم في السماوات وفي الأرض، لأن عبارته موجهة ومشتقة منها القول بإمكان أنه سيحانه في السياق.

(1) المصدر للذهبي ص ١٦٩.
(2) المدار ص ١٢٧.
وعلمه مع استوائه على عرشه بكل مكان وهو ما استمر عليه معتقد أهل السنة، ولكون الخطيّاب في الآية موجهاً لبني البشر القاطنين في الأرض لا في السماوات، للهم إلا إذا وسع الدائرة وعمم الخطاب فجعله بحيث يشمل الملائكة... ولكن يعكر عليه حتى على القول بالشمول أن في ذلك من التعسف والخروج على يفتيضه ظاهر السياق وفوائد المناسبة والارتباط ما لا يخفّ. كم لا صحة لقياسه هذه الآية على قوله تعالى: (أَلْيَدَّ بَيْنَ يَدَيْنِ آدمَ نَزَّلَ عَلَىً عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَهُ جَعَلَ لَهُ عَوجَاءً ۚ فَأَيُّهَا ۚ الكَهْفُ/ ۱ ، ۲) على تقدير: أنزل على عبده الكتاب قياً ولم يجعل له عوجاً، لاختلاف أمر التقديم والتأخير فيها بينه ولوجده الفارق إذ يستقيح المعنى معه في آية الكهف ولا يستقيح في آية الأئام كما أوضحتا... ولازم قول الأشموني عدم البدء أو الوقف على قوله: (وَفِي الْأَرْضِ) لتعلمه – وكذا قوله (فِي الْكُُفُوْنَاتِ) - بالفعل الذي وليها، كما تشير إلى ذلك عبارته بأنه "ليس بوقف - يعني على (وَهُوَ أَلْلَهُ) - إن جعلت الجملة - يعني جملة (يعلم) - خبراً ثانياً أو جعلت هي الخبر و(آللَّه) بدل، أو جعل ضمير هو ضمير الشأّن وما بعده مبدياً وخبره يعلم".

وقد فطن الظاهر ابن عاشور لبعض ما أخذت هذا على الأشموني، وأوضح أنه "لا يجوز تعليق (فِي الْكُُفُوْنَاتِ وَفِي الْأَرْضِ) بالفعل في قوله (يَعْلَمُ سَرَّكُمْ وَجَهَرَكُمْ) لأن سر الناس وجههم وكسبهم حاصل في الأرض خاصة دون السماوات، فمن قدر ذلك فقد أخطأ خطأ خفياً"، ومن ثم صبح له أن يجعل قوله: (يَعْلَمُ سَرَّكُمْ وَجَهَرَكُمْ) جملة مفردة لمعنى جملة (وَهُوَ أَلْلَهُ)؛ وأن يجعل بالتالي لم ذهب إليه بقوله: "وذلك فصلت لأنه تنزل منها منزلة التوكيد لأن انفراده بالألف في السماوات وفي الأرض ما يفتيض عليه بأحوال الموجودات الأرضية"، لكن ذلك يكون بالطبع لدى الوقف على (وَفِي الْأَرْضِ) وهو كما سلف أحد الوقفين السابقين.

---

(1) الممار ص 128 وينظر البحر المحيط في تفسير الآية.
(2) التحرير 7/ 133 مجلد 4.

١٨٥
والنكتة في "ذكر السر" - في كل ما تم تقريره - أن علمه دليل عموم العلم، وفي ذكر الجهر استيعاب نوعي الأقوال، والمراد بـ (ما تكسيبون) في قوله بعد: (ويعلُمُ ما تكسيبون) جميع الاعتقادات والأفعال من خبر وشر، فهو تعريض بالوعيد والوعيد، وتخصص ذلك بالذكر مع اندراجه فيما تقدم على تقدير تعميم السر والجهر، لإظهار كمال الاعتنه به لأنه مدار ذلك الجزء، وهو السر في إعادة (يعلُمُ)، وعلى التغيير بين المتعاطفين يكون العلم هنا عبارة عن جزائه وإيقائه على معناه المتباادر إلى الذهن.

الخطاب في الآية جميع الساعمين فيدخل فيه الكافرون من باب أول لكونهم المقصود الأول من هذا الخطاب لأنه بالنسبة إليهم تعليم وإيقاظ، كما يدخل فيه أيضاً المؤمنون لأنه لم تذكره"، وذلك بعض ما يكتنف سياق الآية من نكات بلاغية، وإنما الحديث عن تفصيل ذلك لا يقف عند حسب هذا الكتاب أن يشير إلى ضرورة أن تكون وجود البلاغة حاضرة في أذهان أرباب الوقف حتى يجيئ من ذلك ثمرة التدبر التي بها يثال المؤمن ثوابه من سباع أو قراءة كتاب الله العزيز على النحو المأمول، وأن يشير إلى أن معرفة ذلك لازم لمواضع هذا اللون من الوقف على وجه أخص.

**********

(*) نظر السابق ونظر روح المعنى 7/132 مجلد 5.

١٨٦
الخاتمة

هكذا ندرك من خلال هذه الصور التي سنجت بتحليلها والوقوف على بعض أسرارها الوقت والمقام وهي في مجموعة غيّر من فيض وقليل من كثير .. ندرك ما حققه المعايّنة بحق من تمام الأتساع اللغوي ومن نهاية البلاغة وكبال الإعجاز ومن غاية الاختصار وجال الإعجاز، وكيف عد كل وقف استلزمته واقضيته تلك المعايّنة بمثابة الآية، وأن لم جعلت دائرة كل وقف على حدة لكان في ذلك من التطويل والإطاب ما لا يغنى.

وأما ينبغي التنبيه له - بعد أن انتبه لنا واحد من عالم النروى في المعيّن، ولن من ألوان اللعذاب في الأداء- أن ننشر إلى أن تساو ألواناً وصوراً أخرى من وقوف التعلق تصب في الإطار نفسه، وأن تكب الألوان وصوره تحتاج إلى أن تكشف عنها في مستقبل الأيام بهيئة الله إن كان في العمر بقية وعذاعة أن يأخذ .. وما ذلك إلا سعيًا في استكشاف هذا العمل الجليل وأملًا في إبراز المزيد مما زخر به كتاب الله تعالى من كنوز وأسرار ذات المعنى الفيض بكل معاني الحسن والبهاء، والترني بجميع آيات الشرف والسنة.

وليس ذلك بالشأن العجيب ولا بالأمر الغريب على هذا الكتاب العزيز الذي أشبه النظم وليس بالنظم وضاهي النثر وليس نثر، فأخذ - لأجل أسلوبه الفريد ذلك - بالألباب وجلب في صفه القلوب وجذب إليها العقول .. والذو فتح بابًا جديداً في الأسلوب البيناني والحطامي الفصيح هشت له النفوس وطرطب منه القلوب وطابت به الأرواح .. في ذات الوقت الذي فتح بابًا جديداً في المعنى والتفكير الإنساني إذ أشعث في النفس بعد خيود، وأحيا في القلوب بعد جود، وحرك في الصدر بعد ركود، روح العقل والمعرفة وحياها، ودبل الإنسانية التي طالما نسبت العلم وغذت الطرف عن التفكير على آفاق واسعة في شتي علوم الحياة الضرورية ومعارفها، فوضع بذلك الحجر الأساسي للغلالبية العظمى لما نراه وتعجب منه من العلوم الفنية والإجتماعيّة، بالإضافة إلى ما تضمنته آيات ذلك الكتاب المجيد من العلوم الرياضية والمعارف الإنسانية والمعلومات التاريخية القوية، فكانت له أبد الطول فيها وصلت إليه البشرية اليوم من الحضارة والمدنية .. بل في ذات الوقت الذي
فتح باباً جديداً في جذب القلوب والعقلين فيها أتى به في مجالات الخير والبر والحق وكرامة الإنسان وحريته، وفي مناحي السياسة والاقتصاد والأخلاق والتنظيم الدولي والأمري والإسلامي والدبلوماسي، فقد حقق هذا الكتاب الخالد في كل هذه المجالات التي أثبت جلها أو أحمه بالاستناد والاستغلال والجهالة وغير ذلك من الأسباب نجاحاً مدهشاً، فأحياها في تربة صادقة طيبة وسماها بإله العقيدة الحقة، فأتت أكلها في زمن غير بعيد وخرج الإنسان من زنازن الظلم والجهل والاستياباد إلى فضيحة الدنيا الحريات والحقوق والعلم والعرفان.

وما لا شك فيه أن هذا الأسلوب الذي جمع فيه جمع كل هذه المزايا والقطائف والمحاسن لهذه الأفكار، ومزياته التي تميزه عن الآخرين، والتي يأتيه على تأسيسه - على ما هو منتظه في نموذج هذا البحث - المميز التكبيري الذي يجمعه تركيبه قلياً تجمع في أية مادة كلامية أخرى غير التركيب القرآني، كما يأتي على رأس هذه الخصائص التكبيرية - على حد ما جاء في عبارات محمد خليل في مقدمة كتابه نداء المعني في القرآن الكريم - امتلاك التنزيل بأسلوبه البديع، العناية البالغ في التلفظ والثراء الزائد في المعني إذ يؤدي كثيراً من المعاني بقليل من اللفظ من ناحية، ومنصوب من ناحية أخرى - التركيب القرآني في شكل يدبر بحيث تصلح النقطة الواعدة أو الجملة الواحدة في المجل الواحد لأكثر من معنى، وهذا من غير شك يعني القرآن غنى زائداً في باب الإفادة والإجادة.

ويقى القول بأن الأمر يحتاج إلى مزيد من الاستقصاء والتعريف على مواطن التفاقم وصوله ومقاماته، ومزيد من الدراسات الجادة المتعمقة التي تكشف عن أسراره ومواطن إعجازه، وتقدم من ثم على أوجه بيانه ولباغته، والله نسأل أن يجعلنا أهلاً لتحقيق ذلك أو شيء منه، أو أن يقبض من يقوم بهذه المهام الجسمان، وهو سيباحه الموافق والحاكم إلى سواء السبيل. وأخير دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.
أهمية مراجع البحث

1) الإتقان في علوم القرآن جلال الدين السيوطي، دار مصر للطباعة.
2) إعراب القرآن لأبي جعفر أحمد بن محمد بن إسحاق النحاس، تحقيق د. زهير نجاري، ط لجنة التراث الإسلامي بالعراق 1977.
3) أمالي السهيلي لأبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله الأندلسي، تحقيق إبراهيم البنا، ط دار السعادة.
4) إملاء ما من به الرحمن لأبي البقاء عبد الله بن الحسين العكبري، دار الفكر المصرية 1993.
5) إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل لأبي بكر محمد بن القاسم الأباري، تحقيق محيي الدين عبد الرحمن، من مطبوعات جمع اللغة بدمشق.
6) البحر المحيط لأبي حيان، مطبعة النصر الحديث بالرياض.
7) البرهاين في علوم القرآن لعبد الدين محمد عبد الله الزركشي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الجليل بيروت 1988.
8) بصائر ذوى التميز في طائف القرآن العزيز للفيروزبادي ت عبد الحليم الطحاوي، ط المجلس الأعلى سنة 1421.
9) البيان في غريب القرآن لأبي اليرقات بن الأباري ت طه عبد الحميد، ط ط 4 دار الكاتب للطباعة سنة 1389.
10) تسهيل الفوائد وتكمل المقاصد لأبي مالك محمد كامل بركات ط وزارة الثقافة لسنة 1387.
11) تفسير التحرير والتحوير للطاهر بن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع.
12) تفسير أبي السعود لأبي السعود محمد بن محمد العبادي، دار إحياء التراث العربي بيروت ط 2، 1990.
(١٤) تفسير القرآن العظيم لعيد الدين أبي الفداء إسحاق بن كثير مكتبة
مصر بالفجالة.

(١٥) تفسير القرطبي الجامع لأحكام القرآن لشمس الدين أبي عبد الله محمد
بن أحمد القرطبي ط١٣٩٠ دار الجغر العربي ١٩٨٩.

(١٦) جامع البيان في تفسير القرآن لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، دار
المعربة بيروت ١٩٩٢.

(١٧) الجنى الداني في حروف المعاني للحسن بن قاسم المراوي ت فخ
الذين قباوة ومحمد نديم فاضل ط١١٣١ دار الكتب العلمية بيروت سنة
١٤٢٣.

(١٨) حاشية الشهاب لشهاب الدين أحمد بن محمد الخفاجي على تحقيق عبد
الرزاق المهدي ط١ دار الكتب العلمية بيروت ١٩٨٦.

(١٩) خصائص التعبير القرآني وسياصه البلاغية. عبد العظيم المطعني ط١
سنة ١٤٢٣. دار وهبة.

(٢٠) الدرس المضون في علم 글 الكتاب المكتون لأحمد بن يوسف المروي
بالسنين الخلبي تحقيق د أحمد الخراط، دار القلم دمشق ١٩٨٦.

(٢١) دراسات لأصول القرآن الكريم د محمد عبد الخالق عضيمة ط١
لسنة ١٣٩٢ مطبعة دار السعادة.

(٢٢) رصيف المبايني في شرح حروف المعاني لأحمد بن عبد النور المالقي ت
أحمد محمد الخراط من مطبوعات جمع اللغة بدمشق سنة
١٣٩٥.

(٢٣) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثنى لأبي الفضل شهاب
السيد محمود الأولوي دار الفكر ١٩٩٧.

(٢٤) شرح جمل الزجاجي لأبي عصفور الأشبيلي ت. صاحب أبو جناح,
ط لجنة إحياء التراث وزارعة الأوقاف العراقية.

(٢٥) شرح الرضي على الكافية ت يوسف حسن عمر لسنة
١٣٩٨.

(٢٦) شرح طبيعة النشر والقراءات العشر لأبي القاسم النوري ت
عبد الفتاح السيد سليمان ط لجنة إحياء التراث بمجمع البحوث بالأزهر.

١٩٠
27 شرح (كلا) و(بلى) (نعم) والوقف على كلّ في كتاب الله لأبي محمد مكي بن أبي طالب القبيسي ت أحمد سيد فرحات، ط دار الترات بيروت سنة 1983.

28 الصاحبي في فقه اللغة العربية وسنن العرب في كلامها لابن فارس ت.

29 السيد أحمد صقر طهيبة العامة لقصور الثقافة سنة 2002.

30 علل الوقوف لابن عبد الله محمد بن طيفور السجاوندي تحقيق د. محمد عبد الله العبدي مكتبة الرشد بالرياض ط 1 1994.

31 кредات أي التنزيل لزين الدين محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي تحقيق إبراهيم عطوة عوض، على مجلة الأزهر.


33 قضايا التركيب في لغة العرب د. محمد عبد الحميد سعد ط 1 سنة 1999.

34 الكافية في النحو لابن الحاجب بشرح الاستربادي، ط دار الكتب العلمية بيروت.

35 الكتاب لسيوته ت. عبد السلام هارون ط مكتبة الحائج سنة 1412.

36 الكشف عن حقيق التنزيل وعيون الأقوال في وجه التأويل لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشي، ط دار الفكر ط 1 1997.

37 لسان العرب لابن المنظور، ط دار المعارف.

38 المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن محمد عبد الخالق بن غالب بن عطية الأندلسي تحقيق المجمع العلمي بفاس توزيع مكتبة ابن تيمية 1992.

39 معالم الامتداء إلى معرفة الوقف والابتداء لمحمد خليل المصري ط الشمرلي.

191
٤٠) معاني القرآن لأبي زكريا يحيى بن زياد الفراء، تحقيق أحمد يوسف نجاني ومحمد على النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب ط٢، ١٩٨٠.

٤١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج أبو إسحاق بن السري تحقيق د. عبد الجليل شلبي. ط١ عالم الكتب بيروت ١٩٨٨.

٤٢) مغني اللبیب لجمال الدين بن هشام الأنصاري، دار إحياء الكتب العربية عيسى الحلبي.

٤٣) مفاتيح الغيب للإمام فخر الرازي ط١ دار الغد العربي ١٩٩١.

٤٤) المقتطف من عيون التفسير المصورى الخيري المنصوري تحقيق الصابوني ط٢ دار القلم دمشق ١٩٩٦.

٤٥) التصدير لتخليس ما في المرشد لأبي يحيى زكريا الأنصاري مطبوع بحاشية منارة الهدى، الحلبي.

٤٦) الكشف في الوقف والابتداء لأبي عمرو عثمان بن سعود الداني. منارة الهدى في بيان الوقف والابتداء لأحمد بن محمد بن عبد الكريم الأشموني، ط الحلبي.

٤٧) نظم الدرب في تناساب الآيات والسور للبقاعي ت عبد الرزاق غالب المهدي دار الكتب العلمية بيروت ط١ سنة ١٤١٥.

٤٨) نهیة القول المفيد في علم التجويد لمحمد مكى نصر ط الحلبي ١٣٤٩.

٤٩) هموم الهوامع للسيوطي، ت/ عبد العال سالم مكرم، ط دار البحوث العلمية بالكويت سنة ١٢٩٩.

*****

١٩٢
المقدمة

المبحث الأول:
(بلى) دلالاتها وأثر الوقف عليها والبدء بها في إثراء المعنى واتساعه

أولا: أصل (بلى) واستعمالاتها

القول في إثبات جواب (بلى) والبدء بها في إثراء المعنى

ثانيا: أثر الوقف على (بلى) والبدء بها في إثراء المعنى

1. (بلى) بين الإستناف بما يترجح أو يغلب عليه التعلق النظري

2. (بلى) بين الاستناف وما يترجح أو يغلب عليه التعلق المعنو

المبحث الثاني:

(نعم) دلالاتها وأثر الوقف عليها والبدء بها في إثراء المعنى واتساعه

أولا: استعمالات (نعم) ودلالياتها

ثانيا: الفروق الدقيقة بين (نعم) و(بلى) وإسالة وقواع الأولى موقع الثانية

ثالثا: مواضيع الجواب – (نعم) في أي التنزيل

المبحث الثالث:

دالالة (كلا) وأثر الوقف عليها والبدء بها في إثراء المعنى واتساعه

أولا: دالالة (كلا) في اصطلاح النحاة من حيث اللفظ

ثانيا: دالالة (كلا) من حيث المعنى

مناقشة ما ذكر من الأراء سالفة الذكر

ثالثا: الوقف على (كلا) والبدء بها وأثر ذلك في اتساع المعنى، ونماذج ذلك من أي

الذكر الحكيم

المبحث الرابع:

أثر البدء بال(كاف) الحجارة مع مدخولها والوقف عليها في إثراء المعنى واتساعه

أولا: الوجه الإعرابي للكاف المتقدم باسم الإشارة البعيد وأوجه دلالتها

(كاذب) بين الناحية وأهل البيان

كاذب (كاذب) وما قد نفيه من المعاني الأخرى من غير التشبيه

ثانيا: أثر البدء بالكاف المتقدم باسم الإشارة البعيد والوقف عليها في إثراء المعنى،

ومن نماذج ذلك من أي ذكر الحكيم

ثالثا: البدء بالكافي المتقدم يعبر عن الإشارة البعيد والوقف عليها، ونماذج ذلك من

أي الكاف الحكيم

المبحث الخامس:

أثر البدء أو الوقف على الباء (وعلى) (وهي) ومدخولاتها في إثراء المعنى

أولا: البدء بالباء مع مدخولها والوقف عليها وأثر ذلك في اتساع المعنى

ثانيا: الباء (وعلى) مع مدخولها والوقف عليها وأثر ذلك في اتساع المعنى

ثالثا: البدء (وهي) مع مدخولها والوقف عليها وأثر ذلك في اتساع المعنى

رابعا: البدء (وهي) مع مدخولها والوقف عليها وأثر ذلك في اتساع المعنى

نماذجه

فهرس الموضوعات

193
١٩٤

رقم الإيداع بدار الكتب والوثائق المصرية
١٦٨٨٢ /٢٠٠٥